الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة: منتوري، قسنطينة.
كلية: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.
قسم: التاريخ والآثار.
ومخبر الدراسات التاريخية والفلسفية.
رقم التسجيل:.....
الرقم التسلسلي:.....

العـــــنوان:

الشيخ أحمد حمّاني وقضايا عصره:
1333-1419هـ
1915-1998م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر.

إعداد الطالب :حداد أحمد

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الكريم بوصفصاف

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
الجمعي خمري	أستاذ محاضر	رئيسا	جامعة الحاج لخضر، باتنة
عبد الكريم بوصفصاف	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة منتوري، قسنطينة
صالح فركوس	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة8 ماي1945، قالمة
كريمة الأخلاق بن حسين	أستاذة محاضرة	عضوا مناقشا	جامعة منتوري ، قسنطينة

السنة الجامعية:1427 -1428هـ
2007 -2008م

مقدمـــة :

يعد البحث في التراجم والشخصيات من أهم الموضوعات التي تتطلب الدقة والموضوعية في المعطيات المعرفية والمفهوماتية لطبيعة أعمال، ومسيرة هذه الشخصية أو تلك، لاسيما مبادؤهم وشخصياتهم ومحطات مواقفهم، التي تعتبر من أهم المؤثرات في الحركة التاريخية في أي مجتمع من المجتمعات.

لقد حاولت في هذه الرسالة، الوقوف عند كل حركة أو مبدأ أو منهج اتبعه الشيخ أحمد حماني في مسيرته النضالية في الجزائر وخارجها منذ ولادته1915 إلى تاريخ وفاته في جوان1998، لأن حياته كانت كلها نضالا بل وجهادا حقيقيا على جبهات متعددة:

الجبهة الأولى:مقاومة الجهل والأمية ،اللذين فرضا على المجتمع الجزائري من جراء وجود الإحتلال الفرنسي الذي اتبع منذ أن وطأت أقدامه أرض هذا الوطن:سياسة التجهيل والإقصاء وتشريد الشعب الجزائري برمته.

أما الجبهة الثانية فكانت صراعا ضد البدع والخرافات التي سيطرت على عقلية الأمة الجزائرية، منذ إلحاقه قسرا بالاستعمار الفرنسي الذي كان يستهدف الهوية الوطنية بالاعتماد على المشعوذين وبعض شيوخ الزوايا، الذين دجنوا بعد الهزائم السياسية والعسكرية التي ألحقت بهم في نهاية الربع الثالث من القرن التاسع عشر.

أما الجبهة الثالثة فهي مقاومة الإحتلال الفرنسي ذاته.

وبعد الاستقلال واصل مترجمنا جهاده وعمله الدؤوب على جبهة رابعة وهي جبهة البناء والتشييد ومقاومة ما رسخ في أذهان من بقي من أعوان الاستعمار من افكار غريبة بعيدة كل البعد عن المجتمع الجزائري العربي المسلم.

وفي هذه الجبهات الأربع برزت أعمال الرجل وفكره الإصلاحي تارة، والثوري تارة أخرى ،حيث كان يجمع بين العمل الإصلاحي لما أصاب الأمة في دينها ولغتها وتاريخها، وبين العمل الوطني الثوري لوقف مسيرة الإحتلال الفرنسي نفسه، سواء قبل ثورة الفاتح من نوفمبر1954 أو بعد اندلاع شرارتها الأولى.

وبعد الاستقلال لم يركن مترجمنا إلى الراحة والركود بل واصل نضاله الذي كان يؤمن به ،مجسدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الانتصار في غزوة بدر:رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر. والجهاد الأكبر بالنسبة لمترجمنا هي مرحلة بناء الدولة الوطنية على مبادئ الإسلام والعروبة،و المعاصرة.

وفي هذه الأطوارالمختلفة يجد الباحث في مسيرة الشيخ أحمد حماني أعمالا ومواقف،آراء ونظريات على مستوى الإصلاح الديني أوعلى صعيد التجديد الاجتماعي أو في مجال ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي والإفتاء بما يوافق الشريعة الإسلامية ومتطلبات العصر، وليس حسب الحاكم، أو في مجال الحفاظ على اللغة العربية وإعادتها إلى مكانها الطبيعي في المجتمع الجزائري.
والحق أنني كباحث مبتدئ ،في تاريخ هذه الشخصية ، وجدت بعض الدراسات التي حاولت إبراز اجتهادات هذا المصلح الوطني في مجال الفقه الإسلامي، ومما اطلعت عليه حتى الآن رسالة جامعية أبرزت منهج الشيخ أحمد حماني في الفتوى،لكنني لم أجد من درس إسهاماته السياسية والثقافية والاجتماعية بصورة خاصة،وهذا ما أكده لنا ابن مترجمنا الدكتور عمر.

أهمية الموضوع:

-إن دراسة الأعلام وتتبع جهودهم لها أهمية كبرى في الحفاظ على رصيدهم النضالي وأعمالهم الدؤوبة لنصرة الحق ورد الظلم، لكي تقتفي الاجيال اللاحقة آثارهم، ولكي لاتضيع الأعمال التي ناضل وكد من أجلها أولئك العظماء من أمتنا الذين يعتبرون المنارات المضيئة ،التي يحاول البعض إطفاءها.ومن تلك الشخصيات المضيئة الشيخ أحمد حماني.

-كما تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج شخصية لها إسهاماتها الكبيرة في الحركة الإصلاحية التجديدية الجزائرية والتصدي لمروجي البدع والخرافات ،كما كان لها بالغ الأثر في التمهيد للأفكار الثورية عن طريق التربية والتعليم، وذلك بإزالة الاستعمار الفرنسي من العقول أولا، ثم مواجهته على أرض الواقع ثانيا،كما أن أحمد حماني ساهم بكل فاعلية في إعادة بناء الدولة الجزائرية المستقلة بثوابتها المحددة في مواثيق الثورة الجزائرية.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي جعلتني أفضل البحث في هذا الموضوع ما يأتي:

1-بقاء الكثير من الموضوعات والشخصيات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية بعيدا عن متناول الباحثين،وكثيرا ما يشاع بأن الحركة الوطنية عامة والحركة الإصلاحية بوجه خاص قد أشبعت بحثا. فكدت الإنصراف عن دراستها، لكن بعد الاطلاع على ماكتب آكاديميا عنها وجدت نقصا حاولت ملأه.

2-إماطة اللثام عن كثير من جوانب شخصية الشيخ أحمد حماني والذي بقي مجهولا في بعض جوانبه خاصة الوطنية والثورية منها.فإذا كان أحمد حماني قد اشتهر بالفقه الإسلامي ، فإنه رجل إصلاح وثورة فهو مناضل عنيد ومجاهد مكابر.

3- مما دفعني للبحث كذلك في هذا الموضوع ما قيل عن الرجل خلال حياته،والذي صرف البعض ،عن دراسة الثراء والتنوع اللذان يتميز بهما مترجمنا، فأردت من خلال دراسته الوقوف على جهوده في الوطنية والإصلاح، وإمعانه في كره الاستعمار بكل أنواعه،وكل ذلك بالدليل والحجة.

4-وجود شخصيات عدّة عاشت معه ، وعرفته عن كثب ،كأفراد عائلته وتلامذته وأصدقائه وقد حاولت الإستفادة منهم وتدوين شهاداتهم .

الإشكالية:

تتمثل إشكالية هذا البحث في دراسة علم من أعلام الإصلاح والثورة والبناء، هدفها البحث عن الأعمال، المواقف والمبادئ التي تميزت بها شخصية مترجمنا وتحديد المعالم الكبرى للمجهود التاريخي والفكري الذي تركه الشيخ أحمد حماني، وبصماته في تاريخ الجزائر الحديث،خاصة وان مترجمنا مخضرم عاش فترة الإحتلال الفرنسي لبلادنا مدة سبع وأربعين(47) سنة كما عاش مرحلة الاستقلال بنحو ست وثلاثين(36) سنة وأفرغ طاقاته فيهما معا حتى أصيب بنزيف دماغي سنة1995 بسبب الإرهاق الناجم عن العمل المتواصل.

وتتمحور إشكالية هذا البحث في مجموعة من التساؤلات والاستفهامات التي تثيرها طبيعة الموضوع ويمكن إجمالها فيما يأتي:

1- من هو الشيخ أحمد حماني وماهية طبيعة تكوينه؟

2- ما هي حقيقة تنسيقه مع الألمان ضد فرنسا خلال الحرب الكونية الثانية؟

3- ما هو دوره أثناء الحرب التحريرية:في السجن وخارجه؟

4-هل هو رجل مصلح أو مجدد أم ثائر أو يجمع بين هذه الصفات كلّها؟

5-ماهي مواقفه من بعض القضايا الهامة في البلاد مثل:تجميد نشاط جمعية العلماء المسلمين بعد الإستقلال،وإلحاق التعليم الأصلي بالتعليم العام1976- 1977؟

6-ما هي علاقته بالسلطة والحكام-بعد الاستقلال- ومدى تفريقه بين السلطة والدولة في التعامل؟وأين تبرز جهوده بعد الاستقلال؟

7- هل بقي وفيا لما ناضل واستمات من أجله من ثوابت و قيم ومبادئ أمته في ظل الجزائر المستقلة؟

وقد حاولت الإجابة عن كل عناصر هذه الإشكالية من خلال توزيع المادة العلمية بمضامينها على فصول هذه الرسالة.

حدود الدراسة:

أما الإطار التاريخي لهذه الرسالة فيمتد تلقائيا ومنطقيا من ميلاد الشيخ أحمد حماني سنة1915 الى غاية وفاته في جوان1998 وهي مرحلة حافلة بالأحداث والمواقف و المبادئ والقيم الجديدة التي رافقت التحولات العالمية عقب الحرب الأوربية(العالمية) الأولى إلى تبلور وازدهار الحركة الوطنية الجزائرية إلى اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر التاريخية والتي نقلت المجتمع الجزائري من الليل الاستعماري الطويل إلى عهد الحرية والاستقلال، وأحدثت في مسيرة الشعب الجزائري تحولات جوهرية ترتبت عنها خصائص ومميزات للدولة الجزائرية الحديثة، بالإضافة إلى التحولات الديموقراطية التي عرفتها البلاد منذ نهاية الثمانينيات والتي عاشها مترجمنا بأدق تفاصيلها وتطوراتها.

مناهج البحث

اتبعت في دراسة موضوع البحث في مختلف فصوله منهجين معروفين في مجال الدراسات التاريخية وهما:

أولا:المنهج التاريخي الوصفي والذي سأستخدمه في سرد الأحداث التاريخية ووصفها وتصنيفها حسب تسلسلها الزمني في غالب الأحيان ،وقد راعيت في ذلك كل ما له علاقة بالموضوع الموصوف.

ثانيا:المنهج التحليلي:وسأستخدمه في دراسة الوقائع ومناقشتها وربطها ببعضها البعض بهدف الوصول إلى استنتاجات لأحكام جزئية.

صعوبات البحث:

قبل بداية هذا البحث ، توقعت مجموعة من العراقيل والصعوبات تصادفني أثناء إعداد هذه الرسالة، وقد برز بعضها فعلا أثناء إنجاز هذا العمل ،منها:

- تشتت المادة الخبرية في مختلف دور الأرشيف والمكتبات العامة والخاصة، وهو ما سيجعل عملية التنقيب عنها أمرا صعبا، فضلا عن تنوع هذه المادة التي تغطي مختلف جوانب البحث.

- إن طبيعة هذا البحث المتمثلة في الدراسة التاريخية لشخصية وطنية جمعت بين الإصلاح والتجديد والثورية واتخذت من الشريعة الإسلامية منطلقا لها ، سيستوجب علي الإلمام بسيرته الذاتية الخفية منها والظاهرية ومعرفة أوسع بقيم الإسلام ومنهجه وفقهه.

و لا شك أن هذه العقبات المشار إليها تواجه كل دارس،باحث عن الحقيقة في مثل هذه الموضوعات،لكن تغلبت عليها بفضل من الله ، وبالإرادة والمثابرة وتوجيهات الأستاذ المشرف والتي كانت لي نورا على الطريق ،فان كنت موفقا فبعونه تعالى وإن أخفقت فحسبي أني بذلت جهدا معتبرا مكنني من الكشف عن حقائق كانت مجهولة، تتعلق بشخص مصلح نذر نفسه مع ثلة من إخوانه ،فداءا للدين والوطن، وكافح كفاحا مستميتا لهدم الجهل والتخلف و الإستعمار .

وصف أهم مصادر البحث ومراجعه:

اعتمدت في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع،تختلف أهميتها باختلاف قربها أو بعدها عن زمن الأحداث وسأقتصر على وصف بعضها :

*** المصادر:**

-أ-مؤلفات أحمد حماني:منها ما نشر أثناء حياته ومنها ما نشر بعد وفاته وهي:

1-الصراع بين السنة والبدعة:يقع الكتاب في جزئين، يتضمن القصة الكاملة لمحاولة السطو على الإمام عبد الحميد بن باديس، كما يتناول المؤلف الصراع الذي كان قائما بين علماء الإصلاح المنضوين تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبين علماء وفقهاء الاستعمار الفرنسي الذين سخرتهم فرنسا للقضاء على مقومات الأمة الجزائرية. وظفت هذا المصدر في الفصل الثاني الذي خصصته لحياته وآثاره، ولجأت إليه في بعض مباحث الفصل الثالث.

2-كتاب : فتاوى الشيخ أحمد حماني، الصادر عن وزارة الشؤون الدينية، وقد طبع جزءان أثناء حياة مترجمنا و صدر الجزء الثالث بعد وفاته، ويتضمن اجتهادات أحمد حماني في الفتوى ومواقفه الثابتة المستندة للكتاب والسنة بدون محاباة أو مجاراة لحاكم أو سلطة ، واستفدت من هذا الكتاب في الفصل الرابع أثناء توضيح مواقف مترجمنا بعد استعادة الاستقلال الوطني.

3-كتاب: شهداء علماء معهد بن باديس: وهو كتاب من الحجم المتوسط،صدر بعد رحيل أحمد حماني،يحمل بين دفتيه موضوعين: الأول كما جاء في العنوان والقسم الثاني خصصه لرفيق دربه ابن عمه الشيخ الصادق ابن رابح حماني و وظفت هذا المصدر عند التطرق لجهود مترجمنا في التربية والتعليم بعد تأسيس معهد ابن باديس.

4- مذكرات الشيخ محمد خير الدين: وهي في جزأين : وهذا الرجل من المعاصرين والعاملين مع أحمد حماني، فما يورده من أحداث تاريخية استفدت منها في المباحث التي تتناول خاصة الفترة الاستعمارية.

5- مذكرات الشيخ محمد الصالح بن عتيق: وهو من المعاصرين،والعاملين مع أحمد حماني،وظفت هذا المصدر في الفصول الثلاث الأولى حسب ما تقتضيه مباحثها.

-ب- الجرائد والمجلات: تعتبر من أهم المصادر لأن الشيخ أحمد حماني- سواء قبل الاستقلال أو بعده –له مساهماته المتعددة في جرائد جمعية العلماء المسلمين كالبصائر (السلسلة الاولى، والثانية)والشهاب. كما واصل بعد الاستقلال نشر مقالاته وسجالاته على صفحات جريدة الشعب، النصر، العصر، إضافة إلى أرائه وفتاويه في مجلة الأصالة، الرسالة والثقافة.

ج- المصادر الشفهية:إضافة إلى ما سبق ذكره من مصادر مكتوبة يمكن الإشارة إلى بعض المصادر الشفوية التي استفدت منها في هذه الرسالة وهي على النحو الآتي:

-مقابلة مع إبنه عمر الذي عاصر الإحتلال الفرنسي في نهاية عهده بالجزائر،وقد أفادتني عائلته بجزء من أرشيفها حول أحمد حماني.

-مقابلة مع الذين عملوا معه في وزارة الشؤون الدينية، مثلهم بن مالك صلاح الدين،الذي كان يكتب فتاوى الشيخ حماني.

-مقابلة مع الأستاذ عبد الحميد ونيسي الذي تتلمذ على يد مترجمنا، أيام الإحتلال الفرنسي بمعهد بن باديس، ومازال يحتفظ بذكرياته عن أستاذه الذي أشربه حب الدين والوطن، والتفاني في نشر العلم.

- في الملتقى الوطني الأول الذي حمل اسم أحمد حماني وخصص للخطاب المسجدي واقع وآفاق ،و نظمته مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بجيجل تحت الرعاية السامية للوزارة الوصية،يومي 8 و9 جويلية2007 ،إستمعت لشهادات الذين عاصروا الشيخ حماني منهم الوزير غلام الله الذي يفتخر بأستاذه أحمد حماني، كما كانت للأستاذ محمد الهادي الحسني كلمات مؤثرة عن إبن منطقة جيجل ومفتي الجزائر والذي كان يتردد على بيته باستمرار.إضافة إلى أئمة ،أساتذة، صحفيين ،عرفوا الشيخ حماني عن قرب.

*** المراجع:**

1- كتاب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945) لمؤلفه الدكتور عبد الكريم بوصفصاف وهو دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة.قدم له

الشيخ أحمد حماني،تضمن الكتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بابرز قادتها، وجهادها من اجل الحفاظ على هوية الشعب الجزائري .تناول المؤلف العلاقة بينها وبين الحركات الجزائرية مبينا نقاط التشابه والاختلاف بينهما.وظفت هذا المرجع في توضيح جهود الجمعية خاصة في ميدان التعليم.

2- كتاب الحركة الوطنية الجزائرية (الجزء الأول والثاني) للدكتور أبو القاسم سعد الله خاصة الجزء الثاني(1900-1930) الذي وظفته في الفصل الاول المخصص لعصر الشخصية موضوع الدراسة، كما استفدت من الجزء الثالث(1930-1945) لما أتطرق لنشاطات أحمد حماني في الثلاثينيات وجزء من الأربعينيات.

3- كتاب: الجزائر:الأمة والمجتمع للأستاذ مصطفى الاشرف، ترجمه من الفرنسية الى العربية حنفي بن عيسى .وظفت هذا المرجع خاصة في الفصل الأول وفي مباحث أخرى، حيث تختلف أفكار صاحب الكتاب مع وجهات نظر الشيخ احمد حماني.

-4-محاضرات ومناقشات ملتقيات الفكر الإسلامي، وهي عبارة عن كتب تصدر عقب كل ملتقى والتي دأبت وزارة الشؤون الدينية على تنظيمها وطبع أعمالها ، وهي ملتقيات ثرية شارك فيها الشيخ أحمد حماني بمحاضراته ومناقشاته، واستفدت منها في الفصل الرابع عند التطرق لجوانب من فكر ه.

إضافة إلى هذه المصادر والمراجع من كتب ودوريات،جمعت شهادات ممن عرفوا الشيخ أحمد حماني،كأفراد عائلته،أو تلامذته،أو اصدقائه.

<u>خطة البحث</u>:

تتكون هذه الرسالة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق وبيبليوغرافية البحث وفهرس للأعلام وآخر للاماكن وأخيرا فهرس للموضوعات.

<u>الفصل الاول</u>: عصر الشيخ أحمد حماني.

وقد بينت فيه:التطورات السياسية،الاجتماعية،الاقتصادية والثقافية التي كانت تعيشها الجزائر منذ بداية القرن العشرين،وقد ركزت على مرحلة الاستعمار والتي عاش مترجمنا جزء منها بكل تطوراتها،وكان لها دور في التأثير على سلوكه وتفكيره الثقافي والسياسي.

وقد عرجت على التغيرات التي شهدتها بلادنا بعد الاستقلال الى غاية وفاة الشيخ أحمد حماني يوم الاثنين05ربيع الاول1419هـ الموافق ل29جوان 1998م.
قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: التطور السياسي.
المبحث الثاني:التطور الاقتصادي.
المبحث الثالث: التطور الاجتماعي.
المبحث الرابع: التطور الثقافي.

<u>الفصل الثاني</u>: حياته وآثاره
وقد عالجت فيه حياة الشيخ أحمد حماني بدءا بمولده يوم الاثنين23 شوال1333ه/06 سبتمبر1915م بدوار آزيار التابع لدائرة الميلية آنذاك و انتهاء بوفاته سنة1998 مرورا بتكوينه العلمي والسياسي والوظائف التي ترقى فيها بعد الاستقلال منها رئاسته للمجلس الإسلامي الأعلى (1972-1987) .
قسمت هذا الفصل الى المباحث الآتية:

المبحث الأول: الميلاد والنشأة.
المبحث الثاني: تعليمه ورحلاته.
المبحث الثالث: وظائفه ومسؤولياته.
المبحث الرابع: وفاته،آثاره وخصاله.

<u>الفصل الثالث</u>: دور الشيخ أحمد حماني في الحركة الإصلاحية والوطنية.

وقد تناولت فيه نشاط أحمد حماني منذ ان كان طالبا بقسنطينة مابين 1931 و1934 ومشاركته في بعث نشاطات جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس1936،وأثناء اندلاع الحرب الأوربية (العالمية) الثانية كانت له اتصالات بالألمان بتونس غير انه عرف نواياهم والتي أكدها هتلر في رسالة بعثها إلى الماريشال بيثان قائلا له" نزلنا بتونس لنحافظ على إفريقيا لأوربا".بعد الحرب عاد إلى ارض الوطن المحتل وأصبح عضوا بهيأة التدريس بمعهد بن باديس، ولما اندلعت الثورة التحريرية انخرط فيها.القي عليه القبض وحكم عليه سنة1957 بخمس عشرة سنة سجنا.

داخل السجن واصل مهمته في رفع حجاب الجهل و حول سجن تازولت إلى معهد للتكوين العلمي بمناهج وبرامج محكمة.وقد قسمت هذا الفصل إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: مواقفه الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية.

المبحث الثاني: جهوده في التربية والتعليم بعد تأسيس معهد بن باديس.

المبحث الثالث: موقفه من أحداث08 ماي1945.

المبحث الرابع: اندلاع الثورة والانخراط فيها.

المبحث الخامس:جهوده في السجن.

<u>الفصل الرابع</u> : أعماله ومواقفه بعد استرجاع الاستقلال الوطني .

وقد عالجت فيه آراءه ومواقفه. فبعد الاستقلال واصل عمله في التربية والتعليم بتعيينه مفتشا عاما للتعليم العربي ثم استدعي للتدريس بجامعة الجزائر وفي الوقت نفسه متعاونا مع وزارة الشؤون الدينية والتي اقترحت عليه عضوية المجلس الإسلامي الأعلى سنة1966 ليصبح رئيسه سنة1972 ثم رئيسا للجنة الفتوى. وقد كانت له مواقف واضحة اتجاه قضايا الإسلام والوطن، تصب في مجملها في تعزيز مقومات الشخصية الوطنية وحماية المجتمع الجزائري من الأفكار الدخيلة ومحاولات تغريبه سلوكا وفكرا، وأبرز الشيخ حماني آرائه في ملتقيات الفكر الإسلامي، وفي محاضراته التي عادة ما تُنشرها مجلة الأصالة.وقد قسمت هذا الفصل إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول:أحمد حماني والقضايا التاريخية.

المبحث الثاني : أحمد حماني والقضايا الدينية

المبحث الثالث : أحمد حمَاني ودفاعه عن مقومات الأمة.

أما الخاتمة فقد خصصتها لرصد مختلف النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة .
وأنهيت البحث بمجموعة ملاحق تخدم الموضوع،من صور للشيخ احمد حماني، ومقالات له،لم تنشر بعد.

مقدمة الفصل:

لا يمكن لأي باحث في السير و التراجم إغفال البيئة والظروف التي عاشتها الشخصية المراد دراستها، لما لها من تأثير في تكوينها وفي دفعها لأعمال وإنجازات معينة.من هذا المنطلق ارتأيت أن يكون الفصل الأول لهذه الرسالة، حول عصر وبيئة الشيخ أحمد حماني.وقد ركزت فيه على التطورات التي عاشها إبان الإحتلال الفرنسي، والتي أثرت على تكوينه الشخصي وحددت مساره المستقبلي:كمشارك في العملية الإصلاحية التجديدية التي باشرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أولا ،ومجاهدا ضد الاستعمار ثانيا، ومساهما فعالا في بناء الدولة الجزائرية وحماية مقوماتها لاحقا.

وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث:

تناولت في المبحث الأول التطور السياسي في الجزائر خلال العهد الاستعماري وبينت فيه السياسة الفرنسية اتجاه السكان الأصليين،الذين صودرت سيادتهم،كما استعرضت التيارات الجزائرية المختلفة ومطالبها، وأخيرا لمحة عن الوضع السياسي الذي عاشته الجزائر بعد استرجاع الإستقلال حتى سنة1998 وهو تاريخ نهاية هذه الدراسة.

أما المبحث الثاني فوضّحت فيه مختلف التحولات التي طرأت على الاقتصاد الجزائري بقطاعاته المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة، وبينت مدى الإستغلال المكثف للإمكانات الإقتصادية للأهالي في سبيل إزدهار إقتصاد الاستعمار الفرنسي.وفي نهاية المبحث أشرت إلى التطورات الإقتصادية التي عاشتها الجزائر بعد الإستقلال ،بدءا بسلوك النهج الإشتراكي ووصولا إلى التوجه نحو إقتصاد السوق، بعد أحداث أكتوبر1988.

وقدعالجت في المبحث الثالث الوضعية المأساوية للمجتمع الجزائري التي ترتبت عن السياسة الإستعمارية الظالمة،التي أدت إلى تكوين طبقتين :الأولى تمثل الأقلية، تتكون من الأوربيين واليهود،وتتمتع بجميع الإمتيازات، والثانية تمثل الأغلبية ومحرومة من أبسط الحقوق.أما بعد الإستقلال فقد أبرزت المجهودات التي بدلتها الدولة للتخلص من الإرث الإستعماري الثقيل في المجال الإجتماعي.

وفي المبحث الرابع ،تناولت ما آلت إليه وضعية التعليم الجزائري من إنحطاط وجمود بسبب سياسة التجهيل التي طبقها الإستعمار، كما تطرقت إلى مجهودات جمعية العلماء المسلمين للحفاظ على ثقافة ومقومات الشعب الجزائري.وبعد استرجاع الإستقلال الوطني بينت مجهودات الدولة الجزائرية في القضاء على الأمية والنهوض بالحياة الثقافية بشكل عام، لكن لم أغفل ما آل إليه تراثنا الثقافي من محاولات للمسخ والتشويه.

المبحث الأول:التطور السياسي:

بنزول الاحتلال الفرنسي على أرض الجزائر، توقفت مظاهر السيادة الوطنية التي ظلت قرونا من الزمن مسيطرة على شؤون البلاد، حامية لها من الأخطار الخارجية المتربصة بها ،وقد تجلت السلطة الاستعمارية الدخيلة في كافة الأجهزة السياسية،الاقتصادية، الثقافية والقضائية مما يدل على إنقلاب في الوضع الداخلي الجزائري بعد الاحتلال مباشرة، واستمر بعد القضاء على المقاومات الشعبية[1]، إذ لجأت فرنسا لأساليب القهر والبطش لتغيير البنية السياسية للمجتمع الجزائري غير أن الكيان الجزائري ظل يلملم جراحه ويستفيد من تجاربه السابقة حتى أصبح الفرق واضحا بين المشهد السياسي الفرنسي في الجزائر والمشهد السياسي الجزائري المقيد.

ومما لاشك فيه أن السلطة الاستعمارية هي التي رسمت السياسة المنتهجة في الجزائر، غير أن الملفت للانتباه ،بالرغم من مرور فرنسا بأنظمة حكم متعددة ومختلفة هي: النظام الملكي(1830-1848) الجمهورية الثانية(1848-1852)، النظام الإمبراطوري(1852-1870)،الجمهورية الثالثة(1871-1940) الجمهورية الرابعة(1946-1958) الجمهورية الخامسة منذ1958،إلا أن الجزائريين لم يعرفوا في الواقع إلا نوعين من الحكم هما[2]: النظام العسكري(1830-1870) وفيه مارس جيش الاستعمار الفرنسي سياسة محو الأطر الاقتصادية ،السياسية التقليدية، ونظام الحكم المدني(1871-1954) ولم يطبق هذا الأخير إلا في نطاق محدود وفي صالح المعمرين.

هذان النظامان تميزت بهما الجزائر المحتلة عن جاراتيها اللتين خضعتا لاستعمار واحد، فتونس التي فرضت عليها الحماية سنة1881، و على المغرب الأقصى سنة1912، تم السيطرة عليهما بعد تغير في موازين القوى الأوربية خاصة بعد خسارة فرنسا أمام بروسيا 1870، مما أوقف التوسع الإستعماري الفرنسي، لكن هذا التوسع إنطلق مع جول فيري الذي رأى أن الجزائر المستعمرة منذ1830 لا يمكن إعادة النظر في الأسلوب السياسي الاستيطاني المنتهج فيها، لأن ذلك يولد تصادما مع المعمرين الذين زاد عددهم بينما تونس والمغرب بإمكان فرنسا التحكم في عدد المستوطنين القلائل وعدم فتح المجال كما هو مطبق في الجزائر.لذلك اتخذ الحكم السياسي في الجزائر صبغة مميزة جعل من المعمرين هم

---

[1] -مصطفى الأشرف:الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983،ص414

[2] -عبد الكريم بوصفصاف:الفكر العربي الحديث والمعاصر:محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا،دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2005، ص55.

أصحاب الكلمة العليا والمنتصرين دائما في صياغة قرارات العاصمة باريس، فهذا نابليون الثالث(*) ،بعد زيارته للجزائر سنة1860 خرج بنتيجة، وهي أن الجزائر لابد أن لا تسلم للمستوطنين، وواجب فرنسا الأول هو الاهتمام بسعادة ثلاثة مليون عربي، ورفض أن يكون مصير العرب كمصير الهنود بأمريكا[1]، وهو بذلك أنتهج سياسة الجنرال بيجو(**) الذي رافع من أجل الحكم العسكري للجزائر والذي بدونه لا يمكن الاحتفاظ بها[2]. وقد قال نابليون الثالث:" أنا إمبراطور العرب والفرنسيين" وهذا ما أغضب المعمرين الذين لم يحفظوا من كلام الإمبراطور إلاّ "الجزائر ليست مستعمرة خالصة ولكنها مملكة عربية"[3].واستغلوا انهزام بلادهم أمام بروسيا لإزاحته عن الحكم ،ليشرع لهم بعد ذلك تشريعا طالما انتظروه وألحوا عليه وهو قانون تعيين الحاكم العام المدني للجزائر.يضاف هذا القانون إلى مجموعة من التشريعات و المراسيم التي أصدرها الإحتلال الفرنسي لتثبيث سلطته والاحتفاظ بالجزائر إلى غير رجعة(***) ،ويمكن تفسير أهداف فرنسا من إصدار هذه الترسانة من القوانين بدرٍّ الرماد في العيون وإستغلالا للوقت وامتصاصا لغضب الأهالي، إضافة إلى تجريدهم من ممتلكاتهم،وإخضاعهم وإذلالهم.ومن هذه القوانين:

أ-قانون السيناتوس كونسلت: أصدره نابليون الثالث سنة 1865، نص على أن الجزائريين رعايا

- (*) نابليون الثالث(1808-1873) رئيس جمهورية فرنسا من1849إلى1852 ثم امبراطور الفرنسيين من1852 إلى 1870 ،تاريخ سقوط النظام الإمبراطوري.

[1]- شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، 1983، ص56.

(**) الجنرال بيجو (1774-1849) :هو طوماس روبير بيجو دولا بيكونيري المعروف بدي زلي.رقي إلى رتبة مارشال فرنسا في 31 جويلية1843.حارب قبل مجيئه إلى الجزائر في إسبانيا،تولى الحكم في الجزائر في 29 ديسمبر1840 إلى29 جوان1847، سلك خلالها سياسة القهر ،العنف،الإبادة،التهجير والنفي في إطار الحرب الشاملة التي مارسها اتجاه الجزائريين.

[2]- le général Bugeaud ; l'Algerie des moyens de conserver et d utiliser cette conquete Marseille, 1842, p9.

[3] -Benjamin stora ;Algerie histoire contemporaine ,édition casbah ,Algerie ,2006 , p26

(***)بلغ عدد القرارات التي أصدرتها فرنسا بعد ربع قرن من الإحتلال عشرة آلاف قرار-المرجع:الزبير سيف الإسلام:صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، ص14-15.

فرنسيون ولكنهم يخضعون لأحكام الشرع الإسلامي، فإذا ما طلبوا الجنسية الفرنسية فأنهم يصبحون خاضعين للقانون الفرنسي.هذا القانون أوضح بأن الجنسية الفرنسية غير متناسبة مع حالة المسلم الجزائري ، وظل مستمرا مع بعض التعديلات في إصلاحات 1919 و سنة1947[1] .

ب- قانون الأهالي : صدر سنة1874 وشرع في تطبيقه سنة1881، يسميه شارل روبير أجيرون بقانونالتبعية الأهلية، وعرفه بأنه سلسلة من العقوبات غير المألوفة في القانون العام، كان عددها واحدا وأربعين مخالفة خفضت إلى واحد وعشرين عقوبة سنة1890[2]. وقد اشتمل هذا القانون على أربعة محاور هي:

1-الاعتقال الإداري. 2-مصادرة المكاسب.

3-المسؤولية المشتركة. 4-قانون الغاب المرهق.[3]

وظل الجزائريون طيلة الإحتلال الفرنسي خاضعين لعقوبات خاصة من اعتقال إداري، الرقابة، وغرامات مالية فردية أو جماعية و رخص التنقل...والغاية من هذا القانون منح الصلاحيات للضباط كي يفرضوا أنفسهم على القبائل التي لم تخضع تماما.

ج- قانون 23 أوت 1898، والذي يعطي الوالي العام في الجزائر الحكم المطلق، يساعده مجلس استشاري يسمى بالمجلس الأعلى ،ألحق هذا القانون بقرار 19 ديسمبر1900 الذي يمنح الاستقلال المالي للجزائر(*) وأنشا المجلس النيابي المتكون من تسع وستين عضوا يتوزعون كالآتي:48 من المستوطنين (المزارعين 24 نائبا و24نائبا عن أصحاب الحرف) بينما لم يعط الجزائريون إلاَّ 21 نائبا فقط ويعينون من طرف الإدارة الإستعمارية[4].

د- قانون1919: والذي اشتمل على ما إدعى الإحتلال بأنها إصلاحات أصدرها لإرضاء الجزائريين المشاركين في الحرب العالمية الأولى، إذ قدم التجنيد الإجباري الأهلي 173000 عسكري: سقط منهم

---

[1]-أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930) ،ج2 ، ط4،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1992 ، ص25.

[2]- شارل روبير أجيرون :المرجع السابق ،ص104.

[3]-عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر(1920-1936)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1984 ،ص31.

(*)هذا المطلب هو مطلب المعمرين الدائم، والذي يمنحهم حق التصرف بشكل مستقل في ميزانية الجزائر المستعمرة.

[4]- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: المرجع نفسه ،ص24.

في ساحات القتال 25000 جندي مسلم، وفي عام1918 كان أكثر من ثلث سكان الجزائر الذكور يستخدمون في فرنسا[1] . هذه التضحيات التي قدمها بعض الأهالي تستحق مكافآت سياسية واسعة، فكان قانون1919 الذي لم يأت بشيء جديد في التمثيل النيابي في المجالس العمالية واستمر التمثيل الجزائري بنسبة25% والفرنسي بنسبة75% أما المصوتون الجزائريون فاشترط عليهم شروط لم تفرض على الفرنسيين مثل إقامتهم في بلديتهم على الأقل سنتين أو الخدمة في الجيش أوالبحرية الفرنسية[2] ،ولم يحقق هذا القانون حلم الأهالي المشاركين في الحرب،و المساواة التي وعدوا بها.

وقد إستمر الإحتلال في خداع الجزائريين بإصداره لقوانين ظرفية مثل مرسوم 7 مارس1944 الذي أصدره ديغول عقب خطابه في قسنطينة1943، تضمن فتح باب المواطنة الفرنسية أمام بعض الجزائريين دون التخلي عن الأحوال الشخصية، وهذا ما أزعج المعمرين مرة أخرى. وبعد الحرب وضعت فرنسا قانون 20 سبتمبر1947 الذي اشتهر في الصحافة الفرنسية بدستور الجزائر[3]، و" الذي لم يأت بالجديد إلا تلخيصه وجمعه لمحتويات المراسيم، القوانين والأوامر الإستعمارية التي عرفتها البلاد منذ1830"[4] ،وكان في مجمله كسابقيه من القوانين التي تكرس الظلم. وموازاة مع هذه الترسانة من القوانين المجحفة، كانت إجراءات القمع والبطش الإستعماري هي الممارسة واقعيا، ولم تقتصر سياسة الإحتلال على رفض كل طلب جزائري يهدف لرفع الظلم والغبن عن الأهالي بل كان يترصد الفرص لتصفيتهم جسديا لكي يتخلص منهم دفعة واحدة حتى لا تقوم في وجهه مقاومة شعبية تقضي على وجوده في البلاد، أبشع هذه التصفية ما حدث في شهر ماي1945 حيث حصدت الآلة الإستعمارية خمس وأربعين ألف شهيد[5]،ولم يكن من هدف للمعمرين بهذه الجرائم سوى إسدال الستار نهائيا على الوعي السياسي الذي ميز الساحة الجزائرية خاصة بين الحربين(1919-1939).

إن الوعي السياسي الجزائري لم ينقطع منذ الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة1830 وإنما يفتر ويختفي أمام الضغط والإرهاب الإستعماري الشرس، ويتحيّن الفرص ليعود للظهور من جديد، فبعد مرور سبعون سنة عن الإحتلال بدأ الوعي الجزائري يطفو على السطح تدريجيا بسبب نشاط بعض الجمعيات

---

[1]- شارل روبير أجيرون:المرجع السابق،ص116.

[2]- أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق ،ص274.

[3]-تركي رابح:التعليم القومي والشخصية الجزائرية ،ط2،الشركة الجزائر الوطنية للنشر التوزيع،الجزائر،1981، ص81.

[4]- محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول ،ط1،دار البعث،قسنطينة،الجزائر،1984 ،ص 29.

[5]- تركي رابح:المرجع السابق، ص78.

الثقافية،زيارة شخصيات دولية مشرقية للجزائر، إستمرار مثقفون جزائريون في نقل عناصر التمايز بين الجزائري والفرنسي إلى الأجيال.

أمّا أوج الوعي السياسي الجزائري فيرجع إلى فترة مابين الحربين(1919-1939) ويعود هذا النضج للأسباب التالية:

- أثر الحرب العالمية الأولى(1914-1918)على الأهالي المشاركين فيها: فقد تعلم الجزائريون دروسا لا تقدر بثمن إذ جربوا الحياة الأوربية ولامست عقولهم أفكارا لم تتسرب إلى مخ أجدادهم، فعودتهم إلى قراهم، قد تكون عملا دعائيا لصالح فرنسا ولكن قد تصبح هذه القرى أيضا مركز عداوة ضدها[1]،فبعد الحرب إستجدت أوضاع جديدة نتيجة تزاحم أفكار عدة، مثل أفكار الجامعة الإسلامية، الشيوعية الإشتراكية.

-أثر الإحتفال المئوي: في سنة1930 كان قد مرّ على الإحتلال الفرنسي للجزائر قرن من الزمن، فاستغلته فرنسا لإقامة احتفالات دامت من جانفي1930 إلى الخامس جويلية من نفس السنة، وأثناء الإستعراضات عمل مهندسو ومنظمو الإحتفالات على أن تظهر فرق الجيش بنفس نمط الجيش الأول المحتل الذي نزل بسيدي فرج من حيث الملابس، الأسلحة... وهذا العمل كان مقصودا، يذكّر الجزائريين بهزائمهم حتى لا يفكروا في الثورة على الإحتلال في يوم من الأيام[2]، كلف هذا الاحتفال خزينة الإستعمار 130 مليون فرنك فرنسي[3]،هذا المبلغ الضخم من أجل المشي في جنازة الإسلام بالجزائر، لكنها أيقظت من كان نائما ونبهت من كان غافلا من الجزائريين.

وعلى العموم تجسد الوعي السياسي الجزائري في ظهور تيارات وأحزاب تمثلت في:

-أ- حركة الشبان: وهي ما يطلق عليها كذلك اسم النخبة برزت هذه الحركة أثناء النقاش الذي صاحب قرار التجنيد إلاجباري[4] .من مطالبها الرئيسية الاندماج الذي يكون بالفرنسة الكاملة والفورية للجزائر، والتجنيس هو الطريق الوحيد من اجل الوصول إلى الإندماج سواء مع الإحتفاظ بالأحوال الشخصية أو

---

[1]- أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق ،ص284.

[2]- تركي رابح: المرجع السابق،ص66.

[3]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ص 306.

[4]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ،ج3، المرجع السابق ، ص 59.

بالتخلي عنها[1].شارك الشبان في الحرب العالمية الأولى مقابل حصولهم –بعد الحرب- على حقوق مساوية للفرنسيين، لكن خيبتهم كانت كبيرة في إصلاحات 1919 حتى أن بعضهم مرض ومات نتيجة هذه الخيبة(*) فهل بعد التضحيات التي قدموها للدفاع عن الوحدة الترابية لفرنسا يكافؤون بهذا القانون الذي لم يغير من الأمر شيئا ؟ وهذا ما جعل الأمير خالد(**) يتجه إتجاها آخر في نقده الشديد للإحتلال، مؤسسا جريدة"الإقدام((***) وممّا كتب فيها:"الأهلي دفع ضريبة الدم للدفاع عن القضية الفرنسية ولكن بدون مقابل ولا حتى الإعتراف بالجميل"[2]، هذه اللهجة الحادة والمقنعة ،أغضبت المعمرين الذين تآمروا على الأمير خالد ،الذي قض مضاجعهم ،وكانوا وراء قرار نفيه سنة1923.

ظلت حركة الشبان متدبدبة تواجه خطر الضياع ،فاقدة لسلاح المبادرة متأرجحة بين الإسلام وفرنسا،وأحسن مثال عن هذا التدبدب ما كتبه أحدهم وهو السيد محمد كسوس سنة 1931"أن الإحتفال المئوي كان مهينا" لكنه لم يقترح الثورة ولا المناداة بالإستقلال ولا حتى المعاملة الإنسانية بل راح يمجد القيم الفرنسية.[3]

-ب- نجم شمال إفريقيا:تأسس في باريس سنة1926ويعتبر من أكثر التيارات الوطنية إزعاجا للإستعمار بسبب مطالبه الواضحة والمتمثلة في إستقلال الجزائر،وكان هذا الحزب كلما حلته فرنسا إلاّ وأخذ إسما آخر،لكن بنفس المبادىء والمطالب،و آخر تسمية له حركة انتصار الحريات الديمقراطية،من مميزات هذا التيار:الروح النضالية، الشجاعة في القول والعمل، الصلابة في المبادئ الثورية.

---

[1]- الجمعي خمري : حركة الشبان الجزائريين والتونسيين(1900-1930)،دراسة تاريخية وسياسية مقارنة،ج2 ص410-وهي رسالة دكتوراه غير منشورة.(جامعة منتوري،قسنطينة).

(*) نشر الشيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة المنتقد،العدد الثامن ليوم20/8/ 1925 ، نقلا عن جريدة الجزائر، قصة الشاب المسلم رشيد وفرانسوا الفرنسي وهما شابان تربّيا معا وأديا الواجب نحو دولتيهما فرنسا خلال الحرب، ولكنهما لم يتساويا في نيل الحقوق، مما أثّر على رشيد تأثيرا بالغا أودى بحياته.

(**) ولد خالد الهاشمي بن عبد القادر يوم20 فيفري1875 بدمشق،عاد مع عائلته إلى الجزائر سنة1892.إنخرط في الكلية الحربية الفرنسية بسان سير، تخرج منها سنة1897،رُقي إلى نقيب سنة1908.شارك في الحرب العالمية الثانية

كضابط صبا يحي،وبعد نهايتها تقاعد من الجيش الفرنسي سنة1919 ليبدأ نشاطه السياسي على جبهتين:-الأولى ضد دعاة الإدماج الداعين إلى الذوبان في الكيان الفرنسي والانسلاخ عن أحوالهم الشخصية،والجبهة الثانية ضد غلاة المعمرين والنواب الفرنسيين.توفي بدمشق يوم1936/01/09

(***)جريدة الإقدام هي ثمرة دمج جريدتي الإسلام والراشدي،أسسها الأمير خالد سنة1920 وكان يهدف من نشر هذه الصحيفة توعية القراء بمدى الظلم المسلط على الأهالي ،من مواضيعها:المجاعة، البطالة،تزوير الانتخابات،تصرفات الشخصيات الرسمية...

[2] - Emir khaled ;la situation des musulmans d'Algerie(1924) ,office des puplications universitaires, Alger ,1987,p17.

[3]- أبوالقاسم سعد الله: المرجع السابق،ص60.

ج-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:تأسَّست في 05 ماي1931،تعود بجذورها إلى تلاقح الأفكار بين مختلف المثقفين المعربين الذين كانوا يكتبون في مجلة الشهاب لصاحبها عبد الحميد بن باديس سنة1925[1] ،وهي حركة إصلاحية عربية إسلامية تشدد على الإنتماء الأصيل للجزائر والمتمثل في ثلاثية ابن باديس الإسلام ديننا،العربية لغتنا والجزائر وطننا،[(*)]

د-الحزب الشيوعي الجزائري: حتى1935 لم يكن هناك حزب بهذا الإسم،ففي العشرينيات من القرن الماضي،بعض الجزائريين الذين أعجبوا بالشيوعية انخرطوا في الحزب الشيوعي الفرنسي[2] .

وفي خضم وصفنا لهذه التيارات تجدر الإشارة إلى التقائها لأول مرة في المؤتمر الإسلامي في7 جويلية1936 بنادي الترقي ماعدا حزب الشعب[3]. كما أن هذه الأحزاب في مجملها ستذوب في جبهة التحرير الوطني بعد سنتين من اندلاع ثورة نوفمبر1954،هذه الثورة التي أعلنت عن وضع جديد يمهد لطرد الإستعمار الفرنسي،والذي كلف الشعب الجزائري التضحية بمليون ونصف المليون من الشهداء(ما بين1954-1962) وبالآلاف من المعطوبين،الأرامل،والأيتام.

-أمّا بعد إسترجاع الإستقلال الوطني: فقد شهد ت البلاد حتى سنة1998 وهو تاريخ نهاية هذه الدراسة تحولات سياسية كبيرة يمكن تقسيمها إلى مرحلتين: مرحلة الحزب الواحد: التي بدأت بالصراع على السلطة الذي ظهر جليا في مؤتمر طرابلس جوان1962 بين السياسين والعسكريين أو لأقول بين أعضاء الحكومة المؤقتة والقادة العسكريون واستمر الصراع طوال صيف1962 وأخيرا حسمت هيأة الأركان الصراع لصالحها بالقوة،وأصبح الرئيس هو أحمد بن بلة[(*)]الذي أصدر مرسوما في 14 أوت 1963 يمنع كل الجمعيات، ذات الطابع السياسي ماعدا جبهة التحرير الوطني ، الحزب الوحيد في

---

[1] - Ali Merad ;le réformisme musulman en Algerie(1925-1940) , deuxieme edition ,edition el-hikma ,1999,p109.

[(*)] هذه العبارة حملها غلاف كتاب" الجزائر" لأحمد توفيق المدني الذي طبع على نفقة الأمة الجزائرية سنة1931.

[2] - أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية الجزائرية، ج2،المرجع السابق ،ص294.

[3] - تركي رابح: المرجع السابق،ص65.

[(*)] - أحمد بن بلة: أول رئيس جزائري ،ولد في 1918/12/25 بمغنية بالغرب الجزائري، من أسرة فلاحية،تابع دراسته الثانوية بتلمسان،أدى الخدمة العسكرية الإلزامية سنة1937،عين على رأس المنظمة الخاصة سنة1950، ولما أكتشف أمرها إعتقله الإحتلال الذي حكم عليه بسبع سنوات سجن، لكنه فر سنة1952،ليلقى عليه القبض مرة أخرى في حادث إختطاف الطائرة في 22 أكتوبر1956،بقي في السجون الفرنسية حتى مارس1962.

البلاد، منبع كل القرارات وحوله تدور جميع سياسات الوطن،و يبرر بن بلة في مذكراته منع التعددية الحزبية بحجة تدخل جهات خارجية وراء الاقتراع[1]. وخلال فترة حكم بن بلة تجنب هواري بومدين الأضواء والانكفاء في منصبه كوزير للدفاع،لكنه بقي الرجل القوي داخل السلطة الذي بيده كل المفاتيح حيث لم يعد بن بلة إلاّ الواجهة الأمامية لأصحاب السلطة الفعلية، وقد اعتمد هواري بومدين على أسلوب حساب أخطاء الرئيس وجماعته إلى أن تحرك ليلة19 جوان1965 معلنا نهاية فترة الرئيس الأول للجزائر المستقلة، وعلى إثر هذا الانقلاب تكوّن المجلس الأعلى للثورة الذي تحرّك باسم الشرعية الثورية ، وبقيت المؤسسة العسكرية هي المبادر والمشرف على عمليات إعداد المواثيق والمخططات التنموية وكرس ذلك الميثاق الوطني لسنة1967 الذي جاء فيه:"...وقد برز الجيش الوطني الشعبي منذ سنوات الاستقلال الأولى بوصفه القوة الوحيدة المتناسقة ،والمنظمة والقادرة على مواجهة المشاكل الخطيرة التي كانت تجابه البلاد، ووضع الكثير من إطاراته تحت تصرف مصالح الحزب والدولة لسد الفراغ الاقتصادي والإداري السائد في تلك الفترة" .وهكذا كان الجيش الدرع الأساسي للدولة الاشتراكية ،ونفس المنحنى ذهب إليه دستور1976 الذي اعتبره آداة للثورة يشارك في التنمية وبناء الاشتراكية.

تميزت الفترة الأخيرة من حكم الرئيس هواري بومدين باشتداد الصراع بين فئات النظام،حول الخيارات الكبرى للدولة والمجتمع، خاصة منذ1975 السنة التي شرع فيها الإعداد للميثاق الوطني حيث ظهر على الخصوص تكتل اليسار ممثلا بعبد السلام بلعيد، مصطفى لشرف،رضا مالك، محمد الصديق بن يحي، من جهة وأصحاب الاتجاه الليبيرالي ممثلين في وزير الخارجية بوتفليقة، ومستشار الرئيس احمد طالب الإبراهيمي، وبوعلام بن حمودة..من جهة أخرى، إضافة إلى التحالف الآني بين الإبراهيمي أحمد طالب ومحمد الصالح يحياوي تحت إطار التعريب لمجابهة على الخصوص مصطفى لشرف الموصوف آنذاك بمنظر الفرانكفونية، وفي ظل هذا لعب الرئيس بومدين دور الحكم،يضعف القوي تارة ويساعد الضعيف تارة أخرى للحفاظ على التوازن داخل نظام الحكم، فكان يدير خيوط اللعبة بإتقان متفاديا الصدام في كل مرة[2].

ظل الصراع على أشده بين مؤيدي سياسة بومدين الاشتراكية ومعارضيها إلى أن وافته المنية في 28ديسمبر1978 وهنا طرح السؤال بشدة من سيخلفه، وطرحت عدة طرق حول كيفية خلافة بومدين ومنها تولي رئيس المجلس الشعبي الوطني الحكم بالنيابة إلى غاية انعقاد مؤتمر الحزب.وفعلا عقد المؤتمر الرابع الذي عين الشاذلي بن جديد رئيسا.

---

[1]- **أحمد بن بلة: مذكرات أحمد بن بلة،ترجمة العفيف الاخضر،دار الأدب بيروت ط3، 1981،ص163.**

[2]- **الصغير تقرين: قصة الخلافة:الجهاز يصنع الرئيس،أسبوعية الحدث،العدد4 من 01/10 الى1994/1/16.**

وأثناء مرحلة الأحادية الحزبية يلاحظ التداخل بين حزب جبهة التحرير الذي تحول من حزب جماهيري إلى حزب دولة بيروقراطي يتطابق مع مؤسساتها على جميع الأصعدة، مركزيا وسياسيا، وأدى هذا التطابق إلى تداخل كبير بين صلاحيات قيادي الجبهة وصلاحيات المسؤولين المركزيين إلى درجة أن أصبح للحزب هيئات مماثلة للهيئات الحكومية تتدخل في تسيير الشؤون العامة ولها الكلمة العليا في العديد من القضايا،ولوحظ هذا الأمر خاصة في عهد الشاذلي الذي انفجرت في مرحلة حكمه الأزمة السياسية مباشرة بعد جوان1991 وأخذت طابع الأزمة الأمنية اعتبارا من توقيف المسار الانتخابي للتشريعيات في جانفي1992، ودخل الجزائريون في مواجهة بعضهم البعض، هذه المواجهة أتت على أهم البنيات القاعدية لجزائر الاستقلال[1].

وفي ختام هذا المبحث، هذه أهم المواثيق السياسية التي صدرت منذ الإستقلال:ففي عهد الرئيس بلة تم إصدار الدستور1963، ميثاق الجزائر 1964 ، وفي عهد الرئيس الراحل هواري بومدين بنت الدولة هياكلها ومؤسساتها المنتخبة: المجالس البلديةسنة1967 والولائية سنة1969 والمجلس الوطني الشعبي سنة1977 ورئاسة الجمهورية وتمّ وضع مرجعية لذلك ،بإصدار الميثاق الوطني 1976 والدستور في نفس السنة وفي عهد الرئيس الشاذلي بن جديد تم اثراء الميثاق سنة1986،وإقرار التعددية الحزبية: التي تجسدت في الإصلاحات التي أعلن عنها الرئيس في دستور 23 فيفري1989 الذي تسمح مادته الأربعون بإنشاء جمعيات ذات طابع سياسي و فتح الباب لمرحلة جديدة تميزت بإطلاق الحريات والتعددية السياسية. وقد عاش الشيخ أحمد حماني هذه التغيرات السياسية التي عاشتها الجزائر بعد استرجاع الاستقلال الوطني، كما كان شاهدا على الأوضاع السياسية المزرية لبلاده إبَّان الإحتلال الفرنسي والتي سلبت السُّكان الأصليين حكم بلادهم ،وسُخروا هم وثرواتهم من أجل خدمة المعمرين ،فكان الوضع الإقتصادي للأهالي يسير من سيئ إلى أسوأ أما إقتصاد الاستعمار فيتحسّن على حسابهم، وهذا ما سأتناوله في المبحث الموالي.

2- محمد لعقاب:اكتوبر1988،اكتوبر1995سنوات الفوضى والإنكسار،أسبوعيةالعالم السياسي،العدد101،الأسبوع من9الى16 اكتوبر1995 ،ص09.

المبحث الثاني: التطور الإقتصادي

إن المتفحص للوضع الاقتصادي قبل الإحتلال الفرنسي سيلاحظ حياة إقتصادية مستقرة،حسنة تفي بحاجيات المجتمع الجزائري ماعدا بعض القطاعات الصناعية التي لم ترق إلى ما وصلت إليه الصناعة في أوربا،أما في الميدان الزراعي فالجزائر العثمانية حققت اكتفاءها الذاتي وضمنت أمنها الغذائي، وإنتاجها كان متنوعا ووفيرا على حد تعبير مسافر فرنسي يدعى طوماس في معرض وصفه لبساتين فحص مدينة الجزائر(*)[1] ،وكانت هذه المنطقة تسد حاجيات سكانها من الخضر والفواكه في وقت كانت فيه سهول متيجة ومرتفعات الساحل وباقي الأقاليم الجزائرية الأخرى الخصبة تستغل في زراعة الحبوب وغراسة الزيتون وإنتاج الشمع والعسل الصوف، الجلود والأخشاب وهي في أغلبها موجهة للتصدير الخارجي[2] كما لاحظ الجنرال بيجو خصوبة التربة الجزائرية "وأن الجزائر كانت تنتج فعلا الكثير من الحبوب، الثروة الحيوانية، ولها القابلية لإنتاج أكثر"[3] .

هذه الوضعية الحسنة للإقتصاد الجزائري جعلت الإستعمار الفرنسي يقوض أركانه لصالحه، وأول ما بدأ به موازاة مع الإحتلال العسكري نزع الأراضي الخصبة من الأهالي وتوزيعها على الوافدين الجدد، إذ أعلن قادة الإحتلال بأن نزع ملكيات الأهالي هو الشرط الأول الذي لا مفر منه لتثبيت أقدامهم على أرض الجزائر[4] ومن هنا شجع الإحتلال الفرنسي الأوربيين على الهجرة والإستيطان وقدمت لهم كافة التسهيلات والتشجيعات: فخلال ثلاث سنوات (مابين1842و1845) تم إقامة 35 مركزا للإستيطان ومنح المعمرون105000 هكتارا [5] وراندون الذي حكم الجزائر ما بين1852 و 1858 أقام في فترة تواجده على رأس المستعمرة 56 قرية[6]، وبلغت مساحة الأراضي التي صودرت مابين(1840 1850):2703000 هكتارا، واغتصاب ملكيات الأهالي لم يقتصر إلاَّ على أجود الأراضي والسهول الخصبة المتوفرة على المجاري المائية أما الباقي من الأراضي الرديئة والضعيفة الإنتاج فتترك

(*) -زار هذا الفرنسي بستان إبراهيم الكراغلي وسرد مختلف أنواع الخضر والفوكه:البرتقال، الليمون، اللوز، العناب، الرمأن،التين، التفاح الجوز حب الملوك الكرز التوت الأبيض التوت الأحمر المشمش بالإضافة إلى مختلف أنواع الزهور وأصناف الخضر. المصدر:ناصر الدين سعيدوني:ورقات جزائرية،دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت،2000،ص401.

[1] - ناصر الدين سعيدوني : ورقات جزائرية ،دار الغرب الإسلامي ،ط1، بيروت ،2000 ،ص401.

[2] - المرجع نفسه ،ص402.

[3] - le général Bugeaud ;op cit ,p46.

[4] - تركي رابح :المرجع السابق ،ص86.

[5] - صالح فركوس : تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال،دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة،الجزائر 2005،ص331.

[6] - شارل روبير أجيرون ،المرجع السابق،ص51.

للجزائريين[1] .وكان المعمّر الواحد يملك ما يربو على ست وتسعين(96) هكتارا من أجود الأراضي وأطيبها بينما لا يملك الجزائري سوى أربع هكتارات أغلبها جرداء لا تكاد تصلح لرعي المواشي [2] . وقد شرّعت فرنسا قوانين تعسفية لتقليص ملكية الأهالي مثل قانون1851 الذي خول الدولة الاستعمارية حق الرقابة على الأراضي الجماعية للجزائريين،وقانون1873 المعروف بقانون فارنيي ويعرف بقانون المعمرين والذي يهدف إلى محاربة الملكية الزراعية الجزائرية وتطوير القطاع الزراعي الخاص بالمعمرين،إضافة إلى قوانين تفتيت الملكية الجزائرية والتي أوجدت ثغرات كبرى في ممتلكات الأهالي خاصة ممتلكات الشمل القبلية(العرش) فمثلا في مقاطعة وهران كان الملاك الصغار يبيعون للمعمرين قطع الأرض العائدة إليهم بعدما فصلتها السلطات الاستعمارية عن أراضي العرش[3] ، واضطر الجزائريون الذين سلبت منهم أراضيهم وسلمت إلى أوربيين غرباء أو إلى شركات استغلالية كبرى للهجرة ،إذ ترتب على إقصاء الأهالي من الأراضي الخصبة ،مساس في مصادر رزقهم ونقصان في ثروتهم الزراعية والحيوانية مما دفع بعض الجزائريين للهجرة إلى الخارج.

وبعد استحواذ المعمرين على أجود الأراضي الجزائرية، نما قطاع زراعي جديد من حيث هياكله ووسائله وطبيعة إنتاجه بما يخدم الإقتصاد الفرنسي إذ استحدثت مزروعات لاوجود لها في القاموس الفلاحي الجزائري[4] منها زراعة الكروم التي زادت مساحتها مابين1929-1935 من226000 هـ إلى400000هـ وتضاعف متوسط الإنتاج من المتوسط السنوي الذي كان9265000 هكتولتر مابين1920-1929 إلى17100000 هكتولتر مابين1930-1938.

هذه الزراعة الغريبة عن المجتمع الجزائري نقلت إلى الجزائر بعد تعرضها لمرض خطير في فرنسا عام1875 عرف باسم ألفيلوكسيرا أدى إلى تراجع مساحة أراضي الكروم في فرنسا من 2.5 مليون ه عام1870 إلى1.8 مليون ه عام1890 فاعتبر هذا الحادث كارثة وطنية في فرنسا دفعت حكومة باريس إلى حث المعمرين في الجزائر على التوسع في زراعته[5] ومنحتهم قروضا لذلك، وقد انتشرت زراعتها في السهول الغربية للجزائر وأصبحت الدخل الأول في للجزائر في الميدان الزراعي إذ ذرت أرباحا على الخزينة قدرت ب55 مليار فرنك سنة1953.[6]

---

[1] - تركي رابح :المرجع السابق،ص86.
[2] - صالح فركوس : المرجع السابق، ص422.
[3] - مصطفى الأشرف:المرجع السابق ،ص16.
[4] - عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص80.
[5] - شارل روبير أجيرون :المرجع السابق ،ص16.
[6] - المرجع نفسه ،ص126.

ومن المزروعات التجارية التي لقيت إهتماما وتشجيعا لدى المعمرين"التبغ" فتوسعوا في زراعته بإعتباره منتوجا مربحا، وموجها أساسا للتصدير(حوالي 80بالمائة من الإنتاج).

إن بعض هذه الزراعات التجارية كانت على حساب زراعة الحبوب التي تمثل الغذاء الرئيسي للشعب الجزائري وتقلصت المساحات الأهلية المزروعة بالحبوب تقلصا شديدا،خاصة مابين1906-1921 وصاحبها نقص واضح في إنتاج القمح الصلب الذي أصبح مردوده3.7 قنطار في الهكتار الواحد بالنسبة لجميع الأراضي.[1]

وقد أحدث توجيه الإنتاج الزراعي من طرف الإستعمار تحولا في واقع الزراعة بالجزائر ببروز قطاعين زراعيين: الأول حديث يمثله المعمرون، يسود السهول الخصبة ، تستعمل فيه الوسائل المتطورة(في الثلاثينيات من القرن الماضي أدخلت الآلة الحاصدة للجزائر وأصبحت الآلة الواحدة تعوض مائة عامل) و القطاع الثاني تقليدي يمثله الجزائريون يسود المناطق الأقل خصوبة وبوسائل تقليدية.إضافة إلى أن الإحتلال وجه القطاع الزراعي وجهة رأسمالية تجارية تنتج للسوق الخارجية، متجاهلا الحاجات الغذائية للسكان حيث أصبحت الجزائر مملكة الكروم والحوامض والحلفاء بعدما كانت مملكة القمح قبل الغزو الفرنسي.

أما في المجال الصناعي:فحرص الاستعمار طوال مدة بقائه على أن لا تكون صناعة ذات أهمية واضحة في أي ميدان من الميادين ماعدا صناعة الخمور وبعض الصناعات الغذائية الصغيرة:كمعامل الزيت، الصابون... وهذا الحرص على إبقاء الجزائر متخلفة صناعيا مرده إلى إدراك المعمرين بأن إقامة مصانع في الجزائر كتلك المتواجدة في أوربا سيرفع من المستوى المادي والإجتماعي وينشر الوعي العمالي وبالتالي فقدان المعمرين لليد العاملة الرخيصة.[2] زيادة على ذلك تصبح الصناعة في الجزائر منافسة لمثيلتها في الوطن الأم وفي هذا الصدد أوضح مدير الشؤون الإقتصادية في إدارة الإحتلال بالجزائر قائلا:" ليس علينا الشروع في تصنيع الجزائر فإن ذلك من شأنه يضعنا بصفتنا- مستعمرة- في موقف عدائي بالنسبة للصناعة الفرنسية"[3] ، لذلك أبقى الإحتلال على الصناعة الإستخراجية وتحولت الجزائر كشأن كل المستعمرات إلى بلد يختصر دوره على خزان للثروات الطبيعية والتي على أساسها أنطلقت وازدهرت الثورة الصناعية والتكنولوجية الفرنسية،إذ تضاعفت كمية المعادن المستخرجة حيث وصل إنتاج الفوسفاط سنة1954 إلى 600 ألف طن والحديد إلى3.5 مليون طن و400 ألف طن من الفحم[4] أما في المجال التجاري فكانت الجزائر ملحقا تجاريا فرنسيا[1] ، يسيطر

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف :المرجع السابق ،ص87.
[2]- المرجع نفسه ،ص86.
[3]- تركي رابح :المرجع السابق، ص89.
[4]- صالح فركوس :المرجع السابق، ص422.

عليه المعمرون الذين يلعبون دور الأسياد والأهالي دور العبيد الذين لاحول لهم ولاقوة، في حين هم القوة المحركة للإقتصاد الإستيطاني ولولاهم لما أصبح المستوطنون أسيادا، يؤثرون على السوق الفرنسية، وهذا ما كشفه الخلاف بين منتجي الخمور في الجزائر ومنتجيها في الوطن الأم، مما جعل المنتجين في فرنسا يطلبون بتوقيف الإستيراد من المستعمرة الجزائر لأن ثمن الأجير في المنطقتين يختلف إختلافا كبيرا باعتبار أن الأهلي يتقاضى أجرا ضعيفا مقارنة بالعامل في فرنسا، لذلك أسعار خمور المعمرين تكون أقل وتنافس الإنتاج الفرنسي.وعلى صعيد تسويق المنتوج المحلي للسكان الأصليين كالتمر، الزيت،التين، فتوضع أمامه العراقيل حتى يفلس التجار والملاكين الأهالي،ومن هذه العراقيل ما وصفته لنا جريدة الشعلة لسنة1949 :"في السنة الماضية أراد تجار تصدير منتوجاتهم من التمر إلى أوربا، فصفعوا بقانون غريب عجيب يفرض عليهم، إلا التمر الذي تزن الحبة منه كذا غراما ويبلغ طولها كذا،فلم يصدر التجار منتوجهم وخسروا ثروتهم، وبقيت الأسواق حاليا خالية" وتواصل الجريدة لتحدد المسؤول عن إفلاس التاجر والملاك وخلاء السوق من المنتوج:" والحكومة نائمة لاتحرك ساكنا إلاّ جمع المغارم الفادحة قبل أوانها كما حصل في السنة الماضية في وادي ريغ.والمسألة ليست مسألة التمر وحده، فقد حصل للتين والزيت ما حصل للتمر، فلم يتحرك المجلس الجزائري ويعمل حسنة في حياته، أن أملنا في ذلك ضعيف جدا لأن هذا المجلس لم يخلق لعمل الحسنات وليست مهمته بحث المنتوج الجزائري ويحسن حالته،وإنما فرض المغارم الفادحة التي تضرب المنتوجات الوطنية ليموت الشعب الجزائري إلى إلى الأبد"[2] .

إذن مجال المغارم والضرائب هو مجال آخر لتعسف الاستعمار الفرنسي الذي لم يكتف باغتصاب أراضي السكان الأصليين ومنحها للمعمرين، بل فرض عليهم سلسلة من الضرائب المتعددة الأشكال:منها ماهو عام ويشمل الأوربيين ومنها ما هو خاص بهم مثل الضرائب العربية التي لم يتم إلغاؤها إلا سنة1919[3].

ومجمل القول أن الممارسات الاستعمارية أسفرت عن تكوين طبقتين متناقضتين: طبقة ثرية من المعمرين وتمثل الأقلية، وطبقة واسعة فقيرة تمثل السكان الأصليين، وهذا ما خلق فجوة كبيرة بين الطبقتين وأثر تأثيرا بالغا على الوضعية الاجتماعية للشعب الجزائري وهذا ما سأتناوله في المبحث الموالي.

---

[1]- المرجع نفسه ،ص364.

[2]- المنتوجات الجزائرية في خطر، اسبوعية الشعلة، العدد2،ليوم1949/12/22 ، ص1.

[3]- شارل روبير أجيرون :المرجع السابق ،ص109.

أمّا بعد استرجاع الإستقلال فكان يجب على الجزائر التي خرجت من الوضع الإستعماري أن تخرج من التخلف وتنشد الإزدهار الإقتصادي لكن التراكمات التي تركتها فرنسا لم يكن من السهل محوها بين عشية وضحاها فبعد الإستقلال ورثت الجمهورية الجزائرية وضعية إقتصادية منهارة و هي انعكاس للإستعمار إضافة إلى الخراب الذي ترتب عن حرب التحرير وخاصة ما قامت به منظمة الجيش السري الإرهابية من تخريب واسع النطاق وانتهجت سياسة الأرض المحروقة ما بين جانفي وجوان1962"[1] ومن المشاكل التي واجهتها الجزائر بعد الإستقلال مباشرة: انعدام قاعدة صناعية وسيادة الصناعة الإستخراجية، ضعف البنية التحتية من مواصلات جسور سدود- سيادة الزراعة التجارية كزراعة الكروم التي كانت تغطي مساحة قدرها370ألف هــ وضعف الزراعة المعاشية الغذائية- فرار الإطارات الأوربية التي كانت تسير الإقتصاد الوطني في فترة الإحتلال، تهريب المعمرين لرؤوس الأموال هذا التهريب(*)الذي بدأ سنة 1959 وإستمر حتى بعد الإستقلال 1964[2] هذه التحديات وغيرها لم تمنع رجال الدولة الجزائرية المستقلة من التخطيط ووضع أسس لإقلاع إقتصادي واعد وكان ذلك في مؤتمر طرابلس جوان 1962 الذي تبنى النظام إلاشتراكي كوسيلة للتنمية الوطنية الشاملة، ومحاربة الإحتكارات والإقطاعية ومراجعة العلاقات الإقتصادية الجزائرية مع الخارج على أساس التعاون العادل. ويمكن تقسيم التطور الإقتصادي بعد الإستقلال إلى مرحلتين :

***المرحلة إلاشتراكية:1962-1989 تميزت في البداية بوضع اللبنات الأولى للإشتراكية وفق ما أقره برنامج طرابلس الذي دعا إلى وجوب العمل ضد السيطرة الأجنبية والإقتصاد الحر وأن لا تترك البلاد بأيدي البرجوازية الناشئة المرتبطة بحكم طبيعة نشاطها بالدورة الإقتصادية للإستعمار[3] لذلك وجبت سياسة التأميمات التي انتهجتها الدولة من خلال تأميم الأراضي التي غادرها المعمرون وتطبيق نظام التسيير الذاتي مارس1963، تاميم بنك الجزائر ، المناجم، وقطاعات أخرى لتنتهي هذه السلسلة من التأميمات بتأميم المحروقات في 24 فيفري1971 وفي نفس السنة صدر قانون الثورة الزراعية، الذي أشار إليه برنامج طرابلس فيما أسماه بالثورة الزراعية بقوله:"إن خلق سوق داخلية، وبداية التصنيع يتوقفان على القيام بثورة حقيقية في الحياة الريفية والثورة الزراعية التي تعد مهمة، لها الأولوية على**

---

[1] - **Benjamin Stora ;op cit, p 228.**

(*)– بدأ تهريب الأموال في 1959 ،لما اشتد الصراع بين الثورة والإستعمار. في 1962 قدرت الأموال المهربة ب100 مليار فرنك. المرجع:بن يامين سطورة:تاريخ الجزائر الحديث(1830-1988)،دار القصبة،2006،ص229. ملاحظة: المرجع باللغة الفرنسية.

[2] **Benjamin stora ;op cit ,p229.**

[3] - جودي الأخضر بوطمين:مسيرة الثورة الجزائرية من خلال مواثيقها،ط1،دار البعث،1993، ص ص64-65.

كل شيئ،تمثل ثلاث جوانب متداخلة هي:الإصلاح الزراعي،التطهير الزراعي، والمحافظة على الثورة العقارية"[1].

وفي المجال الصناعي انتهجت الدولة الصناعة المصنعة فأنشأت مؤسسات كبرى كمركب الحجار للحديد والصلب سنة1969، مركب الرويبة للصناعات البيثروكيماوية1972، أما التجارة فأحتكرت من طرف الدولة سواء الداخلية منها أو الخارجية شأنها شأن الدول التي انتهجت النهج الاشتراكي .

اعتمد النظام في عهد الشاذلي بن جديد على دعاة الليبيرالية، بقيادة عبد الحميد الإبراهيمي.إذ أصدر الرئيس تعليمة رئاسية سنة1981 هي بداية لما سمي بالإصلاحات، إعادة الهيكلة،المستثمرات الفلاحية.[2]

وسمح لتعاونيات الثورة الزراعية بالتسويق الحر لمنتوجاتها كما اخلي الطريق أمام البرجوازية الصاعدة التي أنتجتها الدولة إستمرارا للمؤتمر الإستثنائي لجبهة التحرير الوطني المنعقد سنة1980 والذي كان شعاره من أجل حياة أفضل وذلك بالزيادة في المنحة السياحية مع الغاء رخصة الخروج، التنازل عن املاك الدولة،برنامج محاربة النذرة باغراق السوق الوطنية بالمنتوجات المستوردة ،إذن أستنتج أن المؤتمر كسب رضاء الجماهير دون التحسب لتقلبات الزمن والتي لا محالة هي آتية. في1982طرح الشاذلي مشروع إعادة هيكلة المؤسسات للنقاش والتطبيق،ومن ثمة تفكيكها وفي 1986 كانت عملية إثراء الميثاق الوطني ومن خلاله لام الشاذلي بن جديد على الذين يعرقلون مسيرة الانفتاح التي بدأها وصمم على عدم التراجع ومنذ1986 كلف مجموعات عمل لمراجعة التسيير الاقتصادي للبلاد واقتراح إصلاحات عليه وكان من هذه الاقتراحات مشروع استقلالية المؤسسات1987 الذي وقع كالصاعقة على المسيرين الذين اشتموا فيه رائحة التحول الى اقتصاد السوق ،الذي عجلت بتطبيقه أحداث اكتوبر1988.[3]

في بداية حكم الشاذلي بن جديد لم تكن ديون الجزائر الخارجية تتجاوز 18مليار دولار ،لكن سنة1988 أصبحت ستة وعشرون مليار دولار، لتستمر في الارتفاع تدريجيا في التسعينيات،وحتى نهاية الفترة المدروسة ،ألاحظ عجز الحكومات المتعاقبة عن صياغة حلّ مناسب ووقائي للمديونية.والإستمرار في إعادة الجدولة "التي قال عنها مراد بن اشنهو، وزير إعادة الهيكلة أن أموالها-يقصد أموال الجدولة- ضاعت في الانفاق على المؤسسات العمومية"[4].

---

[1]- المصدر نفسه،ص66.

[2]- الصغير تقرين،المرجع السابق،ص6.

[3]- المرجع نفسه،ص7.

[4]- محمد العقاب،المرجع السابق ص09.

***مرحلة التحول نحو الرأسمالية :منذ1989 : وتمَّ فيها تدريجيا التخلي عن الأسلوب السابق باستحداث آليات للانتقال من الإقتصاد الموجه إلى الإقتصاد الحر، وتميز هذا التحول أحيانا بخطا سريعة، كفتح الباب على مصرعيه للقطاع الخاص دون مراعاة التدرج والأخذ بعين الاعتبار مصالح عمال وشعب العهد الإشتراكي.**

وخلاصة القول أن الوضع الإقتصادي للجزائريين خلال فترة الإستقلال كان أحسن بكثير عمَّا كان عليه خلال عهد الإستعمار الفرنسي الذي استغلهم أبشع إستغلال حتى ساءت أوضاعهم على جميع الأصعدة ومنها الصعيد الإجتماعي.

المبحث الثالث: التطور الإجتماعي:

قبل الإحتلال الفرنسي للجزائر كان المجتمع الجزائري ينقسم إلى طبقات يمكن إجمالها في ثلاثة طبقات هي: طبقة تضم الجزائريين بما فيها الكراغلة وهي الطبقة التي تشكل الأغلبية، طبقة الأتراك،وطبقة الأجانب(اليهود المسحيون ويمثلون الأقلية) "عاشت هذه الطبقات حياة اجتماعية هادئة ومنسجمة ولكنها غير راقية على العموم إذا ما قيست بحياة المجتمعات الأوربية"[1] خاصة في بدايات القرن التاسع عشر.

وبعد الإحتلال الفرنسي، سهر الإستعمار على خلخلة وتفكيك ذلك الانسجام حتى أصبح المجتمع في الجزائر ينقسم إلى مجموعتين كبيرتين:

-المجموعة الأولى: تضم الاوربيين(*) وهم المعمرون واليهود الذين أصبحوا فرنسيين بموجب قانون كريميو. هذه المجموعة الأولى المتشكلة من جنسيات مختلفة تجمع بينها اللغة الفرنسية باعتبارها لغة المحتل والمصالح الإقتصادية[2] هيمنت على الإقتصاد وكونت لنفسها إمتيازات تمتعت بها وتسببت في تدهور الحياة الإجتماعية للسكان الأصليين . كان عدد المستوطنين سنة1926 :833000 ،ارتفع هذا العدد إلى984000 سنة1954، منهم مولودين في الجزائر ويعدون أنفسهم جزائريين والفرنسيون في فرنسا ينظرون إليهم كمواطنين مختلفين عنهم. اليهود بلغ عددهم سنة 1954: 140000 ورغم اندماجهم إلا أنهم لم يتخلصوا من النظرات المشبوهة اتجاههم، حتى قيام اسرائيل1948، وعداوة العالم العربي أسكتت لا سامية الأوربيين وحقق المجتمع الفرنسي وحدته، وقد ظهرت المعاداة لليهود خاصة من طرف المستوطنون الإسبان المتواجدين بالغرب الجزائري بسبب إستبعاد الإسبانيين من الانتخابات ،لأن اليهود يطبقون أوامر مجامعهم الدينية ويفرضون عليهم حصارا، وهو ما دفع الإسبان إلى معاداتهم ووصل الأمر إلى حد الإقتتال سنة1889، غير أن حادث صغير أعاد الهدوء فجأة وذلك أثناء هجوم الأهالي على مستوطنة مارغريث فتذكر الجميع بضرورة نبذ الخلافات لمواجهة الخطر الجزائري.

هذه المجموعة الأولى تمثل في الريف النظام الإقطاعي وفي المدينة تمثل النظام الرأسمالي: 14% منهم يمارسون الزراعة و 29% يتواجدون في القطاع الصناعي و57% في قطاع الخدمات[3] هذه الأقلية الأوربية هي المسيطرة بشكل أساسي إذ يمثل أفرادها 92.7 %من الإطارات العليا،82.4% من الفنيين ورؤساء الإجهزة والمشاريع ،86% من الوظائف العامة ،هذه المجموعة تنعم أكثريتها بمستوى

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف : المرجع السابق،ص100.

(*)- شجعت فرنسا الهجرة إلى الجزائر من كل أنحاء أوربا فتوافدت على الجزائر المستعمرة مجموعات من جنسيات مختلفة ولما خافت فرنسا من تفوق عدد هؤلاء على عدد الفرنسيين فرضت قانون1889 الذي يجنس جميع أبناء الأجانب بالجنسية الفرنسية وهذا ما يسمى بالتجنس التلقائي.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق ،ص103.

[3]- شارل روبير أجيرون،المرجع السابق ،ص124.

معيشي رفيع فإحصائيات 1951 تشير الى وجود 560000 شخص برجوازي ، ونفقات العطل تصل في الجزائر إلى نحو20 مليار فرنك قديم ل187000 مصطاف.[1]

كون المعمرون هذه الثروات لأنهم من بداية الإستيطان وهم ينشدون الثروة ولايولون الجوانب الإنسانية أي إعتبار، وهذا ما أكدته اللجنة التي شكلها الوالي العام لدراسة الوسائل الكفيلة بمعالجة الوضع المتردي في الجزائر وقد خلصت اللجنة إلى تعريف المعمر على أنه " سيد عظيم الشأن ، مالك من ذوي الجاه والنفود، شخص انتهازي ،يحب الأبهة، يعاملك بمنتهى الوقاحة ،أناني، شديد المكر بالآخرين، تسامى فوق كل المؤسسات،دبر الأمور بكيفية تسمح له بالتدخل مباشرة أو بتسخير غيره ممن يقوم على خدمته" [2]

<u>المجموعة الثانية</u>: وتضم الجزائريين يمكن تقسيمها إلى فئتين: الفئة الأولى تتكون أساسا من الفلاحين الذين يشكلون 91% من الجزائريين وهي فئة مهمشة ،مهضومة الحقوق، تقهقر إنتاجها الإقتصادي و ساءت وضعيتها بسبب الإستعمار، الذي سلبها حقوقها وأرهقها بالضرائب.أما الفئة الثانية وهي المحظوظة بعض الشيئ تتكون من التجار،الحرفيون، تحصلت على بعض الإمتيازات في بدايات الإحتلال، لتسهل له المهمة ثم نمت تدريجيا لتكون ما اصطلح على تسميته بالنخبة ،التي تراوح عددها في الثلاثينيات من القرن الماضي مابين 20ألف إلى25 ألف. أما الطبقة الإقطاعية والرأسمالية فلا وجود لها بين الجزائريين.[3]

ويجمع كتاب ومؤرخو الحقبة الإستعمارية على أن السواد الأعظم من الشعب الجزائري كان يعيش حالة من البؤس لامثيل لها: فقر مذقع يتقلب فيه، أمراض فتاكة لا وقاية له منها ولا منقذ من شرها إلا رحمة الله ولطفه، أما الغذاء فيكاد يكون مفقودا،"وكانت أيام الشبع محدودة لا تتجاوز في العام أصابع اليد الواحدة وهي أيام الأعياد والمواسم"[4] وعلى سبيل المثال في سنة1936 كان السكان الأهالي بعين توتة وبريكة يأكلون القريوة أوتالغودة(*) و أثناء مرور لجنة البحث البرلمانية في مارس1937 بعين مليلة، كان 20 ألفا من الأهالي رجالا ونساء وأطفالا يسرعون الخطى في أنهج القرية وهم غاية في النحافة كالأشباح التي لاتزال حية، وقد أسرعوا الخطى لينادوا أمام أعضاء اللجنة:أننا نموت جوعا ولم

---

[1]- المرجع نفسه ،ص128.

[2]- مصطفى الأشرف :المرجع السابق ،ص17.

[3]- تركي رابح :المرجع السابق،ص ص 92،93.

[4]- محمد الصالح بن عتيق:<u>أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر</u>، منشورات دحلب، الجزائر، 1990،ص31.

(*)– تالغودة:هي بقلة نباتية يأكلها الفقراء في سنوات المجاعة عوضا عن الحبوب لأن طحينها يشبهها ولكنها رديئة وضعيفة المردودالغدائي.

نجد شيئا نأكله حتى جذور تالغودة والحشيش ، أننا نفضل أن نموت أمامكم، فدوسونا بسياراتكم، فأن القياد والحاكم الفرنسي هم الذين صيّرونا إلى هذه الحالة القصوى" [1].

من هذه الحادثة نستنتج أن الأوضاع الجزائرية قد كانت مزرية، فما بالك إذا كان الظرف ظرف حرب، فيذكر أحمد بن بلة في مذكراته" أن هزيمة فرنسا أمام ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية أنجر عليها نذرة السلع الغذائية وغلائها، ومعاناة الأهالي كانت مضاعفة حتى أصبح الفقر إملاقا والإملاق تحول إلى بؤس، وكما في كل وقت عندما يتفاقم نقص التغذية عند أوسع الجماهير الإنسانية فأن الأوبئة تضيف فتكها إلى الجوع ،وفي سنوات معدودة قتلت حمى التيفوس الطفحية مئات الآلاف من الجزائريين:[2].

كما أن الأهالي لا يستفيدون من أبسط الخدمات بالرغم من التزامهم بدفع الضرائب المجحفة،و قد نقلت لنا جريدة المنتقد توقيع40 تاجرا من بلدة الزقم بتبسة، يشكون الوالي العام عدم وجود فرع بريدي ببلديتهم التي يسكنها 3ألآف نسمة [3].

أما ظلم الإستعمار فحدث عنه ولا حرج، فكلمة الإستعمار كافية لتعبر عن اللاعدالة إذ لايتساوى المعمر مع الجزائري والمحاكم ستقضي حتما لصالح الفرنسي أوالعميل، ومن الأمثلة على ذلك ما وقع في15افريل1925 بقرية مسيلة بحوز الأصنام إذ حدث خلاف بين المعمر ثروشي إيميل وفلاحا أهليا، انتهى بملاحقة المعمر للجزائري وأخرج مسدسه فارداه قتيلا. وأثناء المحاكمة ادعى المستوطن أنه فعل ذلك دفاعا عن النفس فبرأته المحكمة التي أقرت دية لوالد المقتول تقدر ب5000 فرنك.هذا الحكم جعل بن باديس يكتب قائلا:"الأهلي أعزل، هارب من رؤية المسدس، والمعمر يسعى وراءه فيقتله ومع هذا يعد مدافعا عن نفسه، هذا وربك الجور الذي خرب الممالك وليست هذه النازلة بالوحيدة، فلها أخوات، فمتى تنفد يا ترى العدالة الفرنسوية الحقة وتنتصر على جور غلاة الإستعمار"[4].

و من مظاهر الظلم الإجتماعي للإستعمار غلقه لأبواب الكسب الكبيرة في وجوه الجزائريين وفتحها لأبنائه وقصرها على نفسه، وحرم الجزائريين من مصادر الرزق بل عودهم على البطالة، وفتح لهم أبواب الفساد الخلقي ودفعهم إليها دفعا بكل الوسائل، فتسلط الفقر على المسلمين، والفقر مع خلو النفس من الدين سبب كل الجرائم وأم الموبقات فانتشرت الآفات الاجتماعية بين الأهالي [5]،لكن الأمة الجزائرية لاتخلو ممن سيصرخ محذرا ومنذرا وناصحا مثل الصرخة المدوية التي أطلقها أحد كتاب جريدة البصائر بمقال له بعنوان" المنكرات الإستعمارية بالبوادي القبائلية" إذ قال : أن الإستعمار هو

---

[1] - عبد الرحمان بن العقون :المرجع السابق ،ص344.

[2] - أحمد بن بلة:المرجع السابق،ص42.

[3] - سكان بلدية الزقم : كتاب مفتوح إلى جناب الوالي ،المنتقد ،العدد 5 ليوم1925/7/30.

[4] - عبد الحميد بن باديس:عند من..؟عند العدالة الإستعمارية ، المنتقد ،العدد06 ،ليوم 1925/8/6.

[5] - محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر1921-1975، ج1، ط1 ،1974 ،دار البعث،قسنطينة،ص25.

منبع المفاسد ومنبع الفواجع والمعاطب وأثر مفسدة جاوزت حد الوقاحة، وبلغت منتهى الفضاعة مثل فتح باب الفحشاء والمنكر على مصرعيه في وجوه الشبان الذين هم عماد العز وذخر المجد،عوض أن تهيأ لهم المدارس والمصانع وتفتح في وجوههم أبواب التهذيب والتثقيف"[1].ولم يقتصر الظلم الإستعماري على نشر الفاحشة، بل تعداها، مرة أخرى، إلى الإبادة والقتل العشوائي، مثلما حدث في مدينة صور الغزلان يم4 أفريل 1948 مما جعل أحمد رضا حوحو يصف هذا الظلم وصفا دقيقا ويبين آثاره قائلا:"تلك الحادثة التي قتل فيها رجال، ورملت فيها نساء، وثكلت أمهات، ويتم فيها أطفال،أريقت فيها دماء، سيبقى لونها القاني مصبوغا على أديم تلك التربة ما بقي الاستعمار ومابقي ظلمه وطغيانه على هذه الأرض.سالت فيها دموع بللت الثرى، لن تقوى حرارة الشمس ومر الزمن على تجفيفها، وجرحت فيها قلوب جروحا عميقة لن تنفع المراهم والعقاقير لاندمالها، لأنها دماء الضحايا وقلوب الأمهات ودموع الأبناء والزوجات من الأبرياء والمساكين".[2]

ولم يجد الأهالي أمام هذا الظلم الإستعماري إلا الهجرة إلى الخارج ،وقد كانت في البداية كرد فعل على الإستعمار الفرنسي المسيحي ،بعد فشل المقاومات الشعبية إمتثالا لقوله تعالى" ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها"[(*)] ثم تواصلت إلى المشرق العربي بعد فرض قانون التجنيد الإجباري سنة1912.وأصبحت فرنسا هي الوجهة الثانية لهجرة الجزائريين بغية تحسين أوضاعهم الإقتصادية والإجتماعية " إذ كانت المناطق الأشد فقرا في الجزائر هي الأكثر تصديرا للمهاجرين" [3]، وقد إكتشف المهاجرون إلى فرنسا حياة جديدة تختلف عن حياتهم التعسة في بلدهم المستعمر وأتاحت لهم فرصة الإقامة في فرنسا الإحتكاك بالمجتمع الفرنسي ، ومحاكاته في الملبس، المأكل والمشرب ، ومكنتهم من التعرف على عقلية الطبقة العاملة من فرنسيين وأوربيين والإطلاع على الإتجاهات السياسية هناك ، في جو من الحرية المفقودة في بلادهم، وعندما لاحظ المعمرون ما أصبح عليه المهاجرون بفرنسا من يقظة ألحوا على السلطة هناك المراقبة والسهر على "حمايتهم من الانحراف" على حد تعبيرهم، إلى جانب فقدانهم لليد العاملة الرخيصة التي كان يوفرها الأهالي ،وعلى هذا الأساس صدرت تعليمات

---

[1] - يوسف اليعلاوي:المنكرات الإستعمارية بالبوادي القبائلية، البصائر،العدد43، السلسلة التانية،ليوم 12-7-1948 ،ص3.

[2] - أحمد رضاحوحو: البصائر، السلسلة2،عدد33،ليوم 26-4-1948، ص7.

[(*)] - سورة النساء ،الآية97.

[3] - عبد الحميد زوزو: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين(1919-1939)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985،ص27.

وزارية خلال1924 تنظم الهجرة [1] بل وتقيدها إستجابة لرغبةالمعمرين وألغيت هذه التعليمات بعد حادث مأسوي على متن باخرة سيدي فرج [2] (*)

كما قام الجزائريون بالتشهير بالسياسة الظالمة لفرنسا على صفحات بعض الجرائد التي لم تكن هي الأخرى سالمة من ذلك الظلم فأوقفت لا لسبب إلا أنها كانت صوتا للمقهورين إجتماعيا ومنها جريدة الإقدام التي كان يصدرها الأمير خالد ، يدين فيها الحالة المزرية للأهالي ويكشف للجماهير ما كان مستورا من السياسة الإستعمارية وفي كتاباته طالب بدولة فرنسية بمبادئ عالية كما شدد على توضيح التناقضات بين المبادئ الفرنسية وبين ما يعيشه المجتمع الجزائري[3]. وقد قام الأمير خالد بخطوات سياسية من أجل تغيير الوضعية الإجتماعية للأهالي: بمداخلاته العديدة مع الإدارة، شرحه لمواقفه ومشاريعه التي تهدف إلى الكرامة السياسية والإجتماعية للمسلمين الجزائريين[4]. ومن الجرائد الأخرى التي كانت صوتا للمظلومين إجتماعيا جريدة الشعلة ،ففي مقال لها سنة1950 بعنوان" من المسؤول عن هذا التشرد" كتبت تقول :"يوجدفي ا لجزائر اليوم جيش جرار من الأطفال المتشردين في الأسواق لا مأوى ولا طعام، ولاعائلة تحميهم، ولا مدارس تثقفهم، فهم يتلقون تعليمهم في الشارع ، والشارع أكبر مدرسة للتشرد والفساد ولا سيما للجائع والمحتاج،من المسؤول؟هل هو الشعب المغلوب على أمره أم الحكومة التي يجوب ممثلها ليردد جملة"الجزائر الفرنسية كأنها البلسم الشافي لجراح الجزائريين"[5] كما جاهر الجزائريون بمشاعرهم الوطنية ونددوا بالتعسف الفرنسي حتى وصفهم الأوربيون بأنهم متعصبون ومتطرفون فرد عليهم أحد الجزائريين "إذا كان التعصب حب ديني وجنسي وبلادي فأني من أشد المتعصبين" [6] ،كما أن التوتر الإجتماعي والغليان الجزائري كان مصدره الحالة التي آل إليها

---

[1]- عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص16.

[2]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،ج2،المرجع السابق،ص301.

(*)- بعد صدور القرار المقيد للهجرة أصبح الجزائريون يخاطرون بأنفسهم، مثل أولئك الجزائريون الذين إختفوا سرا في مخزن الفحم حتى لا تعلم الشرطة بهم ويقطعوا البحر إلى فرنسا بغية تحسين أوضاعهم لكنهم اختنقوا ،وأثارت هذه الحادثة ضجة واستنكارا من طرف الحركة الوطنية وقال فيهم الشاعر محمد العيد آل خليفة :

علام يظل دهــرك مستريبا	تسأله ويأبى أن يجيبا
قسا البلد الجريح وضاق ذرعا	بهم فتيمموا البلد الرحيبا
وقالوا أن في باريس عيشــا	يروق غضاضة ويلذ طيبا
فسدت في وجوههم النواحي	مسالكها ولم ترحم حبيبا

[3] - emir khaled ;op cit, p14.

[4] - loc cit ,p12.

[5]- الشعلة : من المسؤول عن هذا التشرد ، العدد13، السنة الأولى ،ليوم 9مارس1950 ، ،ص3

[6] - أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية،ج3، المرجع السابق،ص38.نقلا عن أندري نوشي،ميلاد الحركة الوطنية،باريس،1962، ص68.

الوضع الإجتماعي المأساوي لغالبية الجزائريين، وأخذ هذا التوتر ينمو تدريجيا حتى تكون لدى الشعب الجزائري بأن آفاق مستقبله مسدودة وأن اشياءا ثمينة فقدها بسبب الإستعمار وهي الأرض الحرية، الصحة البدنية،المؤسسات القومية واللسان، القومي، وما كان يدعيه الاحتلال بأنه بنى المستشفيات ومد الطرقات فأن تلك الإنجازات كانت بعرق المجتمع الجزائري وبماله ولم يستفد منها إطلاقا [1] ،لذلك يلاحظ على الشعب الجزائري نوع من التذمر والسخط على أوضاعه المزرية خاصة مابين الحربين فراح يصرخ ويئن ، يحتج ويتظاهر ماعدا اللجوء إلى العنف وقوة السلاح فاستعمل العرائض، اللوائح، الوفود، المظاهرات الصحافة حتى أنشد الشاعر الصحفي محمد السعيد الزاهرى واصفا جانبا من المأساة[2]:

صار اليهود اليوم لم يستخدمـــــوا في الدور غير بناتنا الأبكار
من بعد ما كانوا عبيد جدودنـــــــا من قبل قرن وسط هذي الدار
أبني الجزائرلا أرى فـــــــي هذه أبدا لنا عذرا من الأعـــــذار
أفتصبرون على انتهاك حماكـــــــم من بعد ما كنتم عزيزي الجار

وفعلا لم يصبر الجزائريون وغيروا إستراتيجيتهم بعد الحرب العالمية الثانية واستعملوا العنف لطرد الإحتلال. ولا يمكننا ونحن بصدد دراسة الوضعية الإجتماعية إغفال وضعية المرأة الجزائرية خلال العهد الإستعماري، فبالإضافة إلى ما كانت تعانيه مثلما يعانيه الرجل من ويلات الإستعمار فأنها هي بالذات كانت ضحية الجهل بالدين والتأويل الخاطئ للاسلام، إذ أختصرت وظيفتها في الطبخ والإنجاب ،لأن المجتمع الجزائري كان يحرمها من التعليم " والمفهوم السائد لديه عن الرجل الحقيقي هوالذي يسد حاجيات أسرته بواسطة عضلاته "[3] إذن هذا المجتمع الذكوري لم يهتم بالمرأة الجزائرية التي عرفت كيف تخرج من الحصار المضروب عليها وذلك بأن تنجب للجزائر رجالا ثوارا وعلماء.
وخلاصة القول أن حياة المجتمع الجزائري كانت تسير وفق مشيئة المستوطنين الذين جردوا من صفة الإنسانية ولا تلتفت السلطة الإستعمارية اليه إلاّ إذا تعلق الأمر بفرض مختلف أنواع الضرائب.

أمّا بعد الإستقلال، ورثت الجزائر أعباءا اجتماعية ثقيلة، لأن الإحتلال الفرنسي ترك بصماته على المجتمع الجزائري ، تجلّت في مظاهر الجوع الحرمان، المرض، الجهل والأمية، فالسنوات السبع لحرب

[1]- مصطفى الأشرف :المرجع السابق،ص100.
[2]-عبد الرحمان بن العقون: المرجع السابق، ص349.
[3]- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص48.

التحرير لم تكن لتمر دون أن تترك أثرا واضحا ،ودون أن تطبع المجتمع بطابع خاص تمثل في إنقسامه إلى قسمين: مجتمع الريف المتشكل من كبار الملاك من الفلاحين الذين يمثلون 3% وصغار الفلاحين الذين يمثلون97 % ولايملكون لا المساكن ولا الوسائل[1]، ومجتع المدينة المتشكل من ذوي رؤوس الأموال الكبيرة،البرجوازين والعمال في مختلف القطاعات ،إضافة إلى المثقفين الذين تتراوح نسبتهم ما بين5 و7% لذلك كان من الإهتمامات الأولى العناية بالنسبة الأكبر ،المتمثلة في الطبقة الكادحة التي احتضنت الثورة.ولم تغفل برامج الحكومات المتعاقبة والمخططات الإنمائية تحسين ظروف المجتمع الجزائري في شتى الميادين،ففي ميدان الصحة لم يكن للجزائر سنة1963 إلا 285 طبيبا و38 جراح أسنان و70 صيدليا ،غير أن هذه الأعداد إرتفعت بكثير في نهاية الستينيات، فالأطباء بلغ عددهم 1723 طبيبا و الصيادلة 210 و جراحو الأسنان 176 جراح بالإضافة إلى373 قابلة، كما برمج بناء عدة عيادات ومستشفيات في أول مخطط للحكومة الجزائرية وهو المخطط الثلاثي 1967-1969، وفي مجال السكن تم بناء30ألف سكن بالمدن و14 ألف سكن بالأرياف وشرع –وفق المخطط السابق- في بناء 11000 سكن بالمدن ونفس العدد بالنسبة للريف منها2000 سكن لتعاونيات المجاهدين ،وفي ميدان الشغل بلغ عدد العمال حسب إحصاء1966 :2832200 منهم 234100 عامل مغترب[2]

ولئن نجحت -إلى حد ما- الدولة الجزائرية في توفير السكن، العمل، الصحة، التعليم خاصة في الفترة المحصورة مابين1962 و1985 فذلك مرده لحماس المسؤولين و الشعب في إعمار البلد ،وتشييده بالرغم من الصعوبات الموجودة، ولدفع عجلة التنمية الإجتماعية والتحريض على العمل إذ كانت خطابات الرئيس أحمد بن بلة تشير إلى أنه لم يكن من الصعب على الجزائريين إخراج الإستعمار لذلك ليس من الصعب عليهم تنمية الوطن. إضافة إلى قلة عدد السكان الذي كان سنة1962: 10 مليون نسمة ،لكن إرتفاع هذا العدد إلى 26 مليون نسمة سنة 1990[3] أدى الى إنعكاسات سلبية على المجتمع الجزائري في ظل سياسات إجتماعية وإقتصادية مستوردة لا تتماشى وخصوصياته،إذ تخلت الدولة عن دعم المواد الضرورية، وتحولت بسرعة فائقة ودون تريث من الإشتراكية إلى الرأسمالية،دون التمهيد لها.

---

[1] - الأحرار، الطبقة الكادحة:وضعيتها ومستقبلها، ،عدد ليوم الإثنين1962/9/10 ، ص7.

[2] - جودي الأخضر بوطمين: المرجع السابق،ص119.

[3] -محمد السويدي: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية،1990،ص207.

المبحث الرابع: التطور الثقافي:

من أسباب إحراز الشعب الجزائري لإستقلاله،إحتفاظ الشعب الجزائري بثقافته التي تناقلتها الأجيال عبر القرون، والتي أعطته الثقة في دينه وفي نفسه، وهذا بشهادة "ديبرامي" الخبير الفرنسي بالحركة الثقافية في الجزائر" إذ لاحظ أن الأمة الجزائرية لم تفقد الثقة في نفسها، ذلك أن غريزة البقاء عندها قد بقيت حية نشطة مستعملة الأدب الشعبي كوسيلة للتعبير عن نفسها، فمجد هذا الأدب، الماضي وأثار الفخر الوطني،ولم يبحث فقط عن الاعتذارات للهزيمة ولكنه حول الهزيمة إلى انتصار للشعب المحتل" [1] كما كانت الجهود الفردية الجبارة لبعض المدرسين في غرس لغة التمايز والهوية العربية الإسلامية في أذهان تلاميذتهم لينقلوها إلى من بعدهم ،دورا في الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية ومن هذه الجهود :جهود الشيخ عبد الحميد بن باديس والتي شرع فيها منذ1913 بمفرده ، ولما رأى عدد الطلبة العائدين من الزيتونة بدأ يزداد أراد أن ينظم تلك الجهود ،فوجه لهم دعوة للاجتماع معهم سنة1928، وقد لبى الدعوة كلا من: البشير إلابراهيمي،مبارك الميلي،الطيب العقبي،العربي التبسي، السعيد الزاهري ومحمد خير الدين.سمي الإجتماع باجتماع الرواد، ومما قاله الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد عرضه للوضعية المزرية التي تعيشها الأمة الجزائرية:"..والآن أيها العلماء قد شاء الله أن يهيأكم ويذخركم لهذا الظرف لتتحملوا مسؤولياتكم بكل شجاعة وتضحية،وأن يومكم هذا لشبيه بذلك اليوم الذي وقف فيه البطل المجاهد طارق بن زياد خطيبا في جيش المجاهدين على ربوة جبل طارق بعد أن أحرق سفنهم التي حملتهم إلى الجهاد في الأندلس وقال قولته المشهورة:"أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو من أمامكم وليس أمامكم غير الموت أو النصر" وأنا أقول لكم في هذا اليوم لم يبق لنا إلا أحد الأمرين لا ثالث لهما إما الموت والشهادة في سبيل الله منتظرين النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين أو الإستسلام ومد أيدينا إلى الأغلال، وإحناء رؤوسنا أمام الأعداء، فتكون النتيجة لا قدر الله أن يجري علينا ما جرى على بلاد الأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية، حين تركت الجهاد واستسلمت للأعداء" وأجاب الستة الحاضرون نحن مستعدون للتضحية في سبيل ديننا ووطننا والله معنا[2]. وقد وضع المجتمعون خطة للعمل من بين ما تضمنته "الشروع فورا في إنشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية والكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقات الشعب[3].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية،ج2،المرجع السابق، ص37، نقلا عن جوزيف ديبارمي، ردود الفعل الوطنية في الجزائر1932،ص445.

[2] - محمد خير الدين:مذكرات ، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ص85.

[3] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يقول غوتليب يوهان فيخته في كتابه "نداء إلى الأمة الألمانية" عن العناصر المكونة للأمة: أن وجود أمة من الأمم هو بوجود أنيتها(هويتها) التي هي شخصيتها، وأن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاث:الدين، اللغة حب الوطن[1] .

لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن يضع الإحتلال مشاريعه لمحو هذه العناصر الثلاث وإغراق الشعب الجزائري في بحر من الظلمات، فحرص على التدخل في الدين الإسلامي ليجعله مجموعة من العبادات الممزوجة بالدروشة والخرفات والبدع، ووجه الزوايا لخدمة أغراضه في تنويم الجزائريين وجعلهم عبيدا له، فانتشرت الطرق الموالية له، ووفر لها الحماية والمساعدة لتكون العامة من الناس في قبضتهم" وكان هؤلاء المدجلون الذين يتظاهرون بالتصوف أكبر أعوان الإستعمار في الجزائر، وافظع الشرور التي سلطت عليها،ولقد خدّروها فطال نومها ومزقوا شملها فلم تتحد ضد عدوِّها، وكانوا يمسكونها باسم الدين ويرشدونها إلى طريق الجمود والخمول،فإستمرت فيه طويلا"[2] لكن يجب التفريق بين زوايا ضالة هي من صنع الإستعمار وزوايا أخرى كانت معقلا للحفاظ على مقومات شخصية الجزائر. ومن هذه المقومات اللغة العربية ، التي تعتبر لغة التواصل والوعاء الذي يحمل الدين الإسلامي والوسيلة التي يفهم بها القرآن الكريم لذلك ليس من الغريب أن يوجه الإستعمار سهامه إتجاهها و محاربتها، بل الأكثر من ذلك محاربة حتى اللغة الدارجة وهذا ماأثار مخاوف أحد كتاب جريدة البصائر في مقال له بعنوان" بعد غربة اللغة العربية أصبحنا نخشى على اللغة الدارجة" فقال "أن الرطانة التي تفاحش أمرها في عموم القطر وتشوهت بها الألسن أيما تشويه تركتنا خائفين على لغتنا العامية ،ذلك الخيال الباقي من العربية"[3] .وبلغ حقد فرنسا على اللغة العربية إلى درجة أن عامل عمالة وهران أعطى رخصة لمعلم لا يعادي فرنسا في ظاهره، لكي يعلم العربية مشترطا عليه أن لا يعلم أكثر من تلميذين[4].وإمعانا في محاربتها للغة العربية أصدرت فرنسا قانونا في8 مارس1938 والمعروف باسم قانون شوطون وزير الداخلية الفرنسي، الذي ينص على أن اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر يحرم تعلمها وتعليمها.لكن الجهود المتواصلة والدؤوبة لرجال جمعية العلماء أنقذت بعض الشيء اللسان العربي والهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري، ففي فيفري 1950 زارت فرقة مسرحية مصرية قسنطينة، وصرح الأستاذ المشرف عليها يوسف وهبي بك، بأنه قيل له في مصر أن الجزائري فرنسي

---

[1] - مولود قاسم نايت بلقاسم:أصالة أم إنفصالية،ج2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب، ص367.

[2] - دبوز محمد علي: المرجع السابق،ص19.

[3] - ابو العباس أحمد بن الهاشمي: بعد غربة اللغة العربية أصبحنا نخشى على الدارجة، البصائر السلسلة 1، العدد8، ص1 .

[4] - دار الأمة:الشيخ أحمد حماني، حياته وآثاره، شهادات ومواقف، 2001،شهادة محمد الهادي الحسني،ص208 ويقول الرخصة تحمل رقم 41 بتاريخ27 أفريل1915 وهي موجودة في أرشيف وهران رقم4046.

وقد أصبح بحكم جنسيته الجديدة لا يفهم العربية وبالتالي لا يفهم أخاه المصري،لكن الفرقة المصرية اندهشت وأعجبت لما وجدت الشعب الجزائري يفهم عنهم اللغة العربية الفصحى ويتذوق الفن الراقي[1].

أما عن التعليم فالبون كان شاسعا بين التعليم قبل الإحتلال وبعده: فالتعليم العربي كان منتشرا في كل المدن والأرياف الجزائرية ،يقوم بنشره أربعة أنواع من المؤسسات: المدارس، المساجد، الزوايا الكتاتيب القرآنية[2] ، ولكن بعد مجيئ الإحتلال، وضع يده على مصادر تمويل تلك المؤسسات وحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية وبرامج تعليمية تشوه التاريخ الجزائري ،وهذا النوع من التعليم لم يستفد منه في الثلاثين سنة الأولى للإحتلال إلا أبناء الأعيان[3]. وفي الحقيقة إستمرت هذه الفئة في الحصول على الإمتيازات ومن بينها الحق في التعليم الفرنسي طيلة الوجود الفرنسي ببلادنا، لكن غالبية الشعب الجزائري إزدادت وضعيته التعلمية سوءا،وانتشرت في أوساطه الأمية والجهل وهذا بشهادة موظفو الإحتلال مثل "أوجين فورميسترو" الذي كتب يقول سنة1880: "لقد فرطنا في تعليم الأهالي حتى نزل إلى مستوى أدنى بكثير مما كان عليه قبل الإحتلال" وذكر مارسيل اميريث في الحوليات لشهري ماي وجوان لسنة 1960:" كان العربي في1830 يعرف القراءة والكتابة ولكنه أصبح يتخبط في ظلمات الجهل عندما مضى نصف قرن على الإحتلال[4]. وقد قسمت فرنسا التعليم في الجزائر إلى قسمين" التعليم الخاص بأبناء المعمرين والتعليم الخاص بالأهالي الموجه أساسا إلى أبناء طبقة معينة منهم :القياد الباشاغوات الإقطاعيون، التجار الكبار، أما الشريحة الكبرى من أبناء الشعب الجزائري فهمشت ،غير أن هذا التهيش تسبب فيه الجزائريون كما تسبب فيه الإحتلال وبالخصوص المعمرين. فالأهالي كانوا يرفضون الذهاب إلى مدارس المسيحيين ولم يتخلص البعض منهم من هذه النظرة إلى بعد الحرب العالمية الأولى[5]، كما أن المعمرين استاؤوا من التعليم الأهالي، لذلك مالبثوا أن وضعوا العراقيل وأجبروا مدير التعليم جيمنير (1884 1908)على ترك منصبه لأنه عارض تحويل المدارس إلى مدارس ملحقة سميت بالمدارس الملاجئ، هذا التحويل فرضته المفوضيات المالية [6]، كما لجأ المستوطنون إلى لغة الأرقام لتبرير عدم قدرة فرنسا على الإهتمام بالأطفال في سن الدراسة إذ لاحظوا سنة 1930 أنه من بين900000 طفل أهلي في سن الدراسة يتمدرس منهم67000 تلميذ أي 92.55% منهم، ليس لهم مكان في المدارس الفرنسية.ولكي يجد هؤلاء مكانا في تلك المدارس على فرنسا بناء20000 قسم وتوظيف20000 معلم . وبهذه الأرقام يضعون الحواجز لمنع الجزائريين من التعليم

---

[1] - الشعلة، العدد10، السنة الأولى، ليوم1950/2/16.
[2] - عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق،ص100.
[3] - مصطفى الأشرف:المرجع السابق، ص414.
[4] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5] -شارل روبير أجيرون:المرجع السابق،ص114.
[6] - المرجع نفسه،ص113.

الفرنسي الذي اصطدم برفض الأهالي في البداية وفي مرحلة أخرى برفض المعمِّرين[1]. وعلى العموم الجداول التالية توضح وضعية التعليم الأهلي في الجزائر[2] .

-التعليم إلابتدائي الأهلي:

السنة	عدد التلاميذ المتمدرسين	النسبة
1930	68000	%5
1944	110000	%8.8
1954	302000	%14.6

-التعليم الثانوي

السنة	عددالتلاميذ
1940	1358
1954	6260

-التعليم الجامعي

السنة	عددالطلبة
1940	89
1954	589

ونلاحظ من خلال الجدول الأول أن نسبة الجزائريين الغير ملتحقين تتراوح مابين95% و86% وهذا ما يفسّر الجهل والأمية اللذان سهر الإستعمار على تكريسهما في المجتمع الجزائري.

كما أن التعليم العالي الذي كان ممثلا في جامعة الجزائر التي عُدَّت من أكبر جامعات فرنسا فإنها كانت تضم10%من الجزائريين.

ولم يكتف الإحتلال بصد أبواب مدارسه في وجوه أغلبية الأهالي بل منعهم من التعليم العربي ولاحق المدارس العربية بتشديد الرقابة عليها وتهديد الأولياء الذين يرسلون أبنائهم إليها وفي هذا الصدد كتبت جريدة الشعلة في جانفي1950 قائلة:"منذ تنادى العلماء في الجزائر وأنشئوا المدارس لتعليم الصغار لغتهم العربية، والإدارة الفرنسية تحاول بكل وسيلة محاربة هذه البادرة، وإزدهار مدارس الجمعية يدل

---

[1] - عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1962)،ديوان المطبوعات الجامعية،1995، ص118.

[2] - المرجع نفسه ،ص ص122،121.

على رغبة جامحة في التحرر والإنعتاق ولو بأغلى الأثمان.وآخر ما عمدت إليه الإدارة الفرنسية لمكافحة هذه النهضة التعليمية الوطنية أنها أوعزت إلى الشركات الكبيرة بمنع تعويضات المنح العائلية عن موظفيها الذين يرسلون أولادهم إلى مدارس الجمعية،بحجة أن هذه المدارس غير خاضعة للتعليم الرسمي"[1].إن هذه الإجراءات الظالمة وغيرها جعلت رجال جمعية العلماء المسلمين ومن ورائهم الأمة الجزائرية يستميتون في الدفاع عن التعليم العربي الحر ويضحون من أجله، ففي التقرير الأدبي الذي قدمه الشيخ البشير الإبراهيمي أمام المؤتمر العام لجمعية العلماء المسلمين سنة 1951 ذكر أن عدد قضايا المحاكمات للمعلمين بتهمة التعليم بلغت سبعة وعشرين قضية ،حكم في جميعها بالتغريم وفي ثلاث منها بالتغريم والحبس... وفي واحدة منها بالسجن والتغريم المضاعف، واستؤنفت عدة قضايا منها إلى المحاكم العليا في باريس، فأيدت أحكام الجزائر في جميعها [2].

ولم تضايق فرنسا التعليم العربي فقط، بل كل ما من شأنه أن يكشف ظلمها ومن ذلك الصحافة:

خاصة صحافة العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي التي تطورت وتخلت عن الإهتمام الواسع بالأخبار الخارجية والحزن على سقوط الخلافة العثمانية،مركزة جهودها على الأوضاع الداخلية المزرية[3] من بينها جريدة الإقدام التي أسسها الأمير خالد والتي أقبل عليها القراء لأنها تمس حياة الجزائري التعسة وتنبه السلطة الإستعمارية إلى ضرورة الالتفات اليه، ويصف لنا مالك بن نبي هذا النشاط الصحفي الذي حرّك الحياة الإجتماعية في مدينة تبسة التي أصبح ساكنوها ينتظرون الصحف القادمة من قسنطينة،ومن العاصمة وحتى من تونس،يقول:"تعرفت على الإقدام لصاحبها الأمير خالد وصحيفة الراية لصاحبها دندان، وكان أبي يتلقاهما باستمرار،وقد بدأت صحيفة تونسية باللغة العربية تصل إلى تبسة إسمها العصر الجديد ،وكان إهتمامنا بها أكبر من زميلتها الزهرة"[4]. وقد مارس الإستعمار ضغطه على قراء الصحف العربية في العشرينيات من القرن الماضي[5]. ولما لم ينفع هذا الضغط قام مباشرة بتوقيفها بحجة المساس بالأمن ومعاداة فرنسا ومن بين هذه الجرائد المنتقد لصاحبها الشيخ عبد الحميد بن باديس والتي صدر منها 18 عددا وجريدة الجزائر لمحمد السعيد الزاهري[6].

أمّا بعد إسترجاع الإستقلال الوطني مباشرة، كان من الإهتمامات المستعجلة للحكومة الجزائرية الأولى إفتتاح السنة الدراسية الأولى1963/1962 ولم يكن هذا التحدي بالسهل بحكم الإنتقال من مرحلة الإستعمار إلى مرحلة الإستقلال ،لكن هذه الأولوية للتعليم هي الأساس في معركة البناء والتشييد ، فقد

---

[1]- الشعلة ،العدد6، السنة الأولى،ليوم 1950/1/19.

[2]- البشير الإبراهيمي: آثار البشير الإبراهيمي،ج3،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1981،ص340.

[3]- محمد الصالح الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس(1900-1962)،الدار العربية للكتاب،تونس،1983، ص194.

[4]- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن،دار الفكر ،دمشق،ط2،، 1984،ص83.

[5]- المنتقد،العدد12 ، ليوم 1925/09/11. وفيها مقال للتضييق على قراء الصحيفة في بسكرة.

[6]- تركي رابح:المرجع السابق ،ص97.

أقرت الدولة الجزائرية التعليم المجاني والإجباري ومنذ البداية أعطيت الأولوية للقضاء على الأمية وفي هذا الصدد قال الرئيس أحمد بن بلة في خطاب له في ديسمبر 1962 "الحكومة بذلت جهودا للتغلب على الصعوبات الناشئة حيث قامت بتجهيز البناءات الثقافية وتنظيم جلسات خاصة للإمتحانات الدراسية وتنمية الدراسات القرآنية وتحريض المسؤولين المثقفين على القيام بمعركة حماية ضد الأمية والجهل،لقد كافح شعبنا من أجل حريته وكرامته ،واللّتان لا تتحققان إلاّ إذا تحررنا من ظلام الجهالة وأعدنا شخصيتنا للوجود"[1] لذلك ،ليس غريبا أن تخصص الدولة سنة1964 لوزارة التربية الوطنية 19.2% من ميزانيتها ، وشجعت على التمدرس فارتفع عدد المتمدرسين سنة1966 إلى أكثر من مليون ونصف بعد أن كان لا يتجاوز نصف مليون عام1963/1962.وارتفع عدد الطلاب الجامعيين إلى10000طالب بعد أن كان لا يتجاوز2803 في بداية الإستقلال، وقد إعتمدت الدولة مؤقتا على التعاون مع البلدان العربية والدول الإشتراكية ، لتنتهج فيما بعد سياسة جزأرة الإطارات[2].

كما أن تعريب التعليم كان حاضرا في ذهن المسؤول الأول على البلاد الذي قال:"... وعلى ضوء هذه المبادئ سنسعى في تعريب دراستنا بصورة شاملة"[3] هذه الوجهة في التعريب أخرجت المناهضين لها بإثارتهم للمخاوف ونشرهم لصعوبات وهمية، كقولهم أن اللغة العربية صعبة في النطق وفي التعليم[4] ، لكن سياسة التعريب مشت بخطوات حثيثة حتى إصدر قانون تعميم اللغة العربية وإجبار الإدارات على المراسلة بها غير أن المناهضين الأوائل عادوا بوجوه أخرى في التسعينيات من القرن الماضي وجمدوا القانون و بذلك تم التراجع عن تعميمها وهذه الخطوة في نظري خسارة لأحد مقومات الأمة التي جاهد من أجلها الشعب الجزائري.

وفي تقديمه لرسالة عبد الكريم بوصفصاف يذكر أحمد حماني أن جيل الدكتور محظوظ فقد وفرت له الدولة الجزائرية كل وسائل العلم والثقافة في بلاده من المرحلة الإبتدائية إلى الجامعة ،خلاف ما يدَّعيه الجاحدون أن دولة وطنهم لم تصنع للجزائر منذ ترحيل فرنسا عنا أي شيء، مع أن فرنسا كانت حين وجودها فينا تترك الملايين من أبنائنا في تشرد وارتحلت غصبا عنها وليس في بلادنا سوى بضع ثانويات كانت لأبناء المعمرين وجامعة واحدة قلّما دخلها أبناء الجزائر وكانوا من أبناء الباشغوات[5]. كما صرّح حماني بالتهاون والتراخي الذي حدث بعد الإستقلال، بقوله :"بخلاف عهدنا أيام الكفاح فإننا كنا لا نقبل في صفوف المجاهدين أحدا إلاَّ بعد الإختبار والبلاء ويثبث قطع كل الروابط بالإستعمار، أما بعد

---

[1] - الأحرار ، عدد15 ،ليوم الإثنين 1962/12/10،ص3

[2] - جودي الأخضر بوطمين،المرجع السابق،ص118.

[3] - الأحرار ، المرجع السابق،ص3

[4] - الأحرار، العدد14،ليوم 1962/12/3 ،ص5.

[5] - عبد الكريم بوصفصاف،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى(1931-1945) منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1996،ص22.

الإستقلال فقد فتحنا الأبواب لكل من هب ودب فتسرّب إلى صميم دولتنا الخونة والأعداء والمشبوهون، فمثلا في ميدان التعليم استعجلنا فيه فاعتمدنا غرضا واحدا هو التخلص من الأمية ولم نأخذ بإلاحتياط فلا نسمح بإعطاء أبنائنا إلاّ لمن وثقنا فيه ولو طال الزمن"[1].

كما يلاحظ الإهمال للمعالم التي كانت سببا في نهضة الأمة الجزائرية، وتراثها الغني بالأمجاد والعبر ومنها مدارس التعليم العربي الحر فمثلا في مدينة قسنطينة حُوّلت مقرات تلك المدارس إلى مرافق أخرى دون أدنى ملاحظة أو إشارة تذكارية، والبعض الآخر ألغي نهائيا وأصبح أطلالا أو مساكن لعائلات[2].

---

[1] - المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2] - عائشة بوتريد: التعليم العربي الحر في الجزائر ومؤسساته من1947إلى1962،قسنطينة نموذجا، ص220،رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت سنة2004 بجامعة قسنطينة.

خاتمة الفصل:

فتح الشيخ أحمد حماني عينيه وبلاده مقيدة ، و عاش فيها تحت نير الإستعمار سبعا وأربعين سنة ،وكما هو معلوم أن الإستعمار الذي تعرضت له الجزائر يختلف شكلا ومضمونا عن الغزو الذي تعرضت له باقي أجزاء الوطن العربي، ذلك أن الإحتلال الفرنسي استطاع فرض نفسه، وتثبيث أقدامه والسير وفق منهجية لتغيير البنى السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، وذلك ما لمسناه خلال معالجتنا لهذا الفصل، ومن جملة الإستنتاجات التي توصلنا إليها مايلي:

أولا: سنّ الإستعمار الفرنسي قوانين لخدمة أغراضه وللإمعان في إستغلال الجزائر أرضا وشعبا، واعتبر القطر الجزائري أرض فرنسية، وسكانه يؤدون الواجبات -التي تصل إلى درجة الإستعباد -ولا ينتظرون الحقوق.

ثانيا:قام الإحتلال الفرنسي بتحطيم البنى الإقتصادية للجزائر ، بمصادرته للأراضي وتوزيعها على الأوربيين، وكلما عاشت فرنسا أزمة إلا ووجدت الحل في المستعمرة الجديدة، سواء من حيث تصريف فائض سكانها، أو إنتاجها ،أو حتى تجاربها المختلفة، وبالتدريج وجد الجزائريون -أصحاب الأرض – أنفسهم في وضعية الغرباء ولم يكن لهم من حل سوى الهجرة أو العمل في مزارع وضيعات المعمرين، يتقاضون أجورا زهيدة وفي ظروف معاكسة تماما للمبادئ التي تتفاخر بها فرنسا والمتمثلة في العدالة والمساواة.

ثالثا:عمل الإستعمار الفرنسي طيلة تواجده على تجهيل الشعب الجزائري وتنصيره وتجريده من مقوماته الأساسية وأصالته العربية الإسلامية عن طريق غلق المدارس المحلية وتشتيت الطلاب وسجن المعلمين،كما عارض المستوطنون كل محاولة من شأنها تعليم أبناء الشعب الجزائري ولبت الحكومات الفرنسية مطالبهم في هذا الشأن.

رابعا:قامت فرنسا بتعليم فئة قليلة من الجزائريين من أبناء القياد والإقطاعيين لتحقيق أغراضها الخاصة ،ووضعت لهم برامج تركز على تمجيد تاريخ فرنسا وتعزيز وجودها بالجزائر. كما أخضعت الإسلام في الجزائر لتوجيهاتها الهدامة، وإصدار التشريعات العديدة المخالفة لمبادئ الشريعة الإسلامية بها بل وتحويل المساجد إلى كنائس.ووضع المعاهد التعليمية الإسلامية تحت إدارة الفرنسيين المسيحيين.

خامسا:بعد الإستقلال خاضت الدولة الجزائرية معارك ضد الأمية وصراعا من اجل الحفاظ على مقومات شخصية الشعب الجزائري التي ناضل من أجلها، وشارك الشيخ أحمد حماني بفعالية في سبيل ترسيخ اللغة العربية والدين الإسلامي في المؤسسات التعليمية.كما قامت بمجهودات كبيرة للتخلص من الإرث الإستعماري الذي ترك بصماته،إقتصاديا،اجتماعيا وثقافيا، لكن تبقى تلك الأعمال نسبية ، وتحتاج

الجزائر إلى تضحيات أكبر لتعزيز الإستقلال اللغوي والثقافي،خاصة وان تراكمات قرن وإثنتين وثلاثون سنة من الإستعمار الإستيطاني ليس سهلا محو آثارها دون تضحيات ،بحجم تلك التضحيات التي قدمت في السابق.

مقدمة الفصل

خصّصت هذا الفصل للحديث عن حياة وآثار الشيخ أحمد حماني وقسّمته إلى أربعة مباحث:

تناولت في المبحث الأول مولده ونسبه ومميزات العائلة التي ينتمي إليها كما ذكرها في كتابه الصراع بين السّنة والبدعة، وكما وصفها أحد أبناء منطقته الشيخ محمد الصالح بن عتيق، ثم بيّنت نشأته وتعليمه الأول الذي تمّ بمسقط رأسه بتلك البيئة الريفية لمدة15 سنة.

أما المبحث الثاني فيتناول تعليمه في مدينة قسنطينة على يد مجموعة من العلماء على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، وفي هذه البيئة الجديدة بدأ التكوين الجدّي للشيخ حماني ،عاصر فيها الصراع بين رجال الإصلاح والطرقيين، كما تطرقت في هذا الفصل إلى تعليمه في جامع الزيتونة الذي استمر من1935 إلى1944 تخللته عدة إنقطاعات بسبب الإضرابات، واندلاع الحرب العالمية الثانية، وخلال هذه الفترة لم تنقطع اتصالاته بالجزائر وبجمعية العلماء المسلمين،إذ من حين لآخر كان يعمل صحفيا لفائدة مجلة الشهاب وجريدة البصائر.

والمبحث الثالث فخصّصته للوظائف والمسؤوليات التي مارسها الشيخ أحمد حماني في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ودوره في الثورة التحريرية،وبعد الإستقلال تقلّد وظائف عدة في وزارتي التربية والتعليم الأصلي و الشؤون الدينية.

أما المبحث الرابع فتناولت فيه خصال الشيخ أحمد حماني التي استقيتها من الذين عرفوه عن قرب، وبينت الآثار المكتوبة التي تركها ،منها ما نشر أثناء حياته وبعد مماته، وقسم آخر لم ينشر بعد.

المبحث الأول: الميلاد والنشأة:

ولد أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني يوم الاثنين 26 شوال 1333هـ الموافق لـ 6 سبتمبر 1915 م بقرية آزيار من دوار تمنجر دائرة الميلية بلدية العنصر(*).لكن والده غيّر تاريخ الميلاد إلى 1920 حتى يكمل دراسته قبل أن تدركه الخدمة العسكرية[1] . ينتسب الشيخ أحمد إلى عائلة مشهود لها بمقاومة الظلم ومنه الظلم الإستعماري، فقد رأى بنفسه بعض أنواع الأسلحة المحفوظة عند عمّه الصادق وهي لجدّهم الذي عاصر الإحتلال الفرنسي للمنطقة وقاومه بتلك الأسلحة ،كما لم يسجل التاريخ طيلة الإحتلال أن واحدا من العائلة تعاون- بالعمل في وظيفة بسيطة أو خطيرة- مع الفرنسيين حتى كتبت التقارير الفرنسية في تحرياتها عن المنتمين إلى عائلة حماني بأنهم من عائلة مشبوهة[2] . ويذكر محمد الصالح بن عتيق في مذكراته عن والد الشيخ أحمد بأنه "أحد العلماء المصلحين، تتلمذ على يد الصالح بن مهنا الذي أخذ العلم بالأزهر، وقد كان محمد حماني من أنصار الإصلاح والمحاربين للطرقية التي هي وسيلة الإستعمار في نشر البدع والخرفات، وهذا الرجل له وزنه في المنطقة وكلمته مسموعة بها ،فهو مشهود له بالعلم والمعرفة"[3].إذن كانت الخطوات الأولى لأحمد حماني وسط هذه الأسرة التي اشتهرت بالعلم والعمل بدءا بجده الأول محمد الذى شارك في صناعة القرار في أواخر العهد العثماني،بحكم كونه من رجال إدارة ابن عزالدين، إلى مقاومة الإستعمار والحرص على بث الروح المتميزة ،الرافضة للظلم والتي جسدها جدّه الثاني مسعود الذي ضرب قائدا عينته فرنسا، إلى أبيه محمد الذي سبق وصفه . ويذكر حماني في مذكراته، حرص عائلته على تعليم أبنائها إلى جانب تدريبهم على الحياة ومشاقها من البداية ،يقول:" كنّا نقرأ القرآن ونعمل: نشارك في الحياة بمقدار جهدنا ،إذ أخرجنا من الكُتاب أعطي لنا قطيع الجديان والخرفان للرّعي، وإذا جاءت غلة الزيتون عطلنا القراءة وشاركنا في أعمال الجمع والإلتقاط والعجن، ولما أخذنا ندرك تعلم الصلاة ،علّمنا والدي رحمه الله فرائضها وسننها وعلمنا

(*)- تبعد قرية آزيار بنحو 6كلم عن العنصر.توجد في مكان وعر شديد الإنحدار، عسير الطريق معزول تماما، يبتدأ في قمة أحد الجبال التي يرى منها البحر المتوسط ثم ينحدر نحو الوادي العميق والمكان كله جبال خضراء. من مخطوط للشيخ أحمد حماني،سلمني أياه إبنه عمر.

[1]- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة ،ج2، ط1،دار البعث،قسنطينة،الجزائر،1984، ص287.

[2]- المرجع نفسه،ص285.

[3]- محمد الصالح بن عتيق:المرجع السابق،ص110.

رسم القرآن، ولما شببنا عن الطوق شاركنا بعمل أكثر في رعي قطيع الحيوانات وإطعامها العلف والحصاد والدرس وحراسة الحقول"[1].

هذه التنشأة في بيئة ريفية،لقّنت حماني دروسا لاتقدر بثمن، فتعلم معنى الصبر على الشدائد في وسط طبيعي تكثر فيها الصعاب، والأكثر من ذلك تعلم الإخلاص وصفاء السريرة كصفاء ونقاوة هواء البادية القليلة السكان، التي عادة ما تكون سالمة من شرور، تجد طريقها في مجتمعات كثيرة العدد، لكن دُوّار ازيار أين تربى حماني حوالي خمسة عشر سنة، سكانه معروفون والنظام القبلي لازال سائدا به، وعزلة هذه القرية فضل من الله على القرية وسكانها، وفي هذا إلاطار يقول حماني:" وكانت هذه العزلة من فضل الله على السكان إذ كانوا لايعرفون عن الروامة وشرورهم إلاّ بالسماع ولا يرون منهم إلاّ حارس الغابة، أو بعض رجال الدرك الذين كانوا يزورون الدوار لمطاردة الهاربين من شر فرنسا راكبين خيولهم.كما أن أخبار القرية وشؤونها لا يصل إلى مسامع العدو إلا قليلا حتى القايد قد أبعد الله شره عنها لأن مقره في بني فتح على بضعة أميال، وبينها وبين ازيار غابات ووديان فإذا جاء الفصل المطير انقطعت الطرق، لذلك كان سكان ازيار يعيشون في شبه جمهورية لهم قوانين، ورئاسة العقلاء يطيعونهم في المعروف"[2] وكانت تلك السنوات كافية لتحصينه حين يباشر السفر طلبا للعلم، فيأمن شرور النفس ويتقوى على الشدائد التي تعترضه ومنها الفقر و قلة المال.

---

[1]- أحمد حماني، وثيقة مكتوبة بالآلة الراقنة،تحصلت عليها من أرشيف عائلته.

[2]- أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،والشيخ الصادق حماني،قصر الكتاب،2004،ص69.

المبحث الثاني : تعليمه ورحلاته:

تلقى الشيخ أحمد حماني تعليمه الأول في مسقط رأسه على يد والده محمد الذي تتلمذ لمدة سبع سنوات في قسنطينة على يد محمد الصالح بن مهنا(*)،ثم دخل كُتّاب القرية وعمره خمس سنوات فتعلم شيئا من القرآن الكريم وبعض مبادئ التوحيد والفقه، أولا على يد الشيخ حمو بن العربي بودن وثانيا على يد معلم جديد قدم من ميلة ، حيث حفظ القرآن هناك، هو الشيخ يوسف بن المختار حماني، وهذا التغيير في المعلمين أحيانا راجع إلى أن بعضهم لاتكفيه أجرة التعليم الزهيدة فينقطع ليحصل على أجرة أكبر في موسم الحصاد[1].

بعد خمسة عشر سنة قضاها أحمد حماني بدوار ازيار، إنتقل هو وابن عمه الصادق سنة1930 رفقة أخيه الشيخ محمود، تلميذ ابن باديس(**) ، إلى مدينة قسنطينة ونزلوا بجامع سيدي محمد النجار ،وكان يُعلم به عمر الميلي وعجوز آخر إسمه الشيخ المدني وخوفا من إضاعة الوقت تولى محمود تعليم أخيه بنفسه وحفظ الشيخ أحمد القرآن في هذا الجامع عن ظهر قلب، ثم في زاوية مولاي الطيب في حي سيدي بوعنابة ،وفي مدة قصيرة اتقن حفظ القرآن[2] . أثناء تواجده بقسنطينة التي أقام بها من 1930 إلى 1934 كان ينهل من مراكز العلم المنتشرة بأرجائها ومنها الجامع الأخضر وسيدي قموش. في البداية تعلم على يد الشيخ أحمد الحبيباتني مرازقة الذي كان يلقي

(*)- ولد محمد الصالح بن مهنا بقسنطينة سنة1854 ، كان من أكبر علماء عصره ، واصل تعليمه بالأزهر بمصر ثم رجع إلى قسنطينة بفكرة الإصلاح التي بثها الشيخ محمد عبده .توفي في 11 أفريل1910. المرجع:عبد الكريم بوصفصاف وآخرون:معجم أعلام الجزائرفي القرنين التاسع عشر والعشرين،ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري ،قسنطينة،دار الهدى،2002،ص 126.

[1]- أحمد حماني،المصدر السابق،ص7.

(**)– هوعبد الحميد بن باديس(1889-1940) نذر نفسه-وهو في رعيان شبابه-لخدمة الجزائر دينيا،ثقافيا ،سياسيا واجتماعيا، ينتمي لعائلة تاريخية قسنطينية عريقة في المجد ،مارست الحكم منذ العصور الإسلامية حتى الإحتلال الفرنسي.درس إبن باديس في جامع الزيتونة مدة ثلاث سنوات وتخرج منها بشهادة التطويع، وعلى عادة خرجي الزيتونة علم ابن باديس سنة كاملة بها ليعود لمسقط رأسه قسنطينة ويباشر التدريس بها ونتيجة لظروف معينة سافر إلى المشرق لأداء فريضة الحج أين إحتك بمشائخ وعلماء نصحوه بالعودة إلى الجزائر التي تعاني الإحتلال الفرنسي المسيحي ، وفعلا عاد الشيخ عبد الحميد بن باديس ليواصل معاركه في إزالة حجاب الجهل عن الجزائريين ويرشدهم لمنابع الإسلام الصافية والإبتعاد عن الطرقية التي تعد مثابة الذراع الأيمن للاستعمار، وأسس لهذا الغرض جمعية العلماء المسلمين الجزائرين ،التي يعتبر أحمد حماني أحد تلاميذها. المرجع:عبد الكريم بوصفصاف وآخرون:معجم أعلام الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين،المرجع السابق،صص13،27.

[2]- الصادق مخلوف :شاهد القرن :الشيخ أحمد حماني،بمناسبة تخرج الدفعة الخامسة عشر لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،دار الهدى،2002 ،ص 7.

درسه في مختصر خليل بزاوية عيساوة مع درس في التوحيد، فلازم دروسه لأن الزاوية العيساوية أقرب إلى الزاوية الطيبية أين كان يقيم الطالب أحمد، ثم أصبح يتنقل ليحضر درس التفسير في الجامع الأخضر الذي يلقيه الشيخ عبد الحميد بن باديس وأول درس للتفسير سمعه عنه حول قوله تعالى:"وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين"(*) كما كان الشيخ يلقي دروسا في التربية من أحاديث صحيحة تحت عنوان من جوامع الكلام النبوية أو من أبيات شعرية، ويذكر حماني أنه سمع منه شرح قوله صلى الله عليه وسلم:"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ولاتقل لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر الله ماشاء فعل"[1] ومن الشعر شعر حسان، النابغة الجعذي، المتنبي...وغيرها من الأشعار التي تبعث العزة في النفوس وتعلم الحكمة، وتغرس حب العرب والعربية ومن العلماء الذين أخذ عنهم العلم في هذه الفترة السعيد الزموشي و الشريف الصائغي(**):عن الأول أخذ النحو والصرف والفقه والتوحيد وعن الثاني الحساب والجغرافية والتاريخ ،كما كان يستفيد من دروس الفيلالي الخنقي، الفضيل الورتلاني(***) ،محمد ميهوبي، محمد المليانى، عبد العالي الأخضري.. البرامج الدراسية هي دواوين شعر العرب،الأجرومية بشرح الشيخ خالد، الرسالة بشرح أبي الحسن، والصرف بمتن الزنجاني بشرح العزى والأربعين نووية.

وفي السنة الدراسية الثانية(1932-1933) تفتحت شهية الشيخ أحمد حماني لطلب العلم أكثر ،خاصة وأنه تأقلم في هذا الجو العلمي الذي ميز مدينة قسنطينة بفضل الله أولا ،وجهود جمعية العلماء التي تأسست في17ذي الحجة1349ه الموفق ل 5 ماي 1931.أصبح أحمد حماني مداوما على دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر، يبتدأ الدرس الأول على الساعة الخامسة والنصف والويل لمن لا يحضر في الموعد فقد كان الشيخ مهاب الجانب والطلبة يخشون الوقوف أمامه لسماع توبيخه أو تقريعه.كانت الدراسة تستمر حسب الطبقات المتوالية للجلوس أمامه، ويحضر الجميع في صلاة الظهر حيث يستمعون منه، سرد كتاب المنذرى(الترغيب والترهيب) فقد كان يقرأ بعض الأحاديث دون شرح أو تعليق ومما يذكره حماني حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:"لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما" ثم تستأنف الدراسة على الساعة الواحدة والنصف إلى صلاة العصر، ثم يخلد الجميع إلى الراحة واسترجاع الطاقة لحضور دروس التفسير و

(*)- سورة الكهف،الآية60.

1- أحمد حماني:المصدر السابق،ص ص12،11.

(**)- الشريف الصائغي إنفصل عن الجمعية وأنضم إلى خصومها بعد أن عزل عن مدرسة التربية والتعليم كمدير لها وتمت تسمية غيره، آخر ما حضره من أعمال الجمعية المؤتمر العام لها سنة1934.

(***)- ولد الفضيل الورتلاني في قبيلة بني ورثلان بولاية سطيف يوم6 فيفري1900، كان عالما ومجاهدا وسياسيا،أديبا وصحفيا، درس على يد عبد الحميد بن باديس .توفي سنة1959، من آثاره "الجزائر الثائرة".

القوانين الفقهية بعد العشاء والتي يحضرها عامة الناس وأئمة جميع مساجد قسنطينة.[1] وخلال تلك السنة الدراسية أصبح الصراع عنيفا بين جمعية العلماء وخصومها من الإستعمار وأعوانه(*)، خاصة بعدما يئسوا في سنة1932 من تجديد المجلس الإداري للجمعية بأعضاء يكونوا في خدمة الإحتلال الفرنسي .

وفي السنة الدراسية الثالثة(1933-1934) واصل أحمد حماني الدراسة على معلمه عبد الحميد بن باديس الذي إرتقى بهم إلى ألفية بن مالك ،مختصر خليل، وجوهرة التوحيد في العقيدة وفي الأصول درسهم مفتاح الوصول إلى تطبيق الفروع على الأصول للشريف التلمساني وكان الشيخ معجبا بهذا الجزائري الذي درس على يد الشاطبي صاحب الموافقات، وفي الأدب كان الأستاذ يعتمد على كتاب الأمالي لأبي علي القالي، وكان عبد الحميد يتولى تفسير ما يرويه من نثر أو شعر ، ومما درسهم في الشعر معلقة عنتر بن شداد ،وكان يثير فيهم الحماسة وأخلاق أجدادهم العرب الذين على رغم جاهليتهم إلا أن بعض أخلاقهم هي أخلاق رفيعة كإغاثة الملهوف، إكرام الضيف، نجدة المستغيث،الشجاعة... ويبدو أن تعلق حماني بالشعر يعود إلى هذه الفترة ، ويصرح لاحقا بمدى ولعه وحبه لشعر المتنبي، و كان الشيخ في مداخلاته غالبا ما يستشهد بأبيات من ديوانه.[2]

وبالموازاة مع التحصيل العلمي كان أحمد حماني خلال هذه السنة الدراسية الأخيرة يتكون ميدانيا وذلك بقراءة المقالات والردود، وزياراته إلى إدارة الشهاب ومطبعتها، ومشاركته في التحولات والصراعات التي شهدتها الساحة القسنطينية، أبرزها حضوره الفعال للمظاهرة الشعبية الكبرى بقيادة عبد الحميد بن باديس وبن جلول والتي كانت ضد القرارات الفرنسية التعسفية القاضية بإغلاق المساجد في وجه العلماء والمدرسين، كما كان شاهدا على حوادث أوت الدامية بقسنطينة والتي أذلت اليهود، كل ذلك ترك أثره الواضح في تكوين شخصية أحمد حماني علميا وسياسيا حيث يقول في هذا الصدد:"كل هذا ترك أثره الواضح في تكويننا.."[3].وفي هذه السنة حضر الإجتماع العام

---

[1]- أحمد حماني :شهداء علماء معهد بن باديس،المصدر السابق،ص14.

(*)- ومن هؤلاء الخصوم الزاوية العليوية بمستغانم والتي تنسب إلى الشيخ بن عليوة :وهو أحمد بن مصطفي بن أحمد المستغانمي ابو العباس الشهير بالعلوي ولد1874، متصوف من أهل مستغانم وله زاوية فيها، عرف بعدائه الصريح للحركة الإصلاحية الإسلامية بقيادة جمعية العلماء توفي سنة1934. أنظرعبد الكريم بوصفصاف واخرون معجم أعلام الجزائر،ج1،مرجع سابق،ص104.

[2]- شهادة محمد الهادي الحسني (رفيق الشيخ) في الملتقى الوطني الأول الذي حمل إسم أحمد حماني وخصص للخطاب المسجدي في الجزائر، نظمته مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بجيجل يومي08-09-جويلية2007.

[3]- أحمد حماني :الصراع بين السنة والبدعة، ج2، المصدر السابق،ص289.

لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة بدعوة ممضاة من الشيخ عبد الحميد بن باديس ،ولأول مرة يحضر مثل هذه الإجتماعات ويستمع لعلماء القطر ،أدبائه ،كتابه وشعرائه منهم البشير الإبراهيمي،السعيد الزاهري، محمد العيد آل خليفة، وشارك في هذا الإجتماع بأول عمل له إذ عين في لجنة الإنتخابات كأصغر الأعضاء العاملين بجانب المهدي البوعبدلي وقدورابن هونة.[1]

بعد إنهاء تعليمه بمدينة قسنطينة ،قرر محمد حماني أن يرسل ابنه أحمد وابن أخيه الصادق[(*)] لمواصلة الدراسة بتونس، بالرغم من الإمكانات البسيطة التي يمتلكها ،وهذا السفر يستوجب الإعداد المادي ،ممّا كلّف والده كثيرا، إذ اشترى له كبشا قدّد لحمه بقيمة150 فرنك ،وزوده بستة لترات من الزيت ونقوذ السفر والإقامة والتي بلغت 400فرنك. في يوم 26 سبتمبر 1934 أقلع متجها إلى تبسة بعد أن ودعه أباه بالبكاء وتفاجأ الابن أحمد لبكاء أبيه وهو الشهم القوي، يقول حماني:"ومارأيته يبكي وينتحب في يوم من الأيام إلا في سنة1927 يوم قبل إبنه محمود إلى الجندية الفرنسية فأبكاه أن يقطع إبنه دراسته ويكون في خدمة العدو، أما اليوم وبعد سبعة سنوات فهو يبكي لمفارقة ابنه الحديث السن لمغامرة مجهولة المآل بعد أن اشتدت الحاجة إلى خدماته، ويبكي لأن السن قد علت به وحَوّم على السبعين، قاصفة الأعمار وربما كانت هذه الرحلة آخر مرحلة للقاء"[2]. وصل أحمد حماني وبرفقته ابن عمه الصادق إلى تبسة مساء، وكان المبيت في الحمام وليس في الفندق لغلاء ثمنه ،وفي الصباح ركب القطار إلى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة ويكون من طلبته في3 أكتوبر سنة1934.

قضى أحمد حماني السنة الدراسية الأولى بجامع الزيتونة(1934-1935) كطالب حر إذ وجد أن دراسته بقسنطينة كانت ناقصة من بعض المعارف الخاصة بالجامع الأعظم فاستدركها خلال هذه السنة وكان يحضر دروس مشائخ الزيتونة بالإضافة إلى إنتسابه للمدرسة الخلدونية التي كانت قريبة من الزيتونة وفيها درس الرياضيات على يد صالح رضا الأحمر، وبلحسن بن شعبان مدرس الإنشاء كما درس فيها الفرنسية، وبعد أيام إلتقى الشيخ أحمد بالشيخ محمد بن الصادق جلولي المليانى[(**)] الذي جاء لتونس للتحصيل العلمي وهو من الطلبة الذين كانوا يحرسون ويرافقون الشيخ عبد الحميد ابن باديس بعد محاولة إغتياله من طرف العليويين في ديسمبر1926 وأنتقل الثلاث أحمد

---

[1]- أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،المصدر السابق،ص23.

[(*)]- يعتبر الصادق حماني ابن عمه ورفيق مشواره التعلمي والتعليمي من أعزأصدقائه، لذلك كتب عنه كتاب نشر بعد وفاته بعنوان شهداء علماء معهد ابن باديس والشيخ الصادق حماني.

[2]- أحمد حماني ،المصدر السابق،ص26.

[(**)]- ولد في 12افريل1901 ببلدية جندل ولاية عين الدفلى وهو أحد تلامذة بن باديس توفي في 30اكتوبر 1984.

والصادق والملياني للإقامة بنهج الطعمة رقم8 ،مقابل30فرنكا للشهر.وكان أحمد يدرس من الثامنة صباحا إلى منتصف النهار ثم يعود إلى البيت لإعداد الطعام والأكل ليرجع إلى الدراسة بالزيتونة على الساعة الثالثة مساء حتى الخامسة، وبعد استراحة ينتقل طوعا للإستزادة في العلم في مدرسة الخلدونية أو غيرها . وهكذا قضى العام الأول في الجد والإجتهاد حتى شارك في إمتحان السنة الرابعة ليدخل كطالب نظامي وكان موضوع الإمتحان المفعول معه وأحكامه والإظهار وأحكامه[1].

أما في السنة الدراسية الثانية(1935-1936) فأصبح الشيخ أحمد حماني طالبا نظاميا، درس خلالها الجزء الثاني من كتاب ابن عقيل على العلامة الشاذلي النيفر، كما درس أقرب المسالك للعلامة الدردير وكتبا أخرى تحضيرا للشهادة الأهلية ،لكن إضرابا مفاجئا عطل الدراسة لشهرين ، بعدها دخل الطالب إمتحان الشهادة الأهلية وكان عدد الطلبة خمسمائة طالب ونجح حماني بترتيب ثالث بعد الأستاذين الشاذلي المكي وأحمد دويرة[2].

وفي السنة الدراسية الثالثة(1936-1937): درس الشيخ أحمد حماني الأشموني على الألفية وهو كتاب في آداب اللغة وقواعدها، العاصمية في فقه القضاء،اقرب المسالك الجزء الثاني، التلخيص بشرح سعد الدين التفتزاني ، وفي هذه السنة تخلى عن دروس الخلدونية لأن الدروس بالزيتونة أصبحت كثيرة وممتعة، لكن هذه المتعة ما لبثت أن قطعت بإضراب أتى على كل مجهودات هذه السنة الدراسية.

وعاد حماني إلى الجزائر أين عمل لفائدة مجلة الشهاب كمتجول وكناشط شاب يحث الشباب على طلب العلم ودراسة تاريخهم الإسلامي، وأول محاضرة ألقاها في أوت1937 في موضوع الشباب المسلم في ناد مليء بالشباب بسكيكدة وقد نشرت هذه المحاضرة في الشهاب تحت عنوان"واجب شبابنا"(*) ومما جاء فيها:"أن الشباب هو الروح المتحركة الناشطة الفعالة في الأمة فإن أنت-أيها الشباب- أخلدت إلى التكاسل والبطالة واستعذبت النوم والجهالة فاعرف أي ذنب بل أي جرم جنيته على أمتك وبلادك.لقد كان الشباب المسلم في أول حياة الإسلام أنشط الشباب وأقدره على تسيير دفة السياسة وإحراز الفوز والنصر ونشر المدنية والعلم، ورفع راية الدين فكان له الفضل في نشر الإسلام والتبشير به حتى فتح نصف الكرة الأرضية في نصف قرن، فهل سمعتم بشباب يفعل مثل هذا ؟ إقرؤوا تاريخكم-أيها الشباب- لتعلموا أعمال الشباب مثلكم في تاريخ الإسلام فلعلكم تجعلونها نبراسا لكم...فلقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم الراية لأسامة بن زيد على جيش فيه أفاضل

---

[1] - أحمد حماني :الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص ص289،287.

[2] - أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،المصر السابق،ص32.

(*)– أنظر الملحق رقم: 15.

الصحابة وعمره لم يبلغ العشرين سنة فغزا وانتصر ورجع ظافرا"[1].تمكن أثناء تجوله لصالح مجلة الشهاب من جمع بعض المال يذخره للدراسة في العام الموالي وبذلك خفف من الأعباء المالية التي أرهقت والده.

في السنة الدراسية الرابعة(1937-1938) استأنف الطالب أحمد دروس السنة السابقة لأنه لم يسمح له كبقية الطلبة بإمتحان آخر السنة ،وفي مارس 1938 وصلته رسالة من أحمد بوشمال يخبره بأن جريدة البصائر تعاني من ضائقة مالية وأن علي مرحوم المسؤول عن جمع اشتراكاتها قد دخل المستشفي فهل بإمكانه تعويضه لبعض الوقت، فاستجاب أحمد حماني لنداء الوطن ونداء الحاجة ،فهو كذلك يجد صعوبة في تمويل دراسته بتونس. إنقطع أحمد حماني عن الدروس عائدا إلى قسنطينة وما إن انتهت مهمته حتى عاد إلى الزيتونة ، وقد اعانه ابن عمه الصادق على استدراك مافاته وجاءت إمتحانات آخر السنة،التي أربكت حماني وفي هذا الصدد يقول:" ماشككت مرة في نتيجة الإمتحان كيومي ذاك إذ سألني الممتحن في فن المنطق القديم وكان كتابه (التهذيب) أبغض الكتب إلى نفسي، فأجبت وارتقى معي الأستاذ في السؤال،فأجبت وزاد في التدقيق فهجت لمعلوماتي الهشة وأسأت الأدب ولكنه كان واسع الصدر فاكتفى بالإنكار علي وتابع أسئلته حتى نهاية الإمتحان.وكان أستاذي إنسانا عدلا معتدلا فلم يؤاخذني وظهرت النتيجة وطلع إسمي في قائمة الناجحين"[2]. وبعد هذا النجاح قفل عائدا إلى قسنطينة وهذه المرة كانت عطلته الصيفية أكثر تكثيفا من سابقاتها إذ قام بجولة صحفية أخرى لفائدة جريدة البصائر(*) ،شملت غرب العاصمة وشرقها، بلاد القبائل الكبرى ثم عمالة وهران، وفي مقالاته المنشورة بذات الجريدة كان يكتب لمحة وجيزة عن القرية او المدينة التي يحل بها ،يصف حالتها الإجتماعية، الدينية والثقافية، كما يبين الخلافات والمشاكل التي تعاني منها الحركة الإصلاحية ، ويقترح حلولا لوحدة وتماسك المجتمع ،فمثلا أثناء وجوده بقرية سيدي عيسى لاحظ حماني وجود مسجدين بها بالرغم من صغر مساحتها فنبه إلى الخلاف الذي حدث بسبب ذلك بقوله"كان ينبغي أن يتعاون القائمون على المسجدين ويتحدوا في بناء واحد فقط، ولكن لم يقدر لهما هذا الإتحاد، وراح كل منهم يقوم بمسجده مستقلا ، ونشأ من ذلك بينهم خلاف نرجو أن يزول سريعا.ونتمنى أن يسود بينهم الوداد والتفاهم وأن يتعاونوا في كل

---

[1]-أحمد حماني:واجب شبابنا، مجلة الشهاب، المجلد الرابع عشر، السنة الرابعة عشر(1936-1937)،ط1، دار الغرب الإسلامي ، 2001 ،ص82.

[2]- أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،المصدر السابق،ص40.

(*)- أنظر الملاحق رقم:1،2،7 وكانت مقالات الشيخ حماني تنشر تحت عنوان : حديث المتجول.

مشاريعهم إذ بالتعاون تدوم المشاريع وبالتخاذل تضمحل"[1]. وهكذا نلمس من هذا النموذج أن الشيخ أحمد حماني كان يؤدي عملا صحفيا لكن بشعور بالانتماء الى هذا الوطن المقيد ومن واجبه تنبيه قرائه وإرشادهم إلى كل ما يضر ببلادهم المحتلة وخاصة الإختلاف الممقوت الذي يراهن عليه الإستعمار.ولما وصل في جولته الصحفية إلى سيدي بلعباس حان وقت عقد الإجتماع العام لجمعية العلماء فسافر إليه وفد كبير من وهران ومن ضمنهم الشيخ أحمد حماني .ويعتبر هذا الاجتماع الثاني الذي حضره، وعين فيه كاتبا لوقائعه ومن الأحداث التي عاشها في هذا الإجتماع وقوف الشيخ الطيب العقبي(*) في الحاضرين الذين غصت بهم القاعة، معلنا استقالته من الجمعية التي كان مكونا لها لا لأنها هي التي كونته، فقال له ابن باديس بين سبب استقالتك، لكن الطيب قال لاستطيع و أعلن تأجيله إلى يوم الأحد ولما انتهى من كلامه وقف ابن باديس وقال أما أنا فاستطيع، ثم بين رحمه الله برقية قدمت إليهم ،ليقدموا فيها شواهد الإخلاص لفرنسا كما قدمها غيرهم، وقال أنه رفض أن يمضي هذه البرقية وأن اليد التي تمضيها تستحق القطع.وكان الذي جاء بالبرقية الشيخ الطيب العقبي، وصرح إما أن تمضى هذه البرقية وإما أن ينسحب من الجمعية ويستقيل.وقد وافق الحضور على كلام ابن باديس ورفضت البرقية بالإجماع.وبصفته مراسلا للبصائر كتب الشيخ حماني مقالا عن تلك الوقائع بين فيه أسباب إستقالة العقبي من الجمعية، فخفف بذلك من أثر الإنشقاق في مجلس العلماء ،على أنصار الجمعية[2]. ثم عاد أحمد حماني إلى جولاته الصحفية وهذه المرة كلف بجنوب عمالة قسنطينة:الوادي وبسكرة، ولما اقترب الموعد الدراسي بالزيتونة شد الرحال إلى تونس.

---

[1] - البصائر :حديث المتجول، السنة الثالثة،العدد126، ليوم 12-8-1938.

(*)– العقبي الطيب (1889-1961): ولد في بلدية سيدي عقبة بالقرب من بسكرة، هاجر الى المشرق مع أسرته سنة1895.عاد إلى الجزائر سنة1920 وأظهر نشاطا كبيرا في محاربة البدع والخرافات التي كان ينشرها بعض الطرقيين بتشجيع من السلطات الإستعمارية.كان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة1931، واستقال من مجلسها الإداري في سبتمبر 1938 لخلاف وقع بينه وبين إبن باديس.كان العقبي قبل سنة1938 شبحا مخيفا لإدارة السلطات الإستعمارية التي وصفته في منشور ميشال 1933 بأنه داعية وهابي مهيج للجماهير الشعبية، بعد خروجه من الجمعية ، أصبح الشيخ العقبي يحضر إجتماعات ومؤتمرات الطرق الصوفية التي قاومها عقدين من الزمن، مع أنه بقي يدعو إلى الإصلاح في ظل الوجود الفرنسي. للمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية ،أنظر معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، لعبد الكريم بوصفصاف وآخرون،ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ،جامعة منتوري، إبتداء من الصفحة 220.

[2] - أحمد حماني:شهداء علماء معهد بن باديس،المصدرالسابق،ص42.

وكانت السنة الدراسية الخامسة(1938-1939) : سنة دراسية عادية بالرغم من تعرضها لبعض العواصف التي سرعان ما تسكن، وأمكن السير بها حتى شهر جويلية إذ تمت دورات الإختبارات الفصلية والإمتحانات السنوية في مواعيدها وتمكن الشيخ أحمد من النجاح فيها بسهولة لينتقل إلى السنة السابعة وهي سنة الترشح لنيل شهادة التحصيل. وخلال سنة1939 نالت ثلة من الجزائريين(*) تلك الشهادة ولما رجعوا اجتمع بهم الإمام عبد الحميد بن باديس في إحتفال رسمي، خطب فيهم خطبة مؤثرة ، كانت آخر خطبة له وآخر لقاء له بالجمهور، ثم قدم الشيخ عبد الحميد للخطابة، علي مرحوم معتزا به قائلا عنه"..كالصخرة الصماء يثير الغبار حوله حيثما نزل" وبعد إنتهاء علي من خطبته، قدم بن باديس مترجمنا النحيف الجسم أحمد حماني بهذه الكلمات:"..هذا إلابن الذي لايكاد يزن أربع أواق من اللحم ومع ذلك وقف في بعض الحلاقيم الكبيرة كالشجى ولم تستطع ابتلاعه"[1] ويشير الشيخ إلى رجال المخابرات الفرنسية(إدارة الشؤون الأهلية بالجزائر) الذين تتبعوه بسبب نشاطه الصحفي في جرائد تونس لكن لم يتمكنوا من معرفته لأنه كان يكتب بلقب مستعار لقبه به بن باديس وهوالعيشاوي(**).أثناء تواجده بقسنطينة سبتمبر 1939 أخبر حماني بأن أباه طريح الفراش يستدعيه ليكون بجانبه، ففعل ،ومكث معه حتى قبضت روحه في 2 نوفمبر1939 ،بعد دفنه وجمع غلة الزيتون رجع إلى قسنطينة، متأثرا بوفاة والده يدبر أمره بفتور ، وقد كان لإبن خاله محمد بن عبد الله الزاهي دورا في تعبأة الشيخ حماني والرفع من معنوياته من اجل إكمال دراسته بتونس ،يذكر حماني أنه في نوفمبر1939 قضى الليل كله مع الزاهي بدكانه بقسنطينة والذي مافتئ يعظه ويرشده، وكان حديثه الهادئ والرزين، العذب المسلي يواسي بجراحاته حتى استطاع أن يبعث في نفسه الأمل وحبب له المغامرة كما غامر هو من قبل، فاندفع حماني نحو المغامرة، وتهيأ بقليل من الزاد وانطلق إلى تونس من جديد، ترن في آذانه كلمات أبيه رحمه الله التي تعتبر آخر ما سمعه منه"يا أحمد تابع دراستك وأكملها"[2] . وهذه المرة سيمكث في تونس 5 سنوات تقريبا حتى أفريل1944، تحصل خلالها على شهادة التحصيل1940 وشهادة العالمية1943.

(*)- منهم مولود النجار من القرارم، الاعور يوسف القلي، عمار بوصبيعة القلي، عمار سنقوقة السلطاني، الخير حرشي.

[1]- عبد اللطيف بن العربي: المقال البرهاني في ثناء أهل العلم والفكر على العلامة أحمد حماني،البصائر ،السلسلة الرابعة،السنةالسابعة،العدد347 ،من9 إلى16 جويلية2007،ص9 .

(**)- أظن أن هذا الإسم نسبة إلى جبل مسيد عيشة القريب من مسقط رأس الشيخ أحمد حماني.

[2]- المرجع نفسه ،شهداء علماء معهد بن باديس،ص84.

وقد شهدت السنة السادسة1939(-1940) إنقطاعات عديدة بسبب إندلاع الحرب العالمية الثانية لكن الإنقطاع الأكبر الذي أثر على نفسية الطلبة ، كان في شهر جوان1940 موعد إجراء إمتحان شهادة التحصيل، استأنفت الدراسة في اكتوبر1940 واجري الإمتحان الذي أعلنت نتائجه في 3 ديسمبر1940 وكان الطالب أحمد حماني من الفائزين بتفوق وسجل إسمه ضمن طلبة التعليم العالي[1].

بعد تفوقه في شهادة التحصيل، سجل الطالب أحمد حماني نفسه بالزيتونة لإتمام الدراسة في القسم الشرعي، كما أنه لم يكن يتغيب عن دروس القسم الأدبي وخصوصا دراسة كتاب "مغني اللبيب" لابن هشام ،ويعزو حماني مواصلة دراسته خلال تلك الأيام العصيبة من الحرب العالمية الثانية إلى المساعدة المادية التي كان يتلقاها باستمرارمن جمعية التربية والتعليم والتي فهمها كتعويض له على عدم ذهابه في بعثة الجمعية إلى الأزهر نظرا لظروف الحرب(*)[2]

لم تكن السنة الدراسة الأخيرة سهلة، خاصة وأن الحرب أصبحت تدور رحاها على أرض شمال إفريقيا وظلت الإنقطاعات تلازم الطلبة حتى ربيع1943 ،وفي أشهر قليلة تمت الإستعدادات لإجراء الإمتحانات في شهر جويلية من نفس السنة ،ونال الطالب أحمد حماني شهادة العالمية في القسم الشرعي بتفوق، لكن فرحته ما لبثت أن زالت بعد عودة فرنسا إلى تونس من جديد مع حلفائها وإعلان عزمها على معاقبة كل من قام بنشاط وطني ضدها أثناء غيابها، وقد شمل هذا التهديد الشيخ حماني[3] .

من مشائخه بجامع الزيتونة في الفترة الأولى:حمادي بن الأمين، محمد الشاذلي النيفر(**)، الطاهر

---

[1] - أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة، ج2، المصدر السابق،ص290.

(*)– في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي،قررت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إرسال طلبتها المتفوقين لجامع الأزهر بمصر لمزيد من التكوين، وكان من بينهم أحمد حماني ، لكن إندلاع الحرب العالمية الثانية حالت دون ذلك.

[2] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - المصدر نفسه،ص292.

(**)- ولد محمد الشاذلي النيفر يوم29 جوان1911 في مدينة تونس، اعتنى بتربيته والده محمد الصادق النيفر القاضي وأحد واضعي أسس السياسة التونسية التي أدت إلى الإستقلال، تقلد محمد الشاذلي عدة مناصب بدأها بالتدريس، واسندت له وظائف دينية وسياسية توفي في4 ديسمبر1997.

القصار، الطيب التليلي،علي النيفر،محمد الشاذلي بن القاضي(*)،الطاهر بن عبد السلام، معاوية التميمي،المختار بن محمود، بوشناق الحطاب، محمد عباس، أحمد بن ميلاد،عبد السلام التونسي ، محمد الزغواني، بلحسن النجار، عبد العزيز بن الأمين. أما في مرحلة الثانية فتتلمذ على يد الفاضل بن عاشور(**)، محمد الصالح بن مراد، البشير النيفر ، محمد العنابي بلحسن النجار، العربي الماجري،الهادي بلقاضي.

ومنذ سنواته الأولى بتونس، كان لأحمد حماني الشاب دورا فعالا في إعادة بعث جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، هذه الجمعية التي تأسست سنة1933[1]،بإيحاء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إذ زار البشير الإبراهيمي تونس في بداية الثلاثينيات واجتمع بالطلبة الجزائريين هناك وألقى فيهم خطابا يحثهم فيه على التوحد ورص الصفوف وتنظيم أنفسهم[2]، فعدد الطلبة كان بحاجة الى تنظيم قانوني يكفل لهم حرية العمل ويمكنهم من إطار منظم يجمع شتاتهم ويوحد كلمتهم ويكتل جهودهم، كان رئيسها الأول المهدي البجائي والذي لم تدم رئاسته لها، لتتحول إلى عبد المجيد حيرش الذي بقي على رأسها إلى سنة1934 ثم خلفه سنة1935 الشاذلي المكي لمدة أربعة سنوات[3] ، وفي عهد هذا الأخير كان العمل المثمر والفعال للجمعية التي شهدت نوعا من الفتور منذ تأسيسها وكان للشيخ احمد حماني دور بارز إلى جانب ثلة من رفقائه في إعادة بعث هذه الجمعية بهيأة جديدة، قامت بدور فعال في دفع الطلبة الجزائريين إلى العمل الفكري والسياسي، وربط الصلة

(*)- محمد الشاذلي بن القاضي من مواليد1901 بتونس كان علامة زمانه في العربية والفقه الحنفي، ابتدأ التدريس متطوعا سنة1923 ثم إرتقى إلى رتبة مدرس من الطبقة الثانية1926 وفاز في مناظرة المدرسين من الطبقة الأولى1932، ثم نال رتبة أستاذ بالجامع الإعظم1939، توفي في 6مارس1978 بتونس، درس عليه الشيخ أحمد حماني الأدب خصوصا كتاب مغني اللبيب لابن هشام-المصدر مقال لحماني في مجلة الأصالة عدد57،سنة1978 في الذكرى الأربعينية لوفاة ابن القاضي.

(**)- هو الابن الأكبر للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ولد سنة1909 بتونس، نبغ في مختلف العلوم بفضل توجيه والده له توفي سنة1970، من مؤلفاته: الحركة الأدبية والفكرية في تونس.

[1]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،ج3،المرجع السابق،ص106. لكن محمد الصالح الجابري فيذكر في دراسته حول النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين أن تاريخ تأسيس جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين هو سنة 1934.

[2]- محمد الصالح الجابري: المرجع السابق،ص102.

[3]- المرجع نفسه،ص104.

بجمعية العلماء والإعلان عن نفسها في الصحف، حتى أن هؤلاء الطلبة في أول بيان توجهوا به إلى الشعب الجزائري على صفحات البصائر(*)،طلبوا بأن تعيرهم جمعية العلماء التفاتا وعناية لأن الطلبة هم مادتها الأولية، وفعلا زارها الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس ثلاث مرات مابين1936-1937 وأصبح للجمعية نشريه خاصة أطلقت عليها إسم الثمرة الاولى[1]، والتي تعرض أعمالها وتعرف بنشاطاتها للقارئ في أرجاء المغرب العربي، ومن بين الذين كتبوا في النشرية الأولى الشيخ أحمد حماني بمقال عنوانه "الصفح الجميل"، واشتمل هذا العدد الأول على الدراسات الدينية التي ألقيت على منبر الجمعية عند الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الموافقة لسنة1936، وكانت هذه المناسبة إحدى الفرص الهامة التي أتيحت لأبناء الجزائر من الطلبة للكتابة في موضوع الهجرة وشحذ أقلامهم والوقوف على منبر الخطابة أمام أساتذتهم وأمام الجمهور، ونثر مقالاتهم جنبا إلى جنب، مع مقالات أساتذتهم وزملائهم بالزيتونة.[2]

وقد كان حماني من السباقين والمبادرين لإعادة إحياء هذه الجمعية مشاركا و متكونا في آن واحد بلسانه وقلمه، لأن العمل مازال في بداية الطريق والوطن يستغيث به وبأمثاله كما جاء على لسان مفدي زكرياء في آخر خطابه للطلبة في تلك المناسبة:"أبقاكم الله لهذا الوطن، الذي يستنجد بكم ويستغيث ويترقبكم بفارغ الصبر لتنتشلوه من هوّة الفناء والانحلال بما تقومون به من التضحية وما تقدمونه في سبيل السعادة من جلائل الأعمال، فهنيئا لكم يا أبناء اليوم ويا رجال الغد"[3].

كما كان له نشاط مكثف لفائدة الحركة الوطنية والإصلاحية،بإلقاء المحاضرات في النوادي والمساجد،المشاركة في تحرير وإخراج جريدة إفريقيا الفتاة التابعة للحزب الدستوري، المساهمة الفعالة في تأسيس الحزب القومي الجزائري في تونس والاتصال بالألمان طلبا للمساعدة المادية ضد فرنسا(**)، لكن تبين للشيخ ورفاقه أن المانيا وفرنسا وجهان لعملة واحدة، ومثالين للإستعمار والطغيان[4]. وكان له دور-خلال الحرب العالمية الثانية- في تأسيس الهلال الأحمر التونسي لإسعاف ضحايا الحرب المتواصلة ومما يذكره الشيخ حمانيّ أنه رفقة إخوان له أرسلوا طلب الإنخراط في مؤسسة الصليب الأحمر الدولي بجنيف لكن الطلب أرجع مرفقا بكلمة"حيثما وجد الصليب الأحمر

(*)- لمزيد من المعلومات أنظر الملحق رقم:06.

[1]- محمد الصالح الجابري،المرجع السابق،ص108.

[2]- المرجع نفسه، ص117.

[3]- المرجع نفسه،ص88 ،نقلا عن نشرية الثمرة الأولى التي كانت تصدرها جمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة.

(**)سنتطرق بالتفصيل في مبحث لاحق عن حقيقة إتصالاته بالألمان خلال الحرب العالمية الثانية.

[4]- محمد الهادي الحسني:المصدرالسابق،ص208.

الفرنسي لا يسمح بوجود الهلال الأحمر"[1].كما أنه لم ينقطع عن مدرسته الأولى باتصالاته بالشيخ عبد الحميد بن باديس قبل وفاته، وبأحمد بوشمال وعبد الحفيظ الجنان، وعمل منذوبا لمجلة الشهاب ومتجولا للبصائر والكتابة فيهما. في سنة1944 عاد متخفيا الى قسنطينة ولما استقر بها تزوج الشيخ حماني من وحيدة أحمد بوشمال، لكنها توفيت بحمّى النفاس الأول [2].

بالإضافه إلى رحلاته من أجل العلم قبل إستقلال الجزائر، فإنه واصل التنقل بعد الإستقلال داخل الوطن وخارجه، وأول مهمة كلف بها خارج الجزائر المشاركة في مؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد بمدينة البيضاء في جمهورية ليبيا عام1972 وكما يقول عن نفسه :"لأول مرة أحضر مثل هذه المؤتمرات وأشاهد المناقشات العلمية الحرة والحادة أحيانا، وأستمع لمحاضرات متوالية متتابعة قيمة، وأعجبت أثناءها بمناقشة فطاحل العلماء ومنهم المرحوم أبوزهرة، المرحوم علي خفيف ،الدكتور يوسف القرضاوي،والأستاذ مصطفي الزرقاء وغيرهم"[3] كما تقرر سفره إلى بعض دول افريقيا،آسيا،أوربا في مهمات رسمية، فكان يساهم مساهمات فعالة ويمثل بلاده أحسن تمثيل.أما داخل الوطن فكان دائم الحضور في ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد كل سنة ويكون مقرها إحدى المدن الجزائرية.

---

[1] - أحمد حماني:محمد الشاذلي بن القاضي العالم المصلح، مجلة الأصالة،عدد57،ماي1978،دار البعث،1978،ص98.

[2] - أحمد حماني:شهداء علماء معهد بن باديس، المصدر السابق،ص43.

[3] - أحمد حماني:الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق، ص ص305-306

المبحث الثالث:وظائفه ومسؤولياته:

يعتبر الشيخ أحمد حماني ثمرة من ثمار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وعضو فيها منذ نشأتها[1] ومن الوظائف التي تقلدها قبل الإستقلال (وإستمرت معه أثناء الإستقلال) وظيفة التدريس، فقد عين في المجلس الاداري لمدرسة التربية والتعليم وأستاذا بها،عضو لجنة التعليم العليا التابعة للجمعية ورئيسا لها من 1955إلى1957 تاريخ إعتقاله، عين كاتبا عاما لشؤون جمعية العلماء المسلمين على مستوى عمالة قسنطينة[2].أستاذا بمعهد عبد الحميد بن باديس وخلال آدائه لوظيفته بالمعهد كاد الشيخ حماني أن يقتل، إذ أصبح المعهد بعد إنلاع الثورة مشبوها وحياة من له صلة به مهددة، ففي سنة1956 نفذ الإعدام في حق ثلاثة عشر مسلما من بينهم أحمد رضا حوحو، محمد الطاهر العجابي،الحاج رابح بوشريط، الحاج اسماعيل بوعلاق، بسبب إغتيال جبهة التحرير الوطني لمدير شرطة قسنطينة سان مارسيلي الكورسيكي الذي عامل الأهالي المشبوهين بوحشية، فانتقاما له قام الفرنسيون الكورس باعدام ثلاثة عشر جزائريا وعزمهم على إعدام خمسين آخرين من بينهم العربي التبسي ،أحمد حماني،أحمد بوشمال، مزهودي ،لكن الوالي الذي كان إشتراكيا ناقش الكورسكيين في القائمة وأقنعهم بالاكتفاء بمن ألقوا عليهم القبض[3] .

لكن السلطات الإستعمارية ستلقي عليه القبض سنة1957 وسلطت عليه أنواعا شتى من العذاب ولم يطلق صراحه إلا بعد وقف إطلاق النار، في 4 افريل 1962،بعد ذلك عين في ماي من نفس السنة تحت إشراف الولاية الثانية وقيادتها عضوا في اللجنة المسؤولة عن التعليم في مدينة قسنطينة، ومديرا لمعهد ابن باديس،فأعاد الشيخ أحمد حماني تنظيم التعليم بالمعهد،الذي استقبل في تلك السنة ألفي طالب ،من صغار التلاميذ وكبارهم وحتى الكهول إناثا وذكورا،والحماس يحذوهم في طلب العلم ورفع حجاب الجهل في البلد الحر الذي طالما أنتظروا فك قيوده ،وقد نجح عدد كبير من الفتيان والفتيات في الإمتحان الإستعجالي الذي نظم لهم وتأهلوا للتعليم فورا في الأقسام الإبتدائية بعد دورة تكوينية سريعة أشرف عليها أحد اساتذة المعهد هو عمرجعفري بتكليف من الشيخ أحمد حماني ، الذي استدعي بعد تأسيس الحكومة الجزائرية الأولى إلى الجزائر العاصمة لوظيفة المفتش العام للتعليم العربي(*)، وفي مطلع سنة 1963، لما أسس معهد الدراسات العربية بجامعة الجزائر سمي

---

[1]- **عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1996،ص15.**

[2]- **المصدر نفسه، ص209.**

[3]- **أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص300.**

(*)- **عينه وزير التربية آنذاك محمدي السعيد.**

حماني أستاذا به ولما باشر عمله وجد أن تأسيس المعهد مازال كفكرة في الأذهان فسعى مع مجموعة من زملائه للمشاركة في ضع أسسه المتينة، وتغير فيما بعد اسمه إلى كلية الآداب . قضى في الجامعة10 سنوات كاملة من 1963 إلى1973. وفي 1972 استدعي ليكون رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى(*) وأثناء وجوده على رأس هذه المؤسسة مثل الشيخ أحمد حماني الجزائر في ملتقيات عالمية بتونس، ليبيا ،مصر، السعودية، الهند ،أفغانستان، بلجيكا، موسكو، .... عين الشيخ في اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني سنوات 1983،1984،1985.كان أحمد حماني منذ الاستقلال على إتصال بوزارة الشؤون الدينية يبذل في خدمتها النصيحة والمشورة والفتوى(مثل ترأسه للجنة تصحيح المصاحف بذات الوزارة) حتى أن آخر ما تولى بها بعد تقاعده سنة1989 رئاسة لجنة إلافتاء[1].كما أنتخب عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، التي يتواجد مقرها بمكة المكرمة وهو ثاني جزائري يتحصل على العضوية في هذه الهيأة بعد محمد البشير الإبراهيمي[2] وعضوا مؤسسا للمجلس الاعلى العالمي للمساجد ورئيسا لجمعية العلماء المسلمين

(*)- أنشأ هذا المجلس سنة 1966 بأمر من الرئيس هواري بومدين الذي رأى تنظيم هيأة من العلماء لاستشارتها والإستعانة بها في بعض الأمور التي تخص الدين الإسلامي وأن لايترك هذه الشؤون الخطيرة تسير حسب آراء من عملهم سياسي محض،كان المجلس تابعا لوزارة الشؤون الدينية وبعد دستور 1989 الذي إنتقل بالنظام السياسي من الأحادية إلى التعددية أصبح المجلس مؤسسة دستورية تابعة لرئاسة الجمهورية، من مهامه- قبل التعددية الحزبية- تنظيم إحتفالات المواسم والأعياد، الوعظ والإرشاد،إصدار الفتاوى للشعب والإدارة، وبعد التعددية يحدد الدستور مهام المجلس الإسلامي الأعلى في الإستشارة القانونية، و هو عمل إداري و تقني، و في الإجتهاد الذي يقتضيه الإسلام المعاصر فيما يواجهه من مشاكل راجعة إلى التحولات الإجتماعية و الثقافية الكبرى.و ينصب هذا الإجتهاد في موضوعات متعددة يقع ضبطها حسب الأسبقيات و التعرض لها بالبحث و النقاش و التشاور. لكن عثرت مؤخرا على أن فكرة المجلس كان ورائها المرحوم ابن القاضي أحد علماء جامع الزيتونة الذي أقام بمناسبة تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائريةسنة1958 احتفالا ببيته بتونس حضرها مسئولون عن الثورة وعدد من العلماء على رأسهم الإبراهيمي والطاهر بن عاشور وبعد أن أكد ابن القاضي للحاضرين أن انتصار الجزائر محقق بإذن الله أوصى الجزائريين بإقامة مجلس اسلامي أعلى للجزائر لما تستقل وقدم لهم قانونا أساسيا لهذا المجلس، آملا أن لا تقع الجزائر فيما وقع فيه غيرها من البلاد الإسلامية المستقلة حديثا من تبعية واستيلاب.المصدر عبد الرحمان شيبان:في الذكرى 40 لوفاة ابن القاضي،مجلة الأصالة، مجلة الأصالة،العدد57،ماي ،دار البعث، 1978،ص90.

[1]- أحمد حماني: فتاوى الشيخ أحمد حماني،ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1993،ص604.

[2]- احمد حماني:محمد بن القاضي:العالم المصلح،مجلة الأصالة،عدد57،ماي1978ندار البعث،1978،ص99.

الجزائريين التي تم بعثها في26 مارس1991 ومديرا للسان حالها جريدة البصائر في سلسلتها الثالثة[1] .

[1] - **بشير كاشة الفرحي**: **الشيخ أحمد حماني، دار الآفاق،الأبيار،الجزائر،2004،ص12.**

المبحث الرابع: وفاته ،خصاله و آثاره:

توفي الشيخ أحمد حماني يوم الإثنين 05 ربيع الأول سنة1419هـ الموافق لـ29 جوان 1998م على الساعة الثانية بعد الزوال وأذيع خبر وفاته في وسائل الإعلام المكتوبة المسموعة والمرئية، ووري التراب بحضور جمع غفير مثل الجهات الشعبية والجهات الرسمية. له من البنين والبنات تسعة، كلهم متحصلون على شهادات جامعية فيهم الطبيب والمهندس والمدرسين في مختلف أطوار التعليم للغة العربية ، والإنجليزية والفرنسية ، ويعملون كلهم في الجزائر[1].

أما عن خصاله فاستنتجتها من كتاباته ومن الذين تتلمذوا على يديه،ورفاقه، ومن هذه الخصال:

-التواضع والوفاء، يقول الدكتور محمد الهادي الحسني في مقال نشر بجريدة البصائر بعنوان الشيخ أحمد حماني العالم المجاهد والفقيه المجتهد:"...أما أخلاق الشيخ أحمد حماني فيتصدرها خلقان كريمان هما التواضع الكبير حيث لم يكن يستنكف أن يصغي إلى كل ذي حاجة من ذكر أو أنثى ،كبيرا أو صغيرا،ويبدو تواضعه في ملبسه ومسكنه، ولوشاء للبس الغالي وسكن العالي ولكنه فضل الآجلة وترك العاجلة ولسوف يعطيه ربه فيرضى، وأما الخلق الثاني فهو الوفاء غير المحدود..."[2] وبالرغم من تبحره في علوم الشريعة الإسلامية خاصة الفقه المالكي ويشهد على ذلك الشيخ محمد الغزالي(*) إلا أنه تواضعا يقول في كتابه الشهير الفتاوى:" أما بعد فهذه جملة من الإستشارات الواردة علينا وإنما سميناها استشارات لأنها في رأينا لا تعدو هذا الاسم ولا تبلغ أن تكون استفتاءات لأن الفتوى أنما يحق لها أن تسمى هكذا إذا صدرت ممن هو أهل للإفتاء وهو من بلغ درجة من الاجتهاد ولا يستحقها إلا من توفرت فيه الإحاطة بعلوم الكتاب والسنة وكان متبحرا في فنون العربية"[3] ،كما أن الشيخ حماني لم يكن يخبر أولاده بما يقوم به من أعمال، ولا يسمعون

---

[1]- من الكلمة التي ألقاها محمود، إبن الشيخ أحمد حماني في الملتقى الأول للشيخ حماني تحت عنوان الخطاب المسجدي في الجزائر واقع وآفاق، نظمته مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لذات الولاية يومي23 /24 جمادى الثانية1428ه الموافق ل9/8جويلية2007 .

[2]- محمد الهادي الحسني: الشيخ أحمد حماني العالم المجاهد والفقيه المجتهد،جريدة البصائر ، السلسلة الرابعة، العدد 56 من 25 جوان إلى 2 جويلية2001.

(*)– ذكر هذه الشهادة الذين كانوا يحضرون محاضرات الشيخ محمد الغزالي في جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية بقسنطينة ومنهم عبد الحميد قليل (صحافي بجريدة النصر) الذي قال في الملتقى المذكور آنفا أن الطلبة كثيرا ما يستفسرونه في فقه الإمام مالك فيوجههم إلى الشيخ أحمد حماني الضليع في الفقه المالكي.

[3]- أحمد حماني :فتاوى الشيخ أحمد حماني،ج1،المصدر السابق،ص7.

عنها إلاّ من خلال أصدقائه أو من وسائل الإعلام[1] تفاديا في نظري للرياء . إضافة الى أن الشيخ حماني ليس من الذين ينسون الفضل عليهم، فيذكر في الإهداء الذي ورد في كتابه الفتاوى:"أهدي هذا الكتاب إلى أرواح أمي وأبي ومشائخي.... أما مشائخي فقد وجدت فيهم النصيحة، وأنا مدين لكل منهم، سواء من تلقيت منه مباشرة أو أفادني بما أخذت من كتابه"[2].ولتواضعه الشديد كان يسكن في حي شعبي بالعاصمة وباب بيته مفتوح لكل من يريد مقابلته لاستفتائه[3].

-زهده وورعه: تجلّى ذلك من خلال ما أخبرني به أحد تلامذته وهو عبد الحميد ونيسي الذي استمرت علاقته بالشيخ حماني، وقد نقل عنه أن بعد وصول الرئيس هواري بومدين إلى السلطة بعث إليه السيد عبد المجيد علاهم ليعرض عليه منصب وزير الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، فشكره الشيخ حماني على الثقة التي وضعها فيه الرئيس لكن لا يستطيع الإجابة لا بالقبول ولا بالرفض حتى اليوم الموالي ،لأنه تعود صلاة الاستخارة في كل أمر.لكن الرئيس لم ينتظر وعين مولود قاسم نايت بلقاسم[4]. فلم يكن الشيخ يطلب المناصب بل كان يعين فيها من دون علمه ،مثل تعيينه عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى ، يقول: وما رأيت إسمي إلا في جريدة الشعب بعد تأسيس المجلس والإعلان عن أعضائه"[5]. إضافة إلى ذلك فأحمد حماني لا يحب أن يشكر على شيئ لم ينجزه مصداقا لقوله تعالى"ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب"[(*)]ونستدل على ذلك عندما نشر أحد الصحفيين بأن الشيخ أسس جيشا على الحدود الجزائرية التونسية متعاونا مع الألمان أثناء الحرب العالمية وخاض به انتصارات على الحدود، رد عليه بأنه خاطئ فيما يقول ونشر حقيقة ما وقع ولم يكن لينشره لولا تلك الكتابات التي تظن بأن الشيخ سيزهو بنفسه ويحب أن يحمد بما لم يفعل، والتباهي والزهو الحقيقي هو ما فعله الشهداء الذين دبروا الأمر حتى بلغوا بالجزائر شاطئ السلامة والحرية فهم الذين يستحقون المدح والثناء[6].

---

[1]- مقابلة شخصية مع إبنه عمر،بمنزله بحي 5جويلية،الجزائر العاصمة،يوم 2006/9/4.

[2]- أحمد حماني: فتاوى الشيخ أحمد حماني،المصدر السابق،ص5.

[3]- مقابلة شخصية مع ابنه عمر ،نفس المكان والتاريخ.

[4]- مقابلة شخصية مع ونيسي عبد الحميد في مقر مؤسسة ابن باديس، قسنطينة،يوم2006/8/26.وهو تلميذ للشيخ أحمد حماني بمعهد بن باديس من 1954 إلى1957 وهو تاريخ إعتقال حماني وغلق المعهد.

[5]- أحمد حماني: المصدر السابق،ص8.

[(*)]– سورة آل عمران ،الآية188.

[6]- أحمد حماني :لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية،من كتاب أحمد حماني حياته وآثاره شهادات ومواقف،دار الأمة،2001، ص29.

-الجد وإلاجتهاد وغزارة العلم،هي صفات أخرى لمترجمنا وفي هذا الصدد يقول ابوعبد الله غلام الله:" كانت فتاويه يطبعها طابع الإجتهاد،كان عندما يفتي يعتمد في فتواه على القرآن الكريم ويستشهد بالحديث النبوي الشريف وأحيانا بمواقف الصحابة أو العلماء، والذي يقرأ أو يستمع إلى فتاوى الشيخ أحمد حماني لا يتعلم الحكم الشرعي في المسألة فقط وإنما يتعلم أيضا مناهج وطرق البحث، وكان علمه غزيرا جدا رحمه الله [1].

ضف إلى ذلك :حبه للعلم والتضحية من أجله والترغيب فيه فهو الذي أفنى شبابه في التدريس بمدرسة التربية والتعليم ومعهد بن باديس وكذلك في السجن أين نظم الدراسة لمدة ثلاث سنوات وبعد الإستقلال مباشرة اتاه الطلاب الذين كانوا في المعتقلات طالبين منه إتمام معلوماتهم التي بدأوها في السجون فوافق ورتب لهم دروسا علمية بقاعة نادي الترقي لمدة خمسة عشر ساعة في الأسبوع موزعة كالآتي: أربعة ساعات مساء يوم الخميس،ست ساعات يوم الأحد وساعة كل يوم من الأيام الأخرى[2] .

وذكر لنا إبنه عمر أن أول معركة خاضها أباه بعد الإستقلال هي معركة ضد الجهل والأمية، فبدأ بالذهاب عند أحد النجارين ليصنع له لوحا ،وضعه قي بيته ليدرس أبناءه وأبناء الجيران بقسنطينة موازاة مع تعينه مفتشا للتعليم العربي على مستوى الشرق[3].

و يصل الأمر بالشيخ أحمد حماني في حبه للعلم أن رأى عدم جواز الإضراب عن العلم لأن فيه أمر بالجهل والأمية وفي حوار مع جريدة الأصيل قال:"سواء كان العلم محصلا لشؤون الدنيا أو الآخرة فإن الإنسان مأمور بطلبه، وأننا لنعجب لمن يرتفع صوته في أمته يطلب منها الإضراب عن العلم فيكون الصوت معمولا به لأنه أمر بالجهل والأمية وكل أمة أطاعت هذا الجاهل الآمر بالجهل ضائعة لا محالة أو غافلة" [4]،وكان الشيخ حماني دائم النصح في عدم الملل في طلب العلم وأن يعمل المتعلمون بما سمعه عن أستاذه الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أنشد له أبيات لبعض تلاميذ وكيع وهومن علماء السلف:

شكوت لوكيع سوء حفـــــظي فارشدني إلى ترك المعاصي

---

[1]- أبو عبد الله غلام الله،شهادته عن الشيخ أحمد حماني،كتاب أحمد حماني حياته وآثاره شهادات ومواقف،المرجع السابق،ص202.

[2]- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص303.

[3]- مقابلة شخصية مع إبنه عمر،نفس الزمان ونفس المكان.

[4]- جريدة الأصيل ليوم السبت21 أفريل1995 ص20.

واخبرني بأن العلم نـــــور ونور الله لا يؤتى لعاصي

كما بين الطرق التي يتوصل بها طالب العلم إلى تحقيق مراده وهي ستة:ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة(المراد بها أن يجد الإنسان ما ينفق به على نفسه) وصحبة أستاذ وطول زمان[1] .

-الإستقامة وحسن السلوك:وهي ثمرة تنشأته الريفية وتكوينه الأولي على يد عالم درس على يد علماء أزهريين هو والده محمد.وإستمر على هذه الصفة طوال حياته، يقول محمد الصالح بن عتيق في مذكراته:"فإذا كانت حالتنا المادية بالزيتونة بتونس(مكث هناك من1927 -1932) فإن الحالة الأدبية بها كانت طيبة وعلى مستوى عال، فالطلبة الجزائريون يومئذ يتمتعون في جميع الأوساط التونسية بسمعة راقية وكانوا مضرب الأمثال عندهم في الإستقامة وحسن السلوك وكثرة التحصيل، وقد تدهورت هذه السمعة فيما بعد على ما بلغنا، ولكن لا نعمم ففيهم نخبة صالحة سارت بسير الأوليين أذكر منهم في الطليعة الأستاذ أحمد حماني وابن عمه الصادق ،وبوزيان الميلي،..."[2]

-صبره على الأسقام والإبتلاءات:أصيب أحمد حماني بمرض خطير أدخل على إثره إلى مستشفي قسنطينة في3جويلية 1945 أين مكث ستة أشهرونصف بعد خضوعه لعملية جراحية في17 من نفس الشهر.ومما لاشك فيه أن هذا الشاب المتخرج بشهادة العالمية من الزيتونة لا تغيب عنه الأحاديث النبوية التي تطمئن المسلم بأن في كل أموره خير :إذا أصابته مصيبة صبر وإذا أصابته نعمة شكر وأن المرض تكفير للذنوب، فهذا السلاح الذي معه(القرآن والسنة) جعله يتخطى الصعاب ويصبر على الأسقام والتي من بينها مرض السكري الذي أصيب به سنة1961 وهو في السجن الذي دخله سنة1957 وتعرض فيه للتعذيب المتعدد الأشكال وقد وصل الأمر بفرنسا أن تؤسس مدارس لتخريج خبراء في التعذيب النفسي والجسدي،ومن الويلات التي عانى منها حماني ورفاقه:قلع الأظافر،الغطس في الماء حتى الإشراف على الموت، الحرق بالكهرباء،إستقدام طعام مالح ونتيجة للجوع الشديد يتناوله المعذبون فيشتد بهم العطش وحين يطلبون الماء فلا مغيث ولا مجيب[3] .بالإضافة إلى معاناته، وتعرضه للمحن أثناء إقامته بتونس خلال الحرب العالمية الثانية: محنة الإنقطاع عن الوطن،والتعرض لهجومات عشوائية،جوع، عري، والأكثر من ذلك الخوف المستمر

---

[1]- **المصدر نفسه.**

[2]- **محمد الصالح بن عتيق، المصدر السابق،ص71.**

[3]- **المصدر نفسه،ص132**

الذي جعله يفهم جيدا قول الله تعالى عن موسى:"فخرج منها خائفا يترقب"(*) فلا أشد من هذه الحالة عندما يكون الإنسان خائفا من عدوه الفاجر الذي يتربص به الدوائر[1].

ومن خصاله عرف عنه التمسك برأيه عندما يقتنع به ولم يعرف عنه أنه تراجع عن موقفه في مجال الفتوى كما عرف عنه أنه لا يجامل ولايهادن[2].

آثاره:إن نشاطه الدؤوب وانشغاله بتكوين الرجال ضيق عليه الوقت لتأليف الكتب: له مقالات منشورة في الصحف والمجلات قبل استرجاع الإستقلال الوطني وبعده:

فأول ما نشر له مقالات تحت عنوان حيث المتجول في جريدة البصائر ، السلسلة الأولى ومقال حول الشباب المسلم في الشهاب [3]،كما كتب في جريدة الشعلة التي كان يديرها إبن عمه الصادق، ونشر مقالات في الصحافة التونسية باسم مستعار هو العيشاوي وهو الإسم الذي اقترحه عليه عبد الحميد بن باديس منها جريدة الإرادة(**)،كما كتب في نشرية الثمرة الأولى التي أصدرتها جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس والتي تضمنت مواضيع إصلاحية ووطنية،الدافع إلى كتابتها الظلم الإستعماري وحماسة الشباب.

وبعد الإستقلال كتب في جرائد وطنية يومية وأسبوعية كجريدتي الشعب والعصر ، وكتبت مداخلاته في الملتقيات التي شارك فيها، إذ عادة ما تجمع وتنشر محاضرات الملتقى على شكل كتاب ومنها الملتقى الذي عقد بالقيروان بتونس أيام25 و28 فيفري 1978 وشارك حماني بمحاضرة بعنوان "العدل والإحسان أسس المجتمع الإسلامي "[4] إلى جانب المداخلات التي شارك بها في ملتقيات الفكر الإسلامي ونشرت في كتب الملتقى كما نشرت في مجلة الأصالة التي كانت تصدرها وزارة الشؤون

(*)- سورة القصص،الآية21.

[1]- أحمد حماني، لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية،المصدر السابق،ص28.

[2]- محمد الأكحل شرفاء: الشيخ أحمد حماني بعد الرحيل،البصائر، العدد295،السلسلة 4،السنة6،الأسبوع من03 إلى10جويلية2006،ص10.

[3]- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص291.

(**)- جريدة الإرادة لصاحبهامحمد المنصف المنستيري الذي يقول عنه حماني:هومن أقدر الكتاب وأمهر الصحفيين في العالم العربي، له أفكار صائبة وعبارات عربية سليمة وقلم سيال ووطنية ملتهبة، ومن المقالات التي نشرتها الإرادة لمترجمنا مقال بمناسبة محاكمة الشيخ القبي بعنوان"صراع ثلاث سنوات" ومقال آخر يقارن فيه بين شخصية م.ميو مدير الشؤون الأهلية وشخصية بن باديس. المصدر،أحمد حماني:شهداء علماء معهد بن باديس،ص48.

[4]-الدين والمجتمع(دراسات ومحاضرات قدمت في ملتقى الندوة الإسلامية بالقيروان من 25 إلى27 فيفري1977)،منشورات وزارة الشؤون الثقافية،الدار التونسية للنشر،1978،ص181.

الدينية مواضيع عدة منها "محمد الشاذلي بن القاضي العالم المصلح، -الإمامة وأهميتها وشروط من ينتخب لها، -عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية -إرادة الشعب من إرادة الله- إضافة إلى نشره لمقالات في مجلة الثقافة الصادرة عن وزارة الثقافة من بينها "دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة العالم الإسلامي".

أما الكتب التي ألفها ونشر بعضها وهو على قيد الحياة والبعض الآخر بعد التحاقه إلى جوار ربه فهي:

-1- كتاب الصراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس: طبع سنة 1984 ، يقع في جزأين، تناول فيه الشيخ أحمد حماني الصراع الطويل بين السنة والبدعة منذ فجر الإسلام حتى العصر الحالي كما يتطرق فيه إلى الحركة الإصلاحية في الجزائر مبرزا شخصية أستاذه وباعث النهضة العربية الإسلامية في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس وجهوده في الإصلاح ومحاربة الطرقية وشيوخها ومنها الطريقة العليوية التي حاولت الفتك به سنة 1926 ويحتوي الكتاب على تراجم لبعض رجال الإصلاح الذين لهم باع طويل في إعادة إحياء مقومات الأمة والتمهيد للإستقلال.

2- رسالة الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية: طبع سنة 1984 وهو عبارة عن جواب لرسالة تلقاها من الشرق الجزائري تنص على نشاط هذه الفرق بنواحي شلغوم العيد ووادي العثمانية ويطلب السائل من الشيخ تقديم الدلائل على أنها ضالة، فكان هذا الكتاب الذي يقع في 294ص.

3- الإحرام لقاصدي بيت الله الحرام وقضية إمام يجتهد في إبطال مذهب إمام: ينقسم الكتاب إلى قسمين .القسم الأول يعالج مباحث الحج وتاريخ فرضه وأركانه وواجباته وحجة الوداع ،أما القسم الثاني فخصصه الشيخ أحمد حماني للتأكيد على صحة الفتوى التي أصدرها المجلس الإسلامي الأعلى في قضية الإحرام وهي فتوى على المذهب المالكي الذي هو مذهب سكان الشمال الإفريقي.

4-فتاوى الشيخ أحمد حماني"إستشارات شرعية ومباحث فقهية" : في ثلاثة أجزاء ،طبع إثنان منها سنة 1991 ضمن منشورات وزارة الشؤون الدينية أما الجزء الثالث فنشرته دار قصر الكتاب سنة 2001 بعد وفاته بثلاث سنوات والكتاب بأجزائه الثلاثة هو مجموع الفتاوى التي صدرت منذ أوائل السبعينيات حتى أواخر التسعينيات، منها مانشر في الصحف الوطنية مثل جريدة الشعب،المساء، العقيدة ، وما أذاعه الشيخ حماني عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

5- كتاب: شهداء علماء معهد بن باديس: وهو كتاب من الحجم المتوسط،صدر بعد رحيل أحمد

حماني،يحمل بين دفتيه موضوعين الأول كما جاء في العنوان والقسم الثاني خصصه لرفيق دربه ابن عمه الشيخ الصادق ابن رابح حماني ويندرج ضمن سلسلة سير العلماء.من منشورات قصر الكتاب.

و للشيخ أحمد حماني مؤلفات مخطوطة بيده أو مكتوبة بالآلة الراقنة منها مقالات في العقيدة كمفهوم العقيدة، الإخلاص في القول والعمل وفي العبادات له مقالات منها نشأة المذاهب الفقهية والمذاهب الأربعة وأثرها على المسلمين وهي نص الكلمة التي القاها على مسامع أئمة وخطباء كولمبو عاصمة سيريلنكا يوم 8 مارس1985 ،وفي التراجم والشخصيات كتب" هدي محمد صلى الله عليه وسلم في الحرب" له مقالات عن الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ عبد اللطيف سلطاني(1902-1984)،أحمد بودة،محمد كحلوش(1910-1984)،محمد بن الصادق جلول الملياني1901-1984)، الشيخ عمر العرباوي(1912-1984)[1]

وكان للشيخ أحمد حماني حضورا في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، لأنه أدرك مدى أهمية هذه الوسائل في التبليغ والدعوة إلى الفضيلة وافتاء الناس وتوجيههم وارشادهم إلى الخير، ومالها من دور في تعميم الفائدة للمستمعين أو المشاهدين فقد كانت خطب الجمعة التي ألقاها في السبعينيات تذاع عبر الأثير[2] كما كان يُحدّث الناس في التلفزة من خلال حديث الإثنين، وفي التسعينيات سجل سبعين حصة بالتلفزة الوطنية خاصة بالافتاء، بثت من خلال ندوة الجمعة في حصة "أنت تسأل والمفتي يجيب".[3]

---

[1]- **محفوظ بن الصغير : الشيخ أحمد حماني ومنهجه في الفتوى ،رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية قسم الفقه وأصوله ،جامعة باتنة، غير منشورة، جوان 2002، ص67.**

[2]- **أحمد حماني: إن خير الحديث كتاب الله ،مجلة الأصالة،العدد56،السنة7،أفريل 1978،دار البعث، قسنطينة، 1978،ص79.**

[3]- **محفوظ بن الصغير،المرجع السابق،ص68، نقلا عن مسؤول قسم الأرشيف بالتلفزة الوطنية.**

خاتمة الفصل:

مما سبق ذكره ومناقشته ،أستخلص النتائج التالي:

أولا:أن البيئة الريفية التي تربى فيها الشيخ أحمد حماني لمدة خمس عشرة سنة،مكّنته من مجابهة الصعاب التي إعترضته لاحقا ولا يتغلب عليها إلاّ الذي جرّب الحياة القاسية ،و هذا الريف نفسه، الذي كان في منأى عن الإستعمار وعيونه، أتاح لسكانه تعليم أبنائهم كما يحبون: تعليما دينيا تقليديا يرتكز على تحفيظ القرآن وتدريس مبادئ اللغة العربية ...ويجعلهم متميزين عن الآخرين الذين خدعوا ببريق الإستعمار وأصبحوا في وضعية المغلوب ، لكن التعليم الديني الأولي لحماني على يد والده الذي تتلمذ على يد خريج من جامع الأزهر، جعله يحس بأهمية مايملك وبمدى إختلافه عن الآخر الذي إغتصب أرض أجداده.

ثانيا:العلاقة المتينة بين الريف والمدينة في تعزيز الإنتماء ،فالشيخ أحمد حماني الشاب الذي مازال على فطرته تلقته مدرسة جمعية العلماء وخاصة الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ليعزز فيه التمايز ويغرس فيه العلم العملي،فالأربع سنوات التي قضاها مترجمنا في قسنطينة كونته تكوينا متينا خاصة قدومه إليها في فترة إشتدت المقاومة السياسية بين الحركة الوطنية الجزائرية وخصومها من الإستعمار وأعوانه، وهذا ما جعل حماني يشاهد عن قرب ذلك الصراع وأحيانا يشارك فيه.

ثالثا:إن التكوين الذي تلقاه في جامع الزيتونة، هو إمتداد للتعليم الذي تلقاه في السابق وكليهما يركز على الجانب الديني والخلقي الذي يحافظ على الهوية والشخصية الوطنية ، كما أن حصول حماني على شهادات جامع الزيتونة ، المتمثلة في التطويع والتحصيل والعالمية مكنته لاحقا من تبوأ مناصب في جمعية العلماء المسلمين، كما أن تنقلاته بين الجزائر وتونس لم تكن فقط للتحصيل العلمي بل مكنته من إكتساب ثقافة سياسية معتبرة خاصة عند إتصالاته بالألمان الذين نزلوا بتونس ، ومشاركته في تأسيس حزب جزائري بذات البلد.

رابعا: من خلال عرضي للمسؤوليات التي شغلها الشيخ احمد حماني ،أستنتج أنه أفنى شبابه لخدمة الدِّين والوطن قبل الإستقلال ،وبعده إستمر على نفس النهج حتى توفي، وحضرت في جنازته شخصيات عدة مثلت مختلف الشرائح، تقديرا للتضحيات التي قدَّمها في سبيل طرد الإحتلال وفي سبيل الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية.

مقدمة الفصل:

عالجت في هذا الفصل الأعمال الوطنية والجهود الإصلاحية التي قام بها أحمد حماني قبل استرجاع الإستقلال الوطني.

ففي المبحث الأول تناولت ما قام به خلال الحرب العالمية الثانية ،أثناء إقامته في تونس، كاتصالاته مع الألمان الذين نزلوا بها، محاولا إستغلال تلك الظروف المتمثّلة في عداوة ألمانيا لفرنسا وتفوقها عليها ،لعله ينجح في دعم قضية بلاده الرازخة تحت الإحتلال.كما سأبين جهوده في تأسيس الحزب القومي الجزائري.

أما المبحث الثاني،فتطرقت فيه لحوادث الثامن من ماي1945 وكيف أرّخ لها في ثيقة كتبها بنفسه،تحصلت عليها من أرشيف عائلته.

والمبحث الثالث ،خصصته لأعماله المكثفة بعد تأسيس معهد عبد الحميد بن باديس سنة1947، كأستاذ به وعضو مجلس إدارة جمعية العلماء، وكاتبها بعمالة قسنطينة، وأخيرا مديرا للمعهد بعد اختطاف العربي التبسي .

أما المبحث الرابع فتناولت فيه، موقف جمعية العلماء من اندلاع الثورة في 1نوفمبر1954 وتقديم حمّاني للأدلة التي تثبث أن الجمعية كانت مع الكفاح المسلح وكان يدعو لذلك مؤسسها الأول عبد الحميد بن باديس،كما وضّحت في هذا الفصل وضع الجمعية لعناصرها وهياكلها في خدمة الثورة، وكان أحمد حماني منهم حتى ألقي عليه القبض متلبسا سنة1957.

والمبحث الخامس ،عالجت فيه دوره في السجن أين مكث حوالي خمسة سنوات، واصل خلالها أداء رسالته في التعليم وإزالة حجاب الجهل عن المساجين وفقا لأوامر جبهة التحرير الوطني، والأكثر من ذلك كان الشيخ حمّاني سببا في إندلاع موجة من الإضرابات في بعض السجون كانت سببا في تحسين وضعية من كان فيها.

المبحث الأول: مواقفه الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية:

لمّا اندلعت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939 كان الطالب أحمد حماني لا يزال في الجزائر ولم يلتحق بتونس إلاّ في فيفري 1940[1]، بعد أن كان إلى جانب والده أثناء المرض الذي أودى في الثاني من نفس الشهر، وقبل وفاته أوصاه بأن لا يتخلى عن دراسته في الزيتونة.خلال سنوات هذه الحرب التي وصفت ظلما بالعالمية كان متواجدا بالشقيقة تونس والتي كانت تعاني من الحماية الفرنسية منذ سنة1881،ولم تكن أراضيها وسكانها في منأى عن الاستغلال المادي من طرف الأطراف المتصارعة، وفي البداية استغلت كباقي بلدان المغرب العربي من طرف فرنسا التي أخذت تجند شعوب مستعمراتها و تعلن الحرب ضد ألمانيا في 3سبتمبر1939 ولم تكن مستعدة كما ينبغي وهذا ما أكده أحمد حماني إذ يقول:"في بلاد القبائل رأيت بعيني رأسي كيف أعلنت فرنسا التجنيد العام واستنفرت قدماء الجنود والشبان للالتحاق بالثكنات فلما وصلوا لم يجدوا لباسا ولا فراشا، فكانوا ينامون على التبن ويمشون بلا أحذية، رأيت ذلك في ثكنة الأربعاء نايث راثن،بهذا الاستعداد الأخرق والجيش المهلهل كانت فرنسا تهدد وتتوعد"[2]. وأخذت فرنسا تبث الدعاية الكاذبة بأن جيشها يتقدم ويحرز الانتصار تلو الانتصار، لكن الخبر الذي قطع كل الأكاذيب الفرنسية هو إجتياز الألمان لخط ماجينو في ماي1940.وقد جاء في نشرات إذاعة برلين والتي كان الشيخ أحمد حماني يستمع اليها[(*)] مايلي: -في 2فيفري1940:أيها المغاربة لاتدافعوا عن طغاتكم..ارفضوا الخدمة العسكرية...فرنسا تريد استعمالكم طعمة للمدافع...فهي تضع جنودها في الخلف بينما تحتلون أنتم الخطوط الأمامية ويرمى بكم في مقدمة ميدان القتال.وفي نشرة 23أفريل1940:تتجه الآمال نحو إنتصار ألمانيا الذي هو نصر للعدل على الظلم وتحرر للعرب، لقد بعث الله الألمان لينتقموا لكم من الفرنسيين الملطخة أيديهم بالدماء.وفي نشرة14 ماي1940قال المذيع:اليوم تتوغل القوات الألمانية في فرنسا وتدمر خط ماجينو،...أيها المغاربة لقد دنا خلاصكم، ولابد أن تزول فرنسا. وكانت الشعوب المستعمرة التي تصلها هذه الدعاية وحتى التي لم تصلها ساخطة على الإستعمار الفرنسي وعلى جرائمه وسياسته الظالمة وتعجب بهزائمه أمام ألمانيا بل والبعض منها يعمل مستغلا هذه الفرصة للنيل من فرنسا والتخلص من استعمارها ومنهم أحمد حماني.

---

[1]- أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،مصدر سابق،ص53.

[2]- المصدر نفسه،ص51

[(*)]- كان الطالب أحمد حماني وابن عمه الصادق يذهبان لبيت أحد الرفاق التونسيين لمراجعة الدروس والإستماع إلى اخبار برلين يذيعها بحري يونس من إلإذاعة الالمانية.المصدر: شهداء علماء معهد بن باديس،ص54.

فمن باب عدو العدو صديق، وصديق العدو عدو، كانت محاولات لبعض الوطنيين الجزائريين لربط إتصالات مع الألمان داخل الجزائر وخارجها ومن هؤلاء الشيخ أحمد حماني الذي بالرغم من علمه بأن الألمان يحتقرون العرب، والأمة العربية في فلسفتهم تأتي في الدرجة الرابعة عشر ، يقر بحبه لهم لا لإحسانهم ولا لصدقهم ولا لإنسانيتهم ،ولكن لمجرد أنهم الحقوا الأذى بالعدو المشترك واحتلوا بلاده واستعبدوه وأذلوا قادته ورجاله[1] وعن هذه الإتصالات يقول:"أثناء وجود المانيا بتونس عام1942-1943 جاءنا أحد نشطاء حزب الشعب وهو محمد خليفاتي(*)،الذي سيكون فيما بعد من أكبر رجال الثورة واتصلنا به وعملنا معه، ولكنه بصرنا بفساد نية الألمان ونهانا عن الإندفاع معهم"[2]، ونفس النصيحة أسداها لهم ممدوح الميداني، زعيم فرع الجيش العربي بتونس.(**)

في هذه الظروف و مستغلا فرصة الحرب العالمية الثانية، وضع الشيخ أحمد حماني قانونا أساسيا لحزب جزائري جديد هو الحزب القومي الجزائري الذي كان من بين مؤسسيه الشيخ بورنان الدريدي،بولخراص سلطاني،الحاج ناصر، الداودي صفصاف، الزين قليش ،مسعود بن بيده ، هذا الأخير عين على رأس الحزب، وكان الغرض الأسمى من هذا التنظيم ما ذكر في قانونه الأساسي وهو العمل على تحرير الجزائر وإستقلالها، والتعاون مع كل من يكون عونا لهم في بلوغ هذه الغاية. ويبدو أن الألمان لم يعجبهم هذا الأمر وأخذوا يعرقلون نشاط الجزائريين ومن الأمثلة على ذلك ،عندما طلب حماني ورفاقه من القوات الألمانية في تونس أن يخصصوا لهم حصة في الإذاعة رفضوا قائلين:"أتريدون القيام بعمل ضد دولة فرنسا، نحن لا نسمح بذلك" . أدرك حينها الشيخ أحمد حماني ورفاقه بأنه لا فرق بين فرنسا وألمانيا الأوربيتين وهذا ما أكدته رسالة هتلر إلى الماريشال بيثان يوم نزول قواته في تونس:"أننا نزلنا بتونس لنحافظ على إفريقيا لأوربا"[3].

---

[1]- أحمد حماني: لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية،المصدر السابق،ص29.

(*)- كان محمد خليفاتي منذوب حزب الشعب بمدينة تونس، يقيم بالقرب من رحبة الغنم، في نهج الجبح.

[2]- أحمد حماني: ابن باديس والثورة،مجلة الرسالة، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، العدد الرابع،جانفي 1981،ص30

(**)- الجيش العربي أسسه مفتي القدس أمين الحسيني، ومن فروعه جيش تونس الذي كان من بين جنوده جزائريون منهم علاوة فنور ابن البلدة التي ولد بها حماني.لما تمت استعدادات الجيش العربي حاول الألمان أخذه إلى روسيا فأبى الزعيم الحسيني وقال لهم لاعداوة بيننا وبين روسيا، ولم يحتلوا بلادنا، وعند نزول الحلفاء بالمغرب العربي وتقدموا إلى تونس ضرب هذا الجيش أروع التضحيات في سبيل رد العدو عن البلاد العربية ومنها تونس. المصدر: أحمد حماني:لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية،مصدر سابق،ص ص31،30.

[3]- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون،معجم أعلام الجزائرفي القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، منشورات مخبر الدراسات،التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري،قسنطينة،2004،ص69.

كما كانت للشيخ أحمد حماني إتصالات مع الألمان ضمن مجموعة من أساتذة الزيتونة: الشيخ العلامة محمد الشاذلي النيفر ،الشيخ محمد الصالح النيفر والشيخ الهادي مجدوب واتصل معهم بالقيادة الألمانية لتخفيف بعض ما كان يلقاه الشعب و القيام بمساع لإطلاق سراح المعتقلين ومنهم الحبيب بورقيبة ورفاقه الذين اعتقلتهم فرنسا ونقلتهم إلى سجونها منذ1939، فقد تدخل الوفد الزيتوني لدى قيادة الألمان في تونس وقال لها:لا يمكن أن يعطف عليكم العرب وزعماؤهم في سجون فرنسا أو تحت الإقامة الجبرية تحت حكمكم " فكان لهذا الكلام وقع على الألمان،وفي نحو 24 ساعة أفرج عن بورقيبة ورفاقه[1].

ومن الإجتماعات التي حضرها حماني،ضمن وفد أساتذته بجامع الزيتونة، تلك التي استدعي اليها ضباط ألمان عند بعض المشائخ ومنهم " بيزينير" و"فوستر" ومما قاله الشيخ أحمد:"نحن الجزائريين ليس لنا دولة معترف بها، بخلاف المغرب وتونس، فلهما كيان دولي، ولهذا فإننا نخشى أن تعاملونا كمجرد تراث فرنسي، لذلك نريد منكم أن تصرحوا بوعد تعترفون فيه، بتأسيس دولة لنا معترف بها" فرد أحد الضباط الألمان:"أنت شاب صغير السن ولكنك بعيد التفكير،وما قلته هو من عمل السياسة العليا وليس لنا أمر فيه" فقال حماني:"أن هذا في فائدتكم وباستطاعتكم استجلاب رضاء الشعب الجزائري كله وأنا ضامن لكم تسعين بالمائة من الرأي العام، فلو وافقتم فإنكم تحررون زعماء تونس المسجونين، بحيث يكون الحبيب بورقيبة زعيم حزب الدستور رئيسا لحكومة تجمع الجزائر وتونس، تعلنون الاعتراف بها، فلا يخالف أحد، لأنه سينظم إلى هذه الحكومة رجال الجزائر"[2]. وتجدر الإشارة الى أن إطلاق سراح بورقيبة ورفاقه كان بعد هزيمة الألمان في ستالين غراد ثم استعدوا لمغادرة تونس واستمالوا بعض العرب للذهاب معهم ومنهم الهادي مجدوب الذي توفي في فرنسا.

إذن هذه هي حقيقة إتصال الشيخ أحمد حماني بالألمان في تونس أثناء الحرب العالمية الثانية، وألاحظ أنه كان ذكيا في تصرفاته الحذرة ولم ينساق وراء كل ما طلبته ألمانيا التي مع الأسف إستطاعت خداع رفيقين لحماني في تونس وغررت بهما باتخاذهما عملاء لها وهما حسين مقراني وابراهيم بن سليمان.

بعد نزول الحلفاء ومعهم فرنسا بتونس أخذوا في البحث عن كل متعاون ومتصل بأعدائهم الألمان،حينها إختفي حماني في مدينة تونس، بعد تمكّن فرنسا من اعتقال رفاقه في المنظمة الجزائرية، واختبأ في بنزرت عند السيد السعيد قاسمي وساعده على ذلك دركي جزائري يدعى العمري، حيث أخفاه

---

[1] - أحمد حماني:محمد الشاذلي بن القاضي العالم المصلح،مجلة الأصالة،السنة السابعة،العدد57،ماي1978،دار البعث،1978ص ص98،97.

[2] - أحمد حماني:لست نازيا ولا عميلا للنازية،المصدر السابق،ص33.

برغبة من المرحوم صفصاف الدوادي[1] ،وبقي مختفيا من ماي1943 إلى مارس1945 وبالرغم من عودته إلى الجزائر في30أفريل1944 إلا أنه بقي يتجنب الأنظار حتى سعى رجال جمعية العلماء المسلمين لتخليصه من هذا الحرج بربطهم إتصالات بتونس ،فإذا ما استدعي للمحكمة، برّأته، وكل شيئ سار وفق ما خططت له الجمعية ، فاستدعي المتهمون في قضية التعاون مع الألمان إلى محاكمة المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس في 20مارس1945 ومنهم حماني،الذي خرج منها بالبراءة[2].

ووضّح أحمد حماني قضية تعاونه مع الألمان بنفسه بعد استرجاع الإستقلال على إثر نشر صحافي في جريدة السلام لمقال قال فيه بأن الشيخ تعاون مع النازيين وأسس جيشا يمتد على طول الحدود الجزائرية التونسية وخاض به معارك، إنتصر فيها بشهادة الجيش الفرنسي نفسه.و زعم الصحافي أنه سمع ذلك من محمد الطيب العلوي، فردّ الشيخ أحمد حماني :"بأن هذا لم يكن أبدا وأنه لا يحب أن يحمد بما لم يفعل مستندا إلى قوله عز وجل:"لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم"[(*)]. ولم يكن حماني لينشره ذلك الرد، لولا تلك الكتابات التي تظن بأن الشيخ سيزهو بنفسه ويحب أن يحمد بما لم يفعل، فرد عليها لإزالة الشبهات والتحريف الذي قد يلحق بالتاريخ ، وقال :"التباهي والزهو الحقيقي هو ما فعله الشهداء الذين دبروا الأمر حتى بلغوا بالجزائر شاطئ السلامة والحرية فهم الذين يستحقون المدح والثناء"[3].

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون،المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2]- أحمد حماني: لست نازيا ولا عميلا للنازية،المصدر السابق،ص30.

[(*)]- سورة آل عمران ،الآية188.

[3]- المرجع نفسه، ص29.

المبحث الثاني: موقفه من مجازر ماي1945:

ما فتأت أن شكلت مجازر ماي1945 حاجزا بين الجزائريين بمختلف توجهاتهم وبين الإستعمار الفرنسي فأصبح الجزائريون يتذكرون كل سنة تلك المجازر ويعيدون تنشيط ذاكراتهم من أجل التأهب لخوض غمار الجهاد وطرد المتسبب فيها والتأكيد على الهوة التي تفصل المسلمين عن المعتدين وفي هذا الإطار كتبت جريدة الشعلة سنة1950 تخليدا للذكرى مقالا صريحا يفهم من خلال عنوانه:"الخندق الفاصل :حوادث 8ماي1945"،يقول صاحب المقال(*) مخاضبا هذه المجازر:"لقد تركت بضراوتك وحشية في النفوس ظلت وستظل مصدر التوجع والألم والخندق الفاصل بين يعرب والعجم...إن النسيان يأتي على الحوادث فيطمس آثارها إلا حوادث ماي فإنها عدت على النسيان فمحت وجوده من البشر".[1]

وفي حقيقة الأمر أن فرنسا حضرت للإنتقام من الجزائريين،نظرا للتقارب الذي حدث بين التشكيلات الجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية وكان بيان الشعب الجزائري هو أصدق تعبير عن ذلك التقارب من أجل إقامة دولة جزائرية مستقلة، وأنشئت لهذا الغرض يوم14 مارس1944 جمعية أحباب البيان والحرية.[2]

ويؤرخ الشيخ حماني لهذه الفترة بقوله:" في أواسط مارس سافر معي الإخوان إلى تونس للمثول أمام المحكمة العسكرية (**) والتقينا بالقادة من الدستوريين ومنهم المرحوم الزعيم العظيم محي الدين القليبي الذي سمع منا عن الحالة في الجزائر وعن اليقظة العامة فابتهج لذلك لكنه قال لنا:"احذروا مكائد فرنسا،إنها كوحش جريح وربما نفذ صبرها ،فتنقض عليكم مستعملة المخالب والأنياب ، فلا تعطوها الفرصة، واعملوا بتأن وبتعقل تام وحاولوا أن لا يخرج الشعب للشوارع فتلك فرصتها".كان هذا الكلام قبل الأحداث بحوالي شهر ونصف"[3] ،لكن وقع ما كان محتملا إذ خرج الشعب الجزائري في مظاهرات

(*)– المقال كتب دون ذكر صاحبه لكن أغلب الظن هو لصاحب الجريدة الصادق حماني كما كان يكتب فيها إبن عمه أحمد حماني دون ذكر لإسمه.

[1] - الشعلة: الخندق الفاصل:حوادث ماي1945،عدد22 ليوم1950/5/11،ص1.

[2] - صالح فركوس ،المرجع السابق،ص415.

(**)- أتهم الشيخ حماني بتعاونه مع الألمان بتونس ولما أحس بالخطر عاد إلى الجزائر سرا سنة1944وفي أواسط مارس 1945رجع الى تونس للمثول أمام العسكرية ، وقبل المحاكمة إجتهدت جمعية العلماء من أجل الحفاظ على حياة أحد أفرادها النشطاء(أحمد حماني)، وفعلا أصدرت المحكمة حكمها بالبراءة.

[3] - أرشيف العائلة،مكتوب بالآلة الراقنة.

سلمية منذ الفاتح من ماي ،لكن أكبرها كانت في الثامن من نفس الشهر سنة1945 معبرا عن فرحته بانتهاء الحرب العالمية الثانية وفي نفس الوقت مطالبة فرنسا بانجاز ما وعدته به خلال الحرب ،غير أن فرنسا وغلاة المعمرين وجدوا في ذلك فرصتهم لإسكات هذا الشعب إلى الأبد -حسب تصورهم- بارتكابهم مجزرة في حقه ، ذهب ضحيتها 45 ألف شهيد ،وعلى الرغم من إقرار حزب الشعب بمسؤوليته على إخراج الشعب للشارع إلاّ أن السلطات الإستعمارية ،حلّت جمعية أحباب البيان والحرية، وأغلقت مدارس جمعية العلماء،كما أن تنكر المعتدلين للأسلوب الذي جرت به الأحداث ،لم يمنع فرنسا من إلقاء القبض على كل من فرحات عباس والبشير الإبراهيمي ،أما مصالي الحاج فسبق نفيه الى برازافيل قبل وقوع جرائم ماي بحوالي أسبوعين[1].

ولم تكن مدينة قسنطينة منعزلة عن تلك الأحداث لكن لم تكن دموية كبعض المدن الجزائرية، ويصور لنا الشيخ حماني ما حدث بها بقوله :" نظمت مظاهرة انطلقت من حي المحطة ، مارة بنهج الولايات المتحدة، ثم بجسر سيدي راشد ووصلت إلى قرب نزل سيرتا، وكان على رأسها المحسن الكبير كرماني الحاج حموش ،فوجدوا حاجزا للشرطة أمامهم وفيهم مفتش مسلم من أصل قبائلي، فتكلم بلغة القبائل مع الحاج كرماني وقال له: يا حاج لا تتقدموا خطوة فقد نصبوا لكم الرشاشات فوق مبنى سيثروان ولو تقدمتم فمآلكم الموت.حينها تحمل الرجل الكريم مسؤوليته التاريخية والتفت إلى الجماهير قائلا :لقد قمتم بواجبكم وأظهرتم عواطفكم، بارك الله فيكم، والىن انصرفوا.وبهذه الكلمات تمكن من إنقاذ قسنطينة من مآل كمآل قالمة أو سطيف.لكن الحاج كرماني اعتقلته السلطات الاستعمارية وعذبته بحجة أنه المسؤول الأول عن المظاهرة وكما استطاع تفريق الناس ففي قدرته تجميعم ضد فرنسا[2]. أما عن الشيخ حماني خلال تلك الأحداث فيقول بأنه كان حديث العهد بالرجوع من تونس عندما وقع ما وقع في ذلك الشهر،فقد تخلص من التهم التي وجهت إليه بتعاونه مع الألمان ،وكانت ظروفه السابقة سببا لنجاته من الحوادث إذ كان عمله بين1944 و1945 مقتصرا على بعض الأعمال المدرسية وباقي مشاركته في الأعمال العامة فكانت في تكتم لا يظهر لها أثر، لذلك كان من جملة من لم يصبهم السوء بينما ألقي القبض على زملائه محمد الغسيري وعلي مرحوم. وعندما جاء الأمر بغلق مدرسة التربية والتعليم في14 ماي1945 كان الشيخ حماني قد شرع في تنظيم الامتحانات ،فتوقف وأغلقت المدرسة، إضطر حينها لترك مسكنه المتواجد بمقرعمله، ليعود الى حياة اللااستقرار[3]،بعدها أصيب بمرض ،أدخل على

---

[1]- العربي الزبيري ،المرجع السابق ،ص77.

[2]- أرشيف عائلة حماني.

[3]- المصدر نفسه.

إثره إلى المستشفى أين أجريت له عملية جراحية أطالت بقاؤه هناك مدة ستة أشهر، ليخرج معافى ويواصل أعماله ضمن مدرسته الأولى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المبحث الثالث: جهوده في التربية والتعليم بعد تأسيس معهد بن باديس.

تبلورت فكرة إنشاء المعهد بعد الحرب العالمية الثانية ،فقد اجتمع معلمو التعليم العربي الحر في مارس1946 برئاسة أحمد بوشمال الذي كان ينسق مع الشيخ البشير الإبراهيمي القابع في سجنه العسكري وتقرر في ذلك الإجتماع إعادة فتح المدارس العربية الحرة بالرغم من القرار الإستعماري القاضي بغلقها. ويذكر خيرالدين في مذكراته بأن "الجمعية جمعت التبرعات وتم شراء دارا كبيرة كانت ملكا لأحد أفراد عائلة ابن لفقون، وجهزت بالطاولات والمقاعد والبسط ووضعت البرامج وعين المدرسون سنة1947 ،تولى إدارة المعهد الشيخ العربي التبسي وقد تزايد عدد الطلبة عاما بعد عام مما جعل إدارة المعهد تفكر في ملاحق كالجامع الأخضر والجامع الكبير"[1].وكان المعهد يسير وفق تنظيم صارم، تتألف إدارته من ثلاث هيئات متضامنة ،كل واحدة مسؤولة فيما يخصها من الأعمال أمام المجلس الإداري لجمعية العلماء.الأولى :الهيأة العلمية ،والثانية:الهيأة المالية، والثالثة :هيأة المراقبة والضبط ،ويرأس المدير العام جميع الهيئات، وللمجلس الإداري لجمعية العلماء الإشراف الأعلى على الجميع[2] ، مدة الدراسة بالمعهد أربع سنوات،وانتقال التلميذ من سنة لأخرى عن طريق الإمتحان، وتنتهي السنوات الأربع بشهادة تساوي في القوة مثلها في جامع الزيتونة، وتخول تلك الشهادة لحاملها الدخول في القسم الثانوي من الجامع المذكور.عدد الدروس بالمعهد ستة دروس في اليوم :ثلاثة في الصباح وثلاثة في المساء وكل درس يستغرق ساعة إلا عشر دقائق.برنامج الدراسة هو برنامج السنوات الإبتدائية الأربع في جامع الزيتونة، كم حرص المعهد على إكمال البرنامج بدروس في مبادئ الرياضيات ،الطبيعيات ،الجغرافيا ،التاريخ وحفظ الصحة وأصول الأشياء، يقوم بها طائفة ممتازة من الأساتذة المختصين ويؤدي فيها التلاميذ الإمتحانات السنوية[3].من شروط قبول التلاميذ بالمعهد أن لا ينقص عمر التلميذ عن ستة عشر سنة،وأن لا يكون مصابا بمرض معد بشهادة طبيب المعهد، أن يكون حافظا لجزء معتبر من القرآن، كالربع ولا يقبل من يحفظ أقل منه، وحافظ القرآن كله يقدم في القبول وفي جميع الإمتيازات،القدرة على نفقات الاكل والسكن بحسب حال التلميذ والمعهد لا يلتزم بشيئ من ذلك نظرا لضيق موارده المالية.

---

[1] - محمد خير الدين:المذكرات،ج1،المصدر السابق،ص205.

[2] - المصدر نفسه،ص207.

[3] - المصدر نفسه،ص208.

وقد اجتهدت جمعية العلماء في شراء دار للطلبة هي بمثابة داخلية لهم ووضع لها قانون، من بين مواده.المادة الأولى:الدار مؤسسة من مؤسسات جمعية العلماء وملك من أملاكها، كائنة بقسنطينة بنهج لامارن رقم7.

المادة الثانية:هذه الدار يسكنها تلاميذ معهد بن باديس الذين ترشحهم إدارة المعهد حسب الإجراءات التي تعلنها وتقبلهم بمقتضاها.

المادة الثالثة: إدارة المعهد مسؤولة عن كل ما يتعلق بهذه الدار من بناء وإصلاح وتأثيث وتنظيم، وعليها أن توفر للتلاميد كل ما يتطلب وجودهم فيها من أكل وشرب ونوم.[1]

وقد كان الشيخ أحمد حماني من الأوائل الذين ضحوا في سبيل إقامة معهد بن باديس، ووضع قوانينه، والتدريس فيه، حتى إغلاقه سنة1957. فبعد عودته من تونس سنة1944، وكشأن العائدين من الجامع الأعظم ، باشر رسالته في محاربة الأمية والسعي لنشر الوعي الديني ،الأخلاقي ،الإجتماعي،الثقافي والسياسي في سبيل النهوض بأمته الرازخة تحت نير الإستعمار، وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم الذي يراه حافزا مهما في بث روح اليقظة في الأمة لتتخطى وطأة الخرفات والبدع التي سخرها المستعمر لفائدته، فكان الميدان الخصب لأداء هذه الرسالة هوالتعليم ، فعين مدرسا في مدرسة التربية والتعليم(*) سنوات1944-1945-1946 في عهد مديرها عبد الحفيظ الجنان[2]. وفي السنة الأولى تطوع لتقديم دروس لطلبة المدارس الرسمية الذين كانوا يأتونه في تكتم خشية المستعمر من التنكيل بهم[3].

وقد ساهم حماني مساهمة فعالة في تأسيس معهد بن باديس الذي يعتبر أول ثانوية للتعليم العربي الحر، وسمي نسبة إلى باعث النهضة الجزائرية الحديثة الشيخ عبد الحميد بن باديس، لمواصلة ما كان قد شرع في بنائه وترسيخه من أفكار ومنها على سبيل المثال ما صرّح به سنة1936رافضا سياسة الإدماج:"أن الجزائر ليست فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، ولكنها أمة بعيدة كل البعد عن فرنسا في لغتها وفي دينها وفي تاريخها"

---

[1]- المصدر نفسه ،ص210.

(*)- مدرسة التربية والتعليم :هي أم المدارس الحرة في الوطن ،كانت لها جمعية تعرف بنفس الإسم ،رئيسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس، تحصلت على الإعتماد سنة1932.مقرها كائن في نهج الأربعين شريفا . افتتحت المدرسة في هذا المقرالجديد في26 شوال1355هـ الموافق ل9 جانفي1937 المصدر:محمد الحسن فضلاء،المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر في الجزائر،ط1،دار الأمة،1999،ص60.

[2]- عائشة بوتريد،المرجع السابق،ص77.

[3]- أحمد حماني:الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص298.

وللمعهد عمل ايجابي فعال لاثباث هذه الحقيقة وابرازها إلى حيز الوجود.[1] في سنة1947 كان أحمد حماني يشغل منصب كاتب عمالة قسنطينة التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبحكم هذه الصفة وضعت على كاهله مسؤوليات التحضير لإفتتاح المعهد وكان نشاطه مكثف من إستقبال الطلبات إلى إعداد برنامج الدراسة بالتنسيق مع الأساتذة، توزيع حصص الدراسة وتفويج الطلبة. افتتحت الدراسة في شهر ديسمبر وحينها تسلم كتابة المعهد الأديب أحمد رضا حوحو(*) لإجادته الفرنسية والحاجة إلى ذلك ضرورية، وتفرغ أحمد حماني للتدريس وشؤون الجمعية [2] .فعمل به أستاذا من 1947 إلى1957 وكان يدرّس شتّى العلوم الإنسانية يضفي عليها صبغة خاصة تميزت بغرس الروح الوطنية والثورية والتركيز على الدور الفعال الذي يلعبه الشباب في النهوض بالأمة خاصة وأنه أيامها كان شابا مفعما بالحماس ونستشف هذه المميزات ممن درسوا على يديه أو زملائه بالمعهد .ومن التلاميذ الذين تتلمذوا على يديه ابو عبد الله غلام الله الذي يقول عن مترجمنا:"دخلت المعهد في اكتوبر1954 وكانت دروس أحمد حماني في التاريخ والجغرافيا كلها في الوطنية، لا يقول كلمة في التاريخ سواء في تاريخ الجزائر أو تاريخ الإسلام أو التاريخ الأوربي أو في التاريخ الأمريكي إلا من حيث الصراع القائم بين الشعوب والاستعمار، وكان يذكرنا ما هي الجهود وما هي التضحيات التي بذلتها الشعوب سواء في أمريكا أوفي كندا أوفي الشرق، وفي ذلك الوقت كان الحديث كثيرا عن باكستان وانفصاله عن الهند وما هي الأعمال والتضحيات وأن الإستقلال ليس شيئا يعطى وليس شيئا يتحصل عليه وإنما هو نتيجة التضحيات والدماء والإخلاص والتضامن[3] . كان يحيى ما كان يدرسه بجميع حواسه ويدفع تلامذته لتذوق الأدب العربي، وفي هذا المجال يواصل غلام الله شهادته قائلا " كان يدفعنا لتذوق الأدب ،خاصة القومي وأدب الملاحم، أدب المتنبي، وكان يتناوله من حيث الفحولة والبطولة ومن الناحية الفنية واشهد أنني أخذت منه فيما يخص التذوق الفني ما لم أخذه من بقية

---

[1] - أحمد حماني،شهداء علماء معهد بن باديس،مصدر سابق،ص37

(*)–أحمد رضا حوحو(1911-1956):ولد بسيدي عقبة قرب مدينة بسكرة، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم بقسنطينة.غادر الجزائر إلى الحجاز سنة1934،ولم يعد إليها إلا بعد سنة1945، تولى الكتابة العامة بمعهد ابن باديس،كان أول من ألقي عليه القبض من رجال جمعية العلماء ،استشهد بعد سنتين من إندلاع الثورة التحريرية.للمزيد أنظر معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين،ج2،لعبد الكريم بوصفصاف وآخرون ،ص82.

[2] - أحمد حماني،الصراع بين السنة والبدعة،ج2،مصدر سابق،ص298.

[3] - شهادة وزير الشؤون الدينية أبو عبد الله غلام الله:الشيخ أحمد حماني شهادات ومواقف،مرجع سابق،ص ص200-201.

الأساتذة الذين تعلمت عليهم فيما بعد"[1].كما كان محبا لعمله بالرغم من أن المعهد من حين لآخر يتعثر ماديا فلا يدفع أجور الأساتذة، لذلك كان رئيس الجمعية دائم الإلحاح على الأمة في التمويل، ويشهد عبد الحميد ونيسي أحد تلامذته بأن الشيخ حماني كان متفانيا في عمله على غرار بقية الأساتذة ،لكن حماني بالذات كان يتميز عليهم في احتكاكه بالطلبة وبنكته أحيانا فيحس التلاميذ بذوبان ذلك الحاجز بينهم وبين أستاذهم ولكن في إطار من الهيبة والإحترام [2].

وخلال تواجده بالمعهد لم يدخر جهدا في تعليم الطلبة موظفا كفاءاته العلمية، وشهد عليه الشيخ البشير الإبراهيمي إذ قال بأن إدارة الجمعية اختارت للتدريس بالمعهد أكفأ الأساتذة المتخرجين من الزيتونة.[3] كان الشيخ أحمد حماني يحمل هم التعليم بالمعهد والوصول به إلى أرفع المستويات، وفي هذا المجال كان له إقتراح على الإبراهيمي أتى بثماره وهو إلحاق المعهد بجامع الزيتونة بتونس ليكون فرعا له، فوافق الإبراهيمي الذي أرسل رسالة الى جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين سنة1947 يخبرهم فيها بأن جميع التحضيرات قد تمت ليفتح المعهد أبوابه في شهر أكتوبر من السنة نفسها،وطلب من رئيس الجمعية عبد الرحمان شيبان أن يتقدم من مدير جامع الزيتونة فضيلة العلامة محمد الطاهر بن عاشور، ويطلب منه الاعتراف بالمعهد كفرع من فروع الزيتونة[4]، ولتنفيذ هذه المهمة الدقيقة والعظيمة، أقامت الجمعية بناديها الكائن بنهج عبد الوهاب بتونس،حفلة تكريم الإمام محمد الطاهر بن عاشور وأثناء الحفلة عرضت عليه رغبة جمعية العلماء، فأكبر هذه المبادرة العلمية، وأعرب عن اغتباطه الشديد ،بأن يعترف بمعهد يحمل اسم أحد تلامذته الأصفياء-عبد الحميد بن باديس- كفرع لجامع الزيتونة[5] وقد كان في برنامج الجمعية كخطوة أولى ربط الصلة بالزيتونة ثم توثيق صلاته بجامعات القاهرة والإسكندرية ودار العلوم والأزهر وعين شمس بمصر، وجامعة دمشق بسوريا،وبغداد بالعراق، والسعودية،الكويت الأردن والمغرب وليبيا[6].

---

[1]- المصدر نفسه،ص201.

[2]- مقابلة شخصية مع عبد الحميد ونيسي،بمقر مؤسسة عبد الحميد بن باديس بقسنطينة يوم:2006/8/26

[3]- محمد البشير الإبراهيمي:معهد عبد الحميد بن باديس:ماله وماعليه، البصائر،العدد44، السلسلة2. يوم السنة1 يوم 21 جوان1948.

[4]- محمد الصالح بن عتيق ،مصدر سابق ،ص71.

[5]- عبد الرحمان شيبان:الذكرى الأربعينية لوفاة الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي،مجلة الأصالة،العدد57،ماي 1978،دار البعث،1978،ص88.

[6]- المصدر نفسه،ص89.

وبحكم أن مشائخ المعهد وعلماء الجزائر بصفة عامة كانوا من خريجي جامع الزيتونة فهذا لم يمنع البشير الإبراهيمي توجيه انتقادات من اجل إصلاح الزيتونة عبر صفحات جريدة البصائر في عددها الخاص بمعهد بن باديس والصادر في شهر جويلية1948محددا شروط الإصلاح ودوافعه:" والحق أن في جهاز التعليم بجامع الزيتونة خللا يحتاج إلى الإصلاح وعللا يجب أن تزاح ونقائص يجب أن تعالج، وتوافه من النظم يجب أن تلغى، فإذا اطمأن بعض أصدقائنا وإخواننا من علماء الزيتونة على إبقاء ما كان على ما كان فليعلموا أن ورائنا من الزمن سائقا عنيفا ، يستحث البطاء ولا يغض من أعنة العجال وأن بين أيدينا ودائع من شباب متطلع إلى الكمال تواق إلى السبق حريص على دقائق عمره ان تنفق إلا فيما ينفق، وهو يريد أن يكون كزمنه وأبناء زمنه ،وزمنه ثلاثة جد واتقان ونظام ... وليعلموا أن خصوم الإسلام في ازدياد، وان سير الإلحاد في اطراد وأن العلوم الغربية زاحمت العلوم الإسلامية في نفوس شبابنا فافتتنوا، وأن التعليم في كلياتنا المشهورة بوضعه الحالي لا يكفل لنا سد أبواب هذه الفتن... إن الإصلاح المرجو لجامع الزيتونة لا يبلغ مداه إلا إذا توفرت فيه ثلاثة شروط:الاستقلال،المال والرجال"[1] والأكيد أن أحمد حماني كان من المتتبعين لمقالات الشيخ الرئيس وكلامه لا ينطبق فقط على جامع الزيتونة بل حتى على معهد بن باديس وعلى أساتذته الأخذ بعين الإعتبار التجديد فيما ينبغي التجديد فيه.ومع مرور الزمن أدخلت إصلاحات على المعهد من بينها ما ذكر في مقررات المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بالجزائر أيام25،26،27،28،29 سبتمبر1954 ومن بين أعضائه أحمد حماني الذي عمل ضمن لجنة الموظفين والوظائف التي قررت:

1- **أن يكون المعلم في معهد بن باديس متحصلا على شهادة العالمية من الزيتونة أو ما يعادلها من القرويين أو معاهد الشرق، بشرط مباشرة التدريس أو الإدارة أو العمل في سلك الجمعية مدة عامين –قبل المناظرة-أو متحصلا على شهادة التحصيل من الزيتونة أو ما يعادلها.ويشترط في الأخير أن يكون قد علم أو أدار مدرسة تابعة للجمعية أو عمل في سلك الجمعية مدة لا تقل عن أربعة سنوات.ويشترط في الجميع أن يكونوا ممن إنخرط في سلك الجمعية من قبل وكافح في سبيلها مستقيما في سيرته الدينية والأخلاقية.**
2- **يكون الدخول للتدريس بالمعهد، بمناظرة بين من توفرت فيهم الشروط السابقة.يعلن عن موادها وتاريخ وقوعها قبل مدة لا تقل عن شهرين.**
3- **لا يرتقي معلم من درجة إلى أعلى منها إلا بمناظرة بالشروط السابقة**

[1]- **المصدر نفسه،ص84، نقلا عن البصائر عدد خاص بمعهد بن باديس لسنة1948.**

4- يثبت كل المعلمين الحاليين في درجته.ولا يطبق عليه ما سبق من اشتراط المناظرة إلا من فقد شرط الشهادة العالمية مع سنتين أو التحصيل مع أربع سنوات، وثبت قصوره بتقرير من اللجنة العلمية فعندئذ يحال على المناظرة.[1]

والمناظرة إصلاح جديد في سير التعليم بالمعهد لأختيار المدرسين به، ويرى أبو القاسم سعد الله أن سبب إنشاء المناظرة أن البعض إشتكى من كون العلاقات الشخصية هي التي كانت تلعب دورا في جلب المعلمين إلى المعهد ولو مع عدم الكفاءة[2].

كما كان حماني دائم النشاط خلال تواجده بالمعهد كمدرس به، ونائب ثان لمديره العربي التبسي ،بعد الشيخ محمد خير الدين، وكعضو مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين ،وكاتب عام لمكتب الجمعية لعمالة قسنطينة، وكمثال لهذا النشاط تكرار إسمه في ثلاث مواضيع مختلفة، في عدد واحد لجريدة البصائر[3] هي على التوالي:

-"...كانت إقامة الإحتفال بالمولد من مديره الحازم الشيخ العربي التبسي ...إذ عهد إلى إثنين من مدرسيه النجباء هما العباس بن الشيخ الحسين وزميله أحمد حماني...بإقامة احتفال ليلة المولد... وتقدم أحمد حماني فألقى كلمات ارتجالية موضوعها "الإسلام دين الحرية والتحرير" فأحسن وأفاد."

-"...الميلية تحتفل بمدرستها الجديدة...ثم جاء دور أحد شيوخ المعهد الباديسي أحمد حماني فمتع السامعين بدرس قيم في بيان آيات بينات من كتاب الله عز وجل،وكان له الأثر البالغ..."

- والموضوع الآخر بقلم الشيخ أحمد حماني كاتب مكتب الجمعية لعمالة قسنطينة ،هاجم فيه هجوما حادا القائد ورجل من الأمن(الشنبيط) اللذان أهانوا المسلمين في يوم إحتفالهم بالمولد النبوي بمنطقة الجناح وفي الأخير يقول حماني:" يجب أن يقف أمثال هذا القائد عند حدودهم ،أو يوقفوا كما يقتضيه الحق والعدل والسياسة الرشيدة، عن أعمالهم وإلا فإن يوم الحساب آت لا ريب فيه"[4].

مؤديا تلك الوظائف التي يصعب جمعها ،واصل الشيخ نشاطاته بالمعهد حتى1957وهي السنة التي أختطف فيها مديره العربي التبسي، فخلفه حماني لبضعة أشهر ليتم القبض عليه هو الآخر في نفس

---

[1]- أبو القاسم سعد الله :أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1990،ص73.

[2]- المرجع نفسه ،ص85.

[3] - البصائر : العدد23، السنة الثانية ،السلسلة الثانية ، ليوم 15 فيفري1948.

[4]- المصدر نفسه،ص7.

السنة.وخلال تواجده على رأس المعهد حول حماني دار الطلبة(*) إلى مقر للاجتماعات السرية للثورة ولما اكتشف أمرها حولها الإستعمار إلى مركز للاستنطاق والتعذيب.

ولما أسست لجنة التعليم العليا(**) التابعة لجمعية العلماء المسلمين لم يكن مقرها ثابثا،فتارة العاصمة وتارة أخرى قسنطينة وترأسها حماني في1955،1956،1957 إذ كان يسافر أسبوعيا بين قسنطينة والعاصمة للقيام بأعمالها إضافة إلى الإتصالات التي كان يكلفه بها العربي التبسي الذي كان دائم الإتصال بالعقيد عميروش فكان حماني همزة وصل بين الولاية الثانية والولاية الرابعة[1].

(*)- منذ تأسيس المعهد ومشكلته الرئيسية الإمداد المادي وعدم توفر سكن للطلبة، مما دفع إدارة المعهد على العمل الدؤوب من أجل حل هذه المعضلة فشرعت في بناء دار الطلبة تشتمل على 4طوابق ومطعم وحمام ، أنجزت في سنوات وفتحت في عيد وطني سنة1953 .جاء لحضوره وفود من سائر أنحاء الوطن ووفد من جامع الزيتونة ،على رأسه نائب شيخ الجامع الأستاذ علي النيفر.المصدر:أحمد حماني،شهداء علماء معهد بن باديس،مصدر سابق،ص50.

(**)- لجنة التعليم العليا:تشكلت سنة1946 وكان باكورة أعمالها توحيد التعليم. رئيسها إسماعيل العربي تخرج من معاهد القاهرة ،ومن أعضائها:الصادق حماني، محمد الغسيري، عبد القادر الياجوري، احمد حماني ببوكر الحاج عيسى الاغواطي،احمد قصيبة، بن ذياب احمد ،محمد الشبوكي،باعزيز عمر،العباس بن الشيخ الحسين، علي المغربيثم لحق بهم إبراهيم مزهودي وعبد الرحمن شيبان بابا احمد محمد...أوكل لهذه اللجنة وضع برنامج موحد لجميع المدارس، والعمل على توحيد الجمعيات وانتخاب المعلمين وشروطهم،وإنشاء تفتيش للتعليم، والتفكير في توحيد المرتبات على حسب مكانة المعلم وشهادته وصون كرامته واستقلاله وحمايته.المصدر:شهداء علماء معهد بن باديس،ص64.

[1]- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة،ج2،مصدر سابق،ص299.

المبحث الرابع: إندلاع الثورة والإنضمام إليها:

قبل تبيان كيفية إنخراط حماني في الثورة لابد من الإشارة إلى موقف جمعية العلماء المسلمين من الثورة خاصة وأن حمّاني كان عضو مجلس إدارتها.

فكثيرة هي الأقلام والألسن التي تظلم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عندما يتعلق الأمر بموقفها من الثورة والاستقلال،"فهناك من زعم بأن رجالها لا يؤمنون بالاستقلال ولا يعملون له وقد يعارضون من يسعى من أجله، وهذه المقولة مرفوضة لأن كلمة الإستقلال لم تكن مما يسهل قوله والإعلان عنه وحتى إذا قالها القائل من الخارج وبلغة أجنبية فلا ينتفع بقولها أحد، فالأعمال خير من الأقوال، فلما تطورت الأحوال ،أعلن العلماء أن هذا الإستقلال ممكن وأنه حق لكل إنسان"[1].وفي هذا المجال يبين الشيخ أحمد حماني موقف ابن باديس من الثورة وهل كان يحضر لها، فأقرب مقربيه يؤكدون على تحضيره الصامت للكفاح المسلح ومن تصريحاته أنه يخشى دفع الأمة إلى الثورة قبل كمال الإستعداد ، كما كان يسأل تلاميذه الكبار هل أديتم الخدمة العسكرية؟ ومن أجاب بنعم ميزهم عن الآخرين وصرح لهم أننا سنحتاجكم يوما ما، وحثهم على عدم نسيان ما دربوا عليه من أعمال الحرب ، وقد سمع حماني الشيخ عبد الحميد في إحدى أمسيات خريف1939 في مجلس بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة يتأسف على كبار التيار الإدماجي الذين أعلنوا الولاء والإخلاص لفرنسا فقال:"لو أنهم استشاروني واستمعوا إلي وعملوا بقولي لأشرت عليهم بصعودنا جميعا إلى جبال الأوراس وإعلان الثورة المسلحة[2] ، وكان الشيخ عبد الحميد يكتب داعيا الشعب الجزائري لليأس من فرنسا وعليه أن يعول على نفسه،فقد كتب ذلك في سلسلة متواصلة منذ1937 في مجلة الشهاب التي غير شعارها عشية الحرب العالمية الثانية من "الحق والعدل والمساواة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات" إلى "لا نعول إلا على أنفسنا ونتوكل على الله" ومعنى ذلك على الجزائريين إنتزاع حقوقهم، وآخر ما نشر بالشهاب وكان سببا في حجز السلطة الإستعمارية له في أوت1939 مقالا للكاتب العربي إبراهيم عبد القادر المازني بعنوان:"العرب ثمانون مليونا ولا يريدون أن يخيفوا أحدا"[3] . إذن بعد كل هذه الأدلة عن الموقف الإيجابي لرئيس الجمعية من العمل المسلح والتي غرسها في تلامذته الذين كانوا وقود الثورة التحريرية "فهل يعقل أن يقعد رجالها عن الثورة وخوض غمارها عندما يشعل فتيلها، وفيمن أشعلها

---

[1]- **عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى،المرجع السابق،ص16.**

[2]- **أحمد حماني : ابن باديس والثورة،مجلة الرسالة،مصدر سابق،ص ص 28،29.**

[3]- **أحمد حماني:شهداء علماء معهد بن باديس،المصدر السابق،ص46.**

هم من صميم أبنائها مثل بن بولعيد،رئيس من رؤساء مدارسها وبن مهيدي أحد تلاميذ هؤلاء الرجال، وزعيم الكشافة،التي هي من منشآتها ومن فرقها:الرجاء والصباح الموجه إليها الخطاب الذي يوصي شرا بالظالمين والخائنين، وعميروش رئيس شعبها بفرنسا"[1] إذن السجون، المعتقلات ساحات الفداء والشرف ، ميادين الجهاد، شاهدة بالمشاركة والتضحية التي قدمتها الجمعية. فكل من حزب الشعب والجمعية لهما إمتدادات في الأوساط الشعبية الجزائرية وكل طرف يكمل الآخر.

لكن تجدر الإشارة إلى أنه عندما إندلعت الثورة التحريرية في فاتح نوفمبر1954 لم تتبين الجمعية كتنظيم، شأنها شأن الأحزاب الأخرى الجهة التي فجرت الثورة لذلك لم تسارع إلى الدعوة للإنخراط في جبهة التحرير الوطني، "ومن الإنصاف أن نقول أن هناك فرقا بين تبني الثورة والدعوة لها وبين الإنضمام لجبهة التحرير والإلتزام بشرعيته والذي يدرس تطور الأحداث خلال خريف وشتاء1954،يدرك أن اللجنة التي كونت جبهة التحرير وأعلنت الثورة لم تكن معروفة حتى لزعماء الحزب الذي خرجت منه فما بالك بقادة التنظيمات الأخرى ولا سيما من كان منهم بالخارج مثل محمد البشير الإبراهيمي[2] بالرغم من ذلك أصدر الإبراهيمي بيانات باسم مكتب الجمعية المتواجد بالقاهرة:الأول يوم 2 نوفمبر1954 ووزع على الصحافة المصرية ووكالات الأنباء العالمية[3] والثاني يوم 11 نوفمبر وزع على مختلف وسائل الإعلام [4] اما البيان الشهير هو الذي نشر وأذيع يوم 15 من نفس الشهر عبر فيه الإبراهيمي عن مساندة هذا التوجه الجديد الذي كان بسبب الاستعمار كما وجه فيه نصائح للثوار يبصرهم بعدوهم ويذكرهم بأعماله وبنواياه وبتاريخه ويناشدهم أن يتابعوا الجهاد، قائلا:"...فسيروا على بركة الله، وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح ،فهو السبيل الواحد إلى إحدى الحسنيين:إما موت وراءه الجنة،وإمّا حياة وراءها العزة والكرامة"[5].وفي1956 ستلتحق الجمعية-كتنظيم- إلى جانب الإتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري بالثورة [6]. أما إنضمام بعض عناصر الجمعية إلى الثورة فكان مع بداية الثورة وفيهم من تتلمذ في مدارسها،فلا ينكر إلى جاحد دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تشرف أحمد حماني بالإنتساب إليها منذ نشأتها في الحركة الإصلاحية والوطنية وتكوين الرجال

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالجمعيات الجزائرية الأخرى،المصدر السابق، من مقدمة الكتاب بقلم الشيخ أحمد حماني،ص ص 19،18.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي:في قلب المعركة ،،دار الأمة، ط1، 1997،من مقدمة الكتاب بقلم أبو القاسم سعد الله، ص6.

[3]- ،المصدر نفسه،ص20.

[4]- المصدر نفسه،ص24.

[5]- المصدر نفسه،ص19.

[6]- محمد حربي: المرجع السابق ،ص119.

والنساء ليكونوا وقودا الثورة المسلحة وهذا العمل يتكامل مع باقي التنظيمات الوطنية الأخرى وعلى رأسها حزب الشعب.

ودليل آخر على المشاركة الفعلية لعناصر الجمعية في الثورة ما ذكره الشيخ أحمد حماني،حيث كانت دار الطلبة التابعة لمعهد بن باديس منذ1955 تمثل معقلا للثورة، ينزل بها رسلها إلى الولايات في ذهابهم إليها أو رواحهم منها وقد تولى المسؤولية الأولى في الإتصال إبراهيم مزهودي ولم اكتشف أمره خلفه الأستاذ مصطفى بوغابة، ومن بعده الطاهر سعدي حتى جوان1957 ثم الصادق مخلوف[1].كما ناب أساتذة المعهد وبعض المعلمين في عمالة قسنطينة عن المعلمين الأحرار وأصدروا بيانا بعد ثلاثة أشهر ونصف من إندلاع ثورة نوفمبر عنوانه "نداء إلى الضمير الفرنسي بعد ثلاثة أشهر ونصف من بداية الحوادث"،ذكروا فيه بالجرائم التي يقترفها الإستعمار، معتقدين بأن الضمير الفرنسي الذي تمثله شخصيات ذات قيمة عالية، وتشمل أوساط الدين،العلم،الشغل،السياسة والأدب، لا يمكنه أن يبقى جاهلا هذه الويلات وهذه الجرائم المنكرة التي تقترف باسمه ويرتكبها نظام إستعماري جائر فظيع[2] . فكان المعهد وأساتذته وطلبته مركزا للاتصالات والتعريف بالثورة الجزائرية والشيخ حماني اعتقل بسبب هذه الاتصالات وإرساله للمقالات إلى تونس والمغرب وإلى جريدة البيان الناطقة بالعربية بنيويورك ومن جملة ما كتب في إختطاف الشيخ العربي التبسي(*). والذي زعم الإستعمار بأنه بريء وغير متورط في هذه الحادثة، ولفضح أكاذيبه قرر الشيخ أحمد حماني ،بعد مشورة مع أحمد بوشمال استدعاء البقية الباقية من أعضاء الجمعية الطلقاء وهم محمد الطاهر ساحلي الجيجلي،علي المغربي،عبد اللطيف سلطاني، مولود النجار، وبطبيعة الحال حماني وبوشمال، لإجتماع سري ،صدر عنه بلاغ، وبيان باسم الجمعية وفيهما تم الإعلان عن إختطاف الشيخ العربي التبسي من مسكنه من قوم يلبسون بدلة الجنود الفرنسيين،وحمل البيان مسؤولية الإختطاف وما ينجر عنه الإستعمار الفرنسي .وكان هذا البيان آخر ما أصدرته جمعية العلماء و تم إرساله إلى تونس والمغرب[3].

ونتيجة لهذا النشاط المكثف،شددت الرقابة على مؤسسات الجمعية وعلى رجالها ومنهم أحمد حماني الذي كان يفتي للمجاهدين بالولاية الثانية وأكتشف أمره عند إلقاء القبض على أحدهم معه رسالة

---

[1]- أحمد حماني : الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص300.

[2]- محمد خير الدين: المذكرات،ج1،المصدر السابق،ص393.

[(*)]- تم إختطاف العربي التبسي في 4 أفريل1957.

[3]- أحمد حماني :شهداء علماء معهد بن باديس،المصدر السابق،ص52.

تضمنت إستفسارات حول أحكام شرعية يجيب عنها حماني ، الذي كان بمثابة قاض للمجاهدين[1]، لكن السلطات الإستعمارية تريثت حتى قبضت عليه متلبسا بالجزائر العاصمة يوم11 أوت1957 في مهمة حمل البريد بين الولاية الثانية والولاية وهو في طريقه إلى مقر الجمعية ألقوا عليه القبض وحجزوا ما عنده من وثائق ،بقي في العاصمة تحت التعذيب مدة5 أيام ثم نقل إلى قسنطينة حيث مكث في العذاب والإستنطاق 22 يوما قبل صدور قرار الإيقاف والسجن. حوكم أمام المحكمة العسكرية في23 سبتمبر 1958 وصدر الحكم بالأشغال الشاقة لمدة15 سنة: قضى عقوبة السجن بسجن الكدية ثم نقل إلى سجن تازولت بباتنة يوم 6 نوفمبرسنة1958 ومكث فيه إلى 4 افريل 1962[2].

[1] - شهادة تلميذ حماني وأحد رفقائه فيما بعد،السيد دوحاني أدلى بها في الملتقى الأول "أحمد حماني" الذي نظمته مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية جيجل ،بذات الولاية ، يومي09/08 جويلية2007.

[2] - أحمد حماني : الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص ص301، 302.

المبحث الخامس:جهوده في السجن:

استطاع الذين دخلوا السجن قديما أو حديثا إنجاز أعمال لم يكونوا لينجزوها لو كانوا طلقاء ، بحكم التفرغ والخلوة، وإدراكهم بأن سجن الجسد لا يعني سجن العقل، فهذا السيد قطب ألف تفسيره المشهور داخل الزنزانة،وهثلر نظم أفكاره في كتاب كفاحي وهو داخل السجن ليلقى طريقه إلى التطبيق بعد خروجه ،وهكذا كان الجزائريون في سجون الإستعمار الفرنسي يواصلون نشر الوعي ، تعليم الأميين،وتكوين الطلبة المساجين وإعدادهم للإستقلال الذي كان حاضرا معهم كفكرة راسخة لأن قضيتهم قضية عادلة .وكانت أوامر جبهة التحرير الوطني إلى المعتقلين خاصة المثقفين منهم "أداء واجب تعليم اخوانهم"[1] . فقد غصت السجون والمعتقلات بالمئات من الأساتذة والمعلمين الذين واصلوا تأدية واجباتهم نحو المساجين الأميين ،لم يدخروا جهدا في أداء رسالتهم كمعلمين ومرشدين بحيث حولوا المعتقلات إلى مدارس ومعاهد تدرس فيها العلوم والفنون بأنواعها، لا فرق بين المثقفين باللغة الوطنية وبين المثقفين باللغة الأجنبية ومن هؤلاء: الدكتور أحمد عروة من باتنة المتحصل على شهادة طبيب من جامعة الجزائر، كان يلقي دروسا للمعتقلين بالعربية ،يرشدهم بها إلى القواعد الصحية،الدكتور جناس من جيجل طبيب عيون،عمار بن التومي من كبار المحامين[2] ويضاف إلى هؤلاء المثقفين الشيخ أحمد حماني نزيل سجن تازولت الذي استطاع رفقة ثلة من اخوانه[(*)] تحويل ذلك السجن إلى معهد ليس للقضاء على الأمية فحسب بل يتعداه إلى برنامج تثقيفي كامل يشمل فنون العربية، من نحو وصرف وإنشاء وبلاغة ولغة ، وعلوم الدين من توحيد وفقه وقرآن وحديث سيرة ، رياضيات من حساب وهندسة، جغرافيا وتاريخ.. لتكوين المساجين الطلاب وفق برنامج مسطر ومنظم تكوينا متينا تواجه به الجزائر المستقلة معركة البناء ،فالإستقلال أصبح قناعة ودائم الحضور في أذهان الجزائريين لأنه نابع من اليقين بعدالة القضية الجزائرية. واستطاعت هيأة التدريس التي يرأسها حماني بالسجن إستيراد الكتب حتى من تونس من وزارة التربية للحكومة الجزائرية المؤقتة التي كان يترأسها عبد الحميد مهري وساعد على تنظيم التعليم في السجن التحسن الطارئ للمساجين سنة1959 بفضل نشاط

---

[1] - **المصدر نفسه،ص302.**

[2] - **محمد الصالح بن عتيق: المرجع السابق،ص ص152-153.**

[(*)] - **كان في سجن تازولت رفقة الشيخ أحمد حماني ثلاثة من العلماء:الشيخ أحمد بوزيدي خريج القرويين وتلميذ الابراهيمي ،والشيخ محمود عيسى البابي خريج جامعة العراق وكليتها العسكرية ورفيقه في القضية الشيخ الصادق مخلوف المتخرج من الزيتونة.**

منظمات حقوق الإنسان، كما أن إدارة السجن سمحت بإنشاء مكتبة للمطالعة. وفي 1961 أنشأ حماني ورفاقه مجلة"صوت السجين" التي كان الصادق مخلوف يكتبها بخطه . وقد دام التعليم المنظم المستمر في السجن قرابة الثلاث سنوات كانت الإمتحانات منظمة، تعقد اجتماعات أسبوعية، يخطب فيها التلاميذ ويعرضون فيها مقدراتهم الإنشائية ،وتجدر الإشارة إلى أن التعليم في السجن كوّن رجالا واصلوا تعليمهم في الجزائر المستقلة و تقلدوا مناصب هامة منهم المجاهد عبد الله فاضل،فرحات بلمان ، حمداني بن طبال،رابح زدام، الأخضر قدوح..[1]. وبعد الإستقلال مباشرة إتصل بعض الطلاب الذين كانوا في المعتقلات بالشيخ حماني طالبين منه إتمام معلوماتهم التي بدأوها في السجون، فوافق ورتب لهم دروسا علمية بقاعة نادي الترقي لمدة خمسة عشر ساعة في الأسبوع موزعة كالآتي: أربعة ساعات مساء يوم الخميس، وست ساعات يوم الأحد وساعة كل يوم من الأيام الأخرى، وأثناء هذه الدروس استطاع الشيخ أن يختم لهم منظومة الألفية، مستعملا في تحضير دروسه الأشموني والتصريح، وقد تخرج منهم معلمون أكفاء، وتحصل عدد منهم على شهادة الليسانس،بعد النجاح في مسابقة الدخول إلى الجامعة، وأصبح منهم الاساتذة الجامعيون وأساتذة الثانويات، وعلى سبيل المثال برامة عمر(استاذ جامعي)،الساسي لعموري مكلف بمهمة في وزارة الشؤون الدينية،ووزيرا لذات الوزارة فيما بعد، علي مزياني، رئيس المجلس الشعبي بالقصبة ووادي قريش ورابح زدام استاذ بالثأنوي وغيرهم[2].

ويذكر يحي بوعزيز أن الشيخ حماني لما كان في السجن دبرت ضده عدة مؤامرات ومكائد كادت أن تقضي عليه ومنها إضراب السجناء عام1960 الذي اتهم بتدبيره، للمطالبة ببعض الحقوق[3] غير أني تحصلت على وثيقة[4] من أرشيف عائلة حماني توضح ان الإضراب كان بسبب خطبة و صلاة العيد [(*)]التي من عادة الشيخ القيام بها، واستغلها لرفع معنويات السجناء المناضلين بعد أن روجت فرنسا خبر إستشهاد العقيد عميروش. وهذا ملخص ما كتبه الشيخ حماني عن هذه الحادثة:

---

[1]- أحمد حماني:الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص303.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- يحي بوعزيز :مع الشيخ العالم أحمد حماني، نشرت في كتاب تخرج الدفعة الخامسة عشرنجوان2002 ربيع الثاني 1423 لجامعة الامير عبد القادر ،ص49.

[4]- وثيقة من أرشيف عائلة حماني تحصلت عليها بواسطة البريد الإلكتروني المرسل عن طريق إبنه عمر بتاريخ 15مارس2007 -انظر كذلك الملحق رقم:12.

[(*)]- كانت في 16 جوان 1959.

"كان موضوع الخطبة الأولى ما يرمز إليه الحج من وحدة المسلمين واجتماعهم بعرفات محرمين لا فرق بين أغنيائهم وفقرائهم ولا بين أمرائهم وملوكهم وصعاليكهم ،كلّهم قد تجرّد عن المخيط والمحيط وخلا قلبه من الدنيا ، وأقبل يدعو الله بخشوع وخضوع .

وكان موضوع الخطبة الثانية في الأضحية وما ترمز إليه من وجوب تقديم المرء أعز وأغلى ما لديه فهذا إبراهيم عليه السلام رأى أنه يذبح ابنه – فشاوره في ذلك فقال الابن الصالح " يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين " . فالمسلم – وهو يقدم أضحيته – يذكر هذا الحدث العظيم حتى لا يعظم في عينه شيء ولا يهن ولا يفشل لأي شيء أو ضر أصابه .وقد عاتب الله الذين فشلوا وهانوا يوم أحد لما بلغتهم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه وتعالى (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) ثم قال (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) وكان في هذه الحادثة وهذه الآية عبرة للمؤمنين ، فإنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا كاد الفشل يصيب المؤمنين فوجدوا أبا بكر يذكرهم ، ويخطب فيهم ويتلو عليهم الآية فعادوا إلى وعيهم وشمروا على ساق الجد ، ودمروا ما دبرته "الردة" التي عمت الجزيرة العربية ، وصدق الله وعده .

وبما أن الجزائريين هم من أحفاد أولئك الأمجاد ، فمهما أصابهم اليوم فإنه لا يدخل عليهم الوهن والفشل ، ومهما جاءهم من أنباء السوء فلا يجوز أن يفشلوا لأنهم يؤمنون أن العاقبة للمتقين ، وقد أراد الله أن يتخذ منهم شهداء ، وتلك منزلة هي أعلى المنازل فلا فشل ولا وهن وستكون الدولة للصابرين ، قال الله تعالى (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) وهذا وعد الله والله لا يخلف وعده .

كان هذا فحوى الخطبتين .غير أن السجان الذي يحرس الفناء السيد باشتارزي أظهر تأثره أمام المساجين وأعرب لهم عن عواطفه بقوله "إمامكم قوي" ، وأسال أمامهم دموع التمساح .

وبعد مدة زمنية من إنتهاء الصلاة فوجئ المساجين بالمناداة والتجمع في الساحة ،بعدها مباشرة ارتمى على حماني م. باشتارزي واختطفه من بينهم ، وساقه نحو حجرة رئيس الحراس ، وهو - في ذلك اليوم – أحد عتاد الزبانية ، يدعى (قاريقليوني) من الكورس الذي قال لحماني:"أنت "الإمام" ؟ لقد قلت في خطبة العيد "تحيا الجزائر الباهية!" . ولم ترد هذه الكلمة في الخطبتين ، فرد الشيخ قائلا:" كلا لم أقل هذه الكلمة فقال : إذن م. باشتارزي يكذب ؟ فأدرك حماني مغبة رميه بالكذب قائلا : إني لم أقل إنه يكذب ، ولكني لم أقل هذه الكلمة في خطبة العيد الذي يتحتم علينا أن نتحدث عن الحج والأضحية . فقال : ارجع إلى مكانك ، وسنأخذك إلى "السانقليي" ليقتلك ، ما أن سمع م. باشتارزي قول (قاريقليوني) حتى ارتمى على حماني وصفعه فألقاه أرضا ، وانهال عليه بالركل والضرب ثم ذهب به إلى"خلايا التأديب" أو سجن السجن ، فوجد فيه مدير السجن المركزي وصحبته

المشرف على سجناء التأديب – وهو السانقليي – وحارس كرسيكي يدعى م. دوكس فقال المدير : أنت "الإمام" الذي خطبت خطبة العيد ؟ قلت نعم . وتقدم م. باشتارزي ليترجم عنه فقال حماني للمدير سيدي المدير لا أقبل أن يترجم عني فإنه نسب إلي ما لم أقله في الخطبة ، ولا آمن أن يترجم عني بما لم أقله

فقال السانقليي تكلم فإن م. دوكس يفهم العربية وسيترجم عنك وقال المدير :لقد قلت في خطبتك "تحيا الجزائر الباهية" قال حماني : كلا لم أقل هذا قال ماذا قلت في خطبتك ؟ قلت تكلمت عن الحج وعن الأضحية وكلاهما يتضمن المعاني الدينية التي اعتادها المسلمين في هذا العيد .

فقال : طيب سنحقق في الأمر ، وأدخل حماني إلى السجن الإنفرادي .ولما سمع المساجين بما سيؤول إليه إمامهم دخلوا في إضراب عام عن الأكل من أجله ، وقد عمهم الخبر بفضل المناضل (نيبلاز) الذي كان يتولى الكتابة وهو من المناضلين الفرنسيين الأحرار .فأضرب المساجين كلهم حتى مساجين الحق العام .وبهتت إدارة السجن فهذه أول مرة يقع الإجماع منذ أن أسس نابليون الثالث إمبراطور فرنسا سجن تازولت(لا مبيز) سنة 1858 أي منذ قرن وعام !

وفي مساء اليوم الثاني (17 جوان) أخذ حماني لمقابلة المدير العام – وهو ضابط سابق سام في الجيش الفرنسي – فاستنطقنه من جديد قائلا:" هل بينك وبين م. باشتارزي عداوة ؟ فرد الشيخ: أما شخصيا فلا ، ولكنه من عائلة طرقية ، وأنا – كما تعلم – من جمعية العلماء ، وبين العلماء وبعض الطرقيين خلاف ديني .

ثم إنه في سلوكه الشخصي يتناول الخمر ، ويجهر بها بينما أنا بصفتي الدينية – أجاهر بحرب الخمر والسكيرين ، ولعله ظن – في بعض المرات – أنني أقصده وأشهر به ، وأنا ما عنيته أبدا ، وإنما عممت في حالة جميع الخمارين السكيرين وفي الغد يوم 18 جوان في الصباح انتصبت محكمة السجن برئاسة المدير العام وعضوية نائبه ورئيس المساجين .واستدعي للإدلاء بشهادتهم بعض المساجين منهم عبد الله فاضل ، ورابح الضر ، وعبد المجيد بن الزين ، واستنطق حماني من جديد ، وأدّى الشهود شهادتهم وأن الخطبة لم تتعد المعاني الدينية التي يتمسك بها المسلمون ولا يتهاونون فيها . ثم سأل المدير العام حماني عن م. باشتارزي ماذا يقول فيه ؟ فأجاب عفا الله عني وعنه فقد تسبب لي ولكم في متاعب ما أغنانا عنها .

وانتهت المحكمة بعد أن قضت ببراءة حماني وقضت على م. باشتارزي أن يقوم بالحراسة لمدة شهر كامل فوق الحائط . ثم كانت له مواقف طيبة من بعد لما شاع أن بعض الحراس يدبرون مع الغلاة

أمرا ضد المساجين . وكانت هذه المحنة سببا في تحسّن ظروف المساجين وحصولهم على بعض حقوقهم خاصة وأنها تزامنت مع لجان دولية لحقوق الإنسان تراقب وضعية بعض سجون الإحتلال.

خاتمة الفصل:

بعد دراستنا لما جاء في جوانب هذا الفصل توصلنا إلى أن نشاط الشيخ أحمد حماني لفائدة الحركة الإصلاحية والوطنية في الفترة الواقعة ما بين1940و1962 ،قد اكتسى طابعا تدريجيا وتصاعديا حيث كان يطور أساليب ووسائل النضال والمقاومة حسب الظروف والتطورات، ويعرف الأوقات التي يجب فيها التريث حتى لا تجهض فيها مشاريعه ومن بينها عدم تسرعه في الانسياق وراء وعود الألمان كما رأينا، ويمكن تلخيص ما توصلنا إليه من نتائج في النقاط التالية:

أولا: فكرة مقاومة الإحتلال كانت حاضرة عند الشيخ حماني ،لذلك دخل ميدان السياسة مبكرا بربطه علاقات مع أعداء فرنسا وتأسيسه لحزب جزائري وهو ما يزال طالبا بتونس، ، ومع أن محاولاته باءت بالفشل إلا أنها –إلى جانب محاولات إخوانه- شكلت التراكمات الضرورية التي ستفضي لإندلاع الثورة التحريرية.

ثانيا: أدرك الشيخ حماني ورفاقه أهمية التربية والتعليم في البناء الحضاري والحفاظ على الهوية الوطنية، بغرض إعداد جيل جديد من الجزائريين،يكونوا أداة لزرع بذور التغيير والنهضة بما يتلقونه من علوم ومعارف وخبرات تساعدهم على حمل أعباء رسالة الإصلاح والثبات أمام العراقيل التي تقف في طريق تحقيقها. والإصلاح يستدعي إعادة النظر في التعليم التقليدي ، وضرورة الأخذ بالأساليب الحديثة والإستفادة من العلوم العصرية وتنمية الفكر والعقل ، وقد تجسدت هذه الأفكار في معهد بن باديس خاصة ومدارس جمعية العلماء عامة.

ثالثا:رغم ما تعرض له أحمد حماني من ضغوط وتعذيب وسجن إلاّ أنه ظل متمسكا بمواقفه الرافضة للإحتلال الفرنسي، وبالثبات على الطريق الذي إختاره منذ أن كان تلميذا عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس ألا وهو طريق إصلاح الأرواح والعقول التي أفسدها الإستعمار وواصل على هذا النهج وهو في السجن :يعلم ويزيل الأمية، ويرفع المعنويات ويحضر لإستقلال بلاده، ، وكللت مجهوداته –ومجهودات رفاقه- بالنجاح ،لتبتدأ معركة أخرى هي معركة البناء والتشييد وهذا ما سأوّضح بعض جوانبه في الفصل الموالي.

مقدمة الفصل:

في هذا الفصل الأخير من البحث عالجت أعمال الشيخ أحمد حماني بعد إسترجاع الإستقلال الوطني، وجمعتها من خلال ما شارك به في ملتقيات الفكر الإسلامي وما كتبه في مجلة الأصالة،وصنّفت هذه الأعمال في ثلاث محاور،كما قسّمت الفصل إلى ثلاث مباحث وكل مبحث يتضمن محورا معينا:

ففي المبحث الأول :بينت قضايا التاريخ عند الشيخ حماني، بدءا بتاريخ صدر الإسلام وإشكالية الخلافة، مرورا على مساهمات المغرب الأوسط في الحضارة الإسلامية، ووصولا إلى الدفاع عن التاريخ العثماني الذي كثيرا ما يظلم في المشرق العربي، كما وضحت في هذا المبحث بعض القضايا الفكرية ذات الصلة بالتاريخ كما يراها مترجمنا.

أما المبحث الثاني: فتطرقت فيه إلى رؤية حمّاني إلى الدين الذي لا يمكن الإستغناء عنه لحل مشاكل المجتمع والأمّة، ووضحت علاقة الدين بالسياسة ،ومواصلة حمّاني لجهوده التي بدأها مع جمعية العلماء من أجل محاربة اللذين يستعملون الدين لأغراض خاصة تزيد في تخلّف الأمّة،وبعد الاستقلال عادت بعض الطرق الصوفية إلى النشاط وهذا ما جعل الشيخ حماني يتصدّى لها مرة أخرى، كما تناولت في هذا المبحث تعلّقه بالمذهب المالكي الذي يرمز إلى وحدة المنطقة.

وعالجت في المبحث الأخير التضحيات التي قام بها في سبيل الحفاظ على عروبة وإسلام الجزائر ومنها: قانون الأسرة الذي لم يصادق عليه إلاّ سنة1984، وذلك لمعارضة أقلية نافذة في دوائر الحكم له،ووقوف مترجمنا مع القضايا التي تعزّز مقومات الشخصية الوطنية في إطار الإنتماء الواسع للأمة الإسلامية.

المبحث الأول:أحمد حماني والقضايا التاريخية:

يعتبر الغزو الفكري حقيقة واقعة على مدار الزمن ،عاشها حماني وحاول ردّ الشبهات ،لأنّه أدرك بأن عشرات الأجهزة، شرقية ، غربية، سرية وعلنية، ، عسكرية أو مدنية، تجمع صفوفها وتحشد قواها لغزونا من الداخل، بعد انحسار الغزو من الخارج، فالغزو الفكري الداخلي أكثر استقرارا وأرسخ دعائما وأعتى نفودا، و لئن تعدّدت أهدافه، غير أن الهدف الرئيسي هو تشكيك الأمة الإسلامية في تاريخها العريق الحافل بالأمجاد، فهو يعمل على التشويه، والتشكيك في مفاخره، والتركيز على نقائصه بحيث لا تعرف الأجيال المسلمة منه إلاّ عصور الظلم والاستعباد وفترات القلق والاضطراب والاضطهاد ومراحل القهر والقحط، وبذلك كله يرى الناشئ تاريخ أمته مسلسلا من العذاب وحلقات من السواد،فالعبودية والرق والحروب والاضطهاد الديني والعنصري ومراحل الخلاف والتنافر وأوقات الصراع والتمزق،كل ذلك وغيره هو محور التاريخ الإسلامي الذي يحرص أعداء الإسلام على تقديمه للناشئة الإسلامية بحيث لا يصبح أمامهم غير بديل واحد: هو أن يلفظوا تاريخهم الذي يُعد بمثابة الضمير الجماعي للأمة،وبالتالي يتم سلخنا واجتثاثنا من أصولنا وإذابتنا في كيان آخر وثقافة مغايرة.من هذا المنطلق كانت للشيخ رؤيا للتاريخ مبنية على عدم دراسة الخلاف الذي وقع بين المسلمين بسبب السلطة أو العصبية القبلية إلاّ من جانب أخذ العبرة، لقوله تعالى:" لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب"(*) حتى لا نتفرق ونسقط فيما يريده الإستعمار وفي هذا المجال يقول:"ان الأحداث الأليمة التي ارتكبها أسلافنا - عفا الله عنهم -من الثورات البربرية المتواصلة التي سالت فيها أودية من الدماء ووقع فيها قمع شديد من ولاة غلاظ شداد قد تركت آثارها السيئة في النفوس على مر الأجيال وأدت إلى ما يحدث التنازع بين المسلمين من الفشل وذهاب الريح وأن الله قد حذرنا في القرآن الكريم من هذا المآل "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم"(**)[1].

ويواصل أحمد حماني توضيح أضرار العصبية، وضرورة الإنتساب إلى الإسلام أولا وإلى القوم ثانيا بقوله:"وما ارتكبه أسلافنا من عرب وبرابرة من أخطاء منذ وقت سحيق لا ينبغي أن نقره اليوم فضلا على أن يكون لنا مدعاة فخر ونخوة ولله در عمر بن عبد العزيز الذي سئل عن معركتي الجمل وصفين فأجاب:تلك دماء قد طهر الله منها سيوفنا..

(*)– سورة يوسف،الآية111.

(**)– سورة الأنفال،الآية46.

[1]- محاضرات ومناقشات الملتقى11 للفكر الاسلامي،ورجلان17-26صفر1397هـ،06-1977/2/15 (تعقيب أحمد حماني)المجلد1،دار البعث1984 ،ص217.

والتفاخر بالقومية-عربية أو عجمية-وبالجنس والدم والقبيلة من شأن الجاهلية الأولى وقد نهانا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال عن العصبية دعوها فإنها منتنة. ودر بمن إتعظ بما وعظ به فقال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم.[1]

وفي هذه القضية ،قضية العرق والدم ،التي مازالت آثارها تمتد في واقعنا ويسهر الإستعمار على تغذيتها،يدعو حماني لعدم حشو عقول تلامذتنا بها ، متسائلا عن جدوى إعطائها حجما أكبر مما تستحق، وآن الأوان لتجاوزها قائلا:" أن ما وقع من ثورات البربر الذين دخلوا في الإسلام على الولاة الظالمين لفتنة سالت فيها دماء لو أنها سالت بحقها ضد الأعداء لكان نصرا للإسلام ونشرا له.وأن رواسب مثل هذه المعارك الأليمة بقيت كامنة في النفوس أثناء قرون عديدة ،أما آن الأوان لنسيانها والتخلص من كل آثارها والتأدب بآداب القرآن الكريم عندما نذكرها :"تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون(*)[2].

ويضيف الشيخ حماني داعيا إلى ضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بقوله :"فكتب التاريخ شيعة أو سنة لا تكاد كتبهم تخلوا من الكلمات الجارحة إذا تعرض الكاتب لفرقة غير فرقته ومذهب غير مذهبه بما لا يرضاه لنفسه من الصفات والنعوت وهذا ما أدام الشقاق وخلد الحقد في النفوس، وأفسح المجال لأعداء الإسلام أن يوسعوا في الجرح ويبثوا السموم، ويحاولوا أن يجعلوا أمة الإسلام أمما، فمن واجبنا أن نعيد كتابة التاريخ وأن نعود إلى الكتب التي يقرأها أبناؤنا فنطهرها من ألفاظ نابية وجمل مثيرة وأحكام قاسية لتبقى الحجة تقرع الحجة والدليل مع الدليل"[3].

ومن خلال تتبعي لما نشر من مداخلات للشيخ حماني تبين لي أن الرجل واسع الإضطلاع على التاريخ القديم ،الوسيط والحديث، ويستدل في عرضه لآرائه في القضايا الدينية أو الفكرية أوالسياسية بالشواهد التاريخية، فقد كتب عن الإمامة وشروط من ينتخب لها ساردا مراحل تولي منصب الخليفة منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مقتل الحسين بكربلاء وذلك بكثير من الإسهاب موثقا مايقول ، وقد أكد على أن" أعظم أمور المسلمين وأخطرها أمر الحكم ونظامه،أمر الإمامة العظمى ومن يستحقها،فالمسلمون مأمرون أن يتشاوروا في ذلك وأن يبنوا نظامهم في الحكم على الشورى"[4] وهذا ما طبقه المسلمون بعد وفاة الرسول إذ تم إختيار من يخلفه وفق الآية الكريمة "وأمرهم شورى بينهم" ويستدل حماني بعدم وضع الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة للشورى بما جاء في تفسير المنار لمؤلفه محمد رشيد رضا الذي بين هذا الأمر قائلا:"لاختلاف أحوال الأمة الإجتماعية في الزمان

(*)– سورة البقرة ،الآية134.

[2]- المصدر نفسه،ص218

[3]- المصدر نفسه، ص219.

[4]- احمد حماني:الإمامة وأهميتها وشروط من ينتخب لها،الأصالة، عدد28 لشهري نوفمبر ديسمبر1975 ،ص79.

والمكان....،ولو وضع النبي قواعد مؤقتة للشورى بحسب حاجة ذلك الزمان لأتخذها المسلمون دينا، وحاولوا العمل بها في كل زمان ومكان"[1].

لكن معيار الشورى كأساس في اختيار الحاكم لم يستمر إلا فترة قصيرة من عمر الدولة الإسلامية الفتية،فلما أغتيل عثمان وقع الأمر بتعيين علي الذي بويع من طرف أهل المدينة وبقية المهاجرين والأنصار ورؤساء الجند في مصر والكوفة والبصرة ماعدا أهل الشام الذين اجتهدوا فأخطأوا ، ونازعوا الأمر أهله، يقول حماني:"أجمع أهل الإسلام على أن علي بن أبي طالب كان أهلا للخلافة وقد بويع بيعة صحيحة ماعدا أهل الشام الذين تحقق بغيهم بقتلهم عمار بن ياسر الذي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مقتول من البغاة[2]. ويواصل الشيخ حماني تتبع مراحل مآل الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان بعد تنازل الحسن بن علي عن حقه فيها وبذلك صدق قول جده الرسول صلى الله عليه وسلم فيه بأن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ،لكن ما يعيبه حماني على معاوية مثلما وضح ذلك بعض المؤرخين هو عقد للخلافة لابنه يزيد ،في حين يوجد في المسلمين من هو أكفأ وأصلح منه ومنهم عبد الله بن عمر الذي حاول معاوية استرضائه بأن بعث اليه مائة ألف درهم بعد ان أبى البيعة ليزيد ،فردها قائلا :" لا أبيع ديني بدنياي " ولما استخلف يزيد وتبين سفهه وفسقه ،أعلن الحسين بن علي ثورته وبايع له أهل العراق ، واستقدموه وعند قدومه خانوه ولقي مصرعه على يد جنود يزيد،الذي أعتبر والده معاوية هو الذي أخرج النظام الإسلامي من الشورى إلى الوراثة التي لم يرض بها الخلفاء الراشدون لأبنائهم[3].

بالإضافة إلى إهتمامه بتاريخ الأمة الإسلامية بصفة عامة فان الشيخ حماني كان يركز على التاريخ المحلي الذي كثيرا ما ظلم من إخواننا المشارقة علاوة على ظلم أبناء المنطقة له، لذلك نجده من أكثر المدافعين عن تاريخ المغرب العربي وبالخصوص تاريخ المغرب الأوسط ، ففي مقال له بمجلة الأصالة يذكر حماني بأن الصنهاجيين إلى جانب شدة بأسهم في الحرب وبالمهارة في فن السياسة والحكم فقد اشتهروا أيضا بحبهم للعمران، وبناء الحضارة وشغفهم بالعلوم والفنون وإكرامهم لأهلها ،وسخائهم

---

[1] - احمد حماني:الإمامة وأهميتها وشروط من ينتخب لها،المصدر السابق، ص80،نقلا عن تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج4 صص 201-202.

[2] - المصدر نفسه،ص84.

[3] - المصدر نفسه،ص85.

بالأموال والنفائس من أجلها ، فحيثما أسسوا ملكا أو باشروا حكما، ازدهر العمران وارتقت الفنون والصنائع، وشاعت المعرفة والثقافة وعم الرخاء والترف[1]

ويبرز حماني مدى إمداد المغرب الأوسط لباقي المناطق بالعلماء الرجال ذاكرا على سبيل المثال مدينة القيروان التي كانت تمتص العبقريات وتجتذب إليها أعظم الكفاءات ، وكان فيمن اجتذبتهم إليها وانتسبوا إلى علمائها عبقريان جزائريان بلغا القمة في المجد والشهرة والإنتاج هما:عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي(*)، وأبو الحسن علي بن رشيق(**)، وكلا هما نشأ بالمحمدية(المسيلة)، وكان لهما ذكر قبل أن يهاجرا إلى القيروان[2].

ومن المدن الجزائرية الاخرى التي كانت مركزا للعلم مدينة بجاية التي حملت مشعل النور لمدة أربعة قرون ونصف. يقول حماني بأنها أمجد عواصم الحامدين وهناك جملة من العوامل ساعدت على ازدهار العمران والحضارة الحمادية منها فرار الناس من إفريقيا إلى الحماديين أمام الهجوم الهلالي، ومن صقلية أمام استيلاء النرمان، ومن الأندلس أمام استيلاء المرابطين[3] وفعلا كانت بجاية مقصد طلاب العلم والمعرفة حتى من الأوربيون فبها تعلم المهندس الإيطالي والرياضي الشهير ليوناردو فبوناتشيوfibenaccio وأحصى الغبريني العديد من العلماء في كتابه عنوان الدراية في ذكرعلماء بجاية".

أما في التاريخ الحديث ،فمن القضايا التي شغلت الشيخ حماني قضية الخلافة العثمانية واتهام حكام الولايات الأتراك بالظلم والجور خاصة من طرف المثقفين المشارقة الذين شاركوا في ملتقيات الفكر الإسلامي وأخذوا في تعداد سلبيات العثمانيين ، وفي هذا المجال يعقب حماني على ما جاء في محاضرة الدكتورة ليلى الصباغ في الملتقى الثامن للفكر الإسلامي التي أحصت الكثير من سلبيات الخلافة العثمانية فقال الشيخ ما مفاده أن الخطأ الأكبر الذي وقع فيه العثمانيون -وهم في أوج قوتهم-منحهم الامتيازات للأوربيين والتي ستكون فيما بعد سببا في محاصرة اقتصادهم وفقدان سيادتهم على رعاياهم

---

[1] - احمد حماني،عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية،مجلة الأصالة ، العدد19(خاص ببجاية)،مارس،أفريل 1974،ص242.

(*)- النهشلي كان شاعرا،عارفا باللغة خبيرا بأيام العرب وأشعارها،له كتاب قيم"كتاب الممتع فيعلم الشعر وعمله".

(**)- ابن رشيق ولد بالمحمدية(المسيلة)390ه وقيل370،اشتهر بالتفوق في الأدب والشعر، توفي بصقلية سنة463 تاركا تراثا ضخما من الكتب والرسائل أعظمها كتاب العمدة في صنعة الشعر الذي قال فيه ابن خلدون "لم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله.

[2] - المصدر السابق،ص243.

[3] - المصدر السابق،ص248.

وتفكيك وحدتهم وإفساد قضائهم والتدخل في شؤونهم[1]. ويواصل حماني ليذكر سلبيات أخرى للعثمانيين منها عدم استطاعتهم حكم الناس بالين والرحمة بل جنحوا إلى استعمال العنف والقسوة وهذا مخالف لروح الإسلام، كما أنهم أضعفوا شأن اللغة العربية وحكموا عليها بالانحطاط بعد انتهاجهم لسياسة التتريك[2] لكن يذكر حماني بأن فضلهم علينا وعلى المسلمين كبير لصدهم لإسبانيا المسيحية التي أرادت الإستيلاء على شمال أفريقيا "لكن أجدادنا بفضل الله ثم بفضل إعانة الأتراك قضوا على أحلامهم في المنطقة"[3] ويخلص حماني في الأخير إلى ان العثمانيين منا وإلينا وحسناتهم أكثر من سيئاتهم، جاهدوا في سبيل الله جنودا وخلفاء وقادة وحكاما حق الجهاد ونحن نذكر الماضين منهم بخير ونسأل الله أن يغفر لمحسنهم ويعفو عن مسيئهم[4].

كما ناقش حماني القضايا الفكرية ذات الصلة بالتاريخ التي طرحت خلال ملتقيات الفكر الإسلامي(*) وعادة ما يكلفه المرحوم مولود قاسم بطرق موضوع معين غالبا ما يقترحه عليه[5] ،ففي معرض تعقيبه على محاضرة السيد عبد الله كنون "أمين عام رابطة علماء المغرب وأستاذ بجامعة القرويين الذي ألقى محاضرة في الملتقى السادس المنعقد بالجزائر من24 جويلية الى10أوت1972 بعنوان مستقبل الإسلام بين أبنائه،عقب حماني مؤيدا لما جاء في المحاضرة خاصة ما قاله عن تلك الردود المفحمة التي ألجم بها محمد عبده المفترين على الإسلام و أهله من مفكري أوربا وعلى رأسهم رينان[6]

وشد إنتباه حماني ما جاء في المحاضرة عن كلام لهذا الفيلسوف- والمقصود رينان- الذي كان يتحدث متخوفا على العقول النيرة في بعض المفكرين المسلمين خائفا عليها أن تختنق بتعصب بعض الفقهاء،

---

[1]- محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي ، المجلد1، دار البعث،1976،منشورات وزارة التعليم الأصلي،ص 210.

[2]- المصدر نفسه ،ص213.

[3]- المصدر نفسه،ص212.

[4]- المصدر نفسه،ص214.

(*)- أنظر الملحق رقم: 15 الخاص بمكان وتاريخ إنعقاد 20 ملتقى للفكر الإسلامي ،والتي دأب الشيخ حماني على المشاركة فيها تنظيما ومناقشة. وتتلخص اهداف الملتقيات في ثلاث جمل:1-الأصالة وهي أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مصره 2- الحث على البحث والتفكير 3-التشجيع على النقاش والحوار والإستقلال بالرأي مع الابتعاد عن التبعية الفكرية من أجل الوصول إلى أحسن النتائج بالمنطق السليم. وخطاب هذه الملتقيات موجه إلى الشباب لأنه هو المستقبل،الذي يتسلم القيم التي تلقاها عن جيل الكفاح التحريري. المصدر: مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه أصالة أم انفصالية ص146.

[5]- يحي بوعزيز:مع العالم الشيخ أحمد حماني، المصدر السابق، ص50.

[6]- محاضرات ومناقشات الملتقى السادس للفكر الإسلامي ، منشورات وزارة التعليم الأصلي،المجلد4 دارالبعث1973،ص241.

فإدا إختنقت قضي على الدين الإسلامي، يرد حماني قائلا بأن رينان تكلم بهذا الكلام وفي مخيلته مقارنة بين الإسلام والمسيحية، ورجال الكنيسة الذين كانوا يحاربون العلم ويعذبون العلماء ويصدرون الأحكام ضدهم ليجبروهم على التنكر لمبادئهم، ويوقفونهم أمام المحاكم ويعدمونهم مثلما فعلوا مع **galilee**، فرينان وأمثاله يتصورون فقهاء الإسلام بهذه العقلية، والحقيقة أن هذه المقارنة لا تصح لا من حيث الدين ولا من حيث التاريخ. ويورد حماني الأدلة على ذلك فمن حيث الدين :فرجال الدين المسيحي أباحت لهم طقوسهم أن يدخلوا ويخرجوا إلى المسيحية من شاءوا ن فمن حكم عليه بأنه ليس له الحق في رحمة الله خرج من رحمة الله في عرفهم وفي قولهم.وأما العالم المسلم فيبين حكم الله في المسألة وليس له أن يسيطر"فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر"[1]

ومن ناحية التاريخ يبين حماني أن علماء المسلمين إتسعت صدورهم لمناقشة ماتوصلوا إليه وأن يحاجوهم ومنهم الإمام مالك صاحب المذهب الذي ينسب إليه،فلما ألف كتابه الموطأ،أراد الخليفة أن يفرضه على الناس، فأبى الإمام مالك وامتنع عن ذلك، ولم يتركه يقيد الحرية لغيره من الفقهاء الذين سيجتهدون غير إجتهاده ، حتى ان الإمام مالك لما سئل عن القائلين بالقدر وهم الذين يقولون أن الله لا يعلم الأشياء حتى تقع ولا يقدرها حتى تقع فقيل له :أهم كفار؟قال: بل هم من الكفر فروا.ولم يحكم بكفرهم.[2]

ويسوق حماني أمثلة أخرى من التاريخ هي بمثابة أدلة آخرى على المكانة السامية وعلى سعة الصدر من فقهاء الإسلام، فمن الظلم لهؤلاء الفقهاء أن نقارنهم بالقساوسة، كقصة حسن البصري مع تلميذه واصل بن عطاء الذي خالفه الرأي وناقشه ولما رآه خرج عن مذهبه قال له اعتزل مجلسنا فاعتزل ونصب للتدريس وصار أتباعه يسمون بالمعتزلة[3]. إذن علماء الإسلام وفقهائه متسامحون فيما بينهم بالرغم من الاختلافات التي تصل أحيانا إلى حبك المؤامرات ، مثلما حدث مع ابن تيمية الذي استقدمه خصومه الى مصر وسجنوه لكنه ناظرهم في السجن وخارجه وتغلب عليهم مما عرضه للنفي ولما إنتصر صاحبه الناصر بن قلاوون قال لإبن تيمية ما تقول في دماء الذين سجنوك وعذبوك فرد عليه بان دماؤهم لا تحل، فاستغرب الناصر هذا الكلام طالبا التوضيح، فقال ابن تيمية: إنهم عذبوني وهم يعتقدون أنهم يخدمون الإسلام، فمن آذاني لشخصي فأنا أسامحه، ومن آذى الله ورسوله فإن الله ينتقم منه ولا أنتقم لنفسي.[4]

لكن الملفت للإنتباه هو المتأثرين من بني جلدتنا بالثقافة الغربية فلما يذهبوا الى الغرب يلاحظون ذلك الصراع بين الدين والسياسة أحيانا وتغلب أنصار العلمانية لكن ديننا الإسلامي كان يشجع على العلم

---

[1]- المصدر نفسه ،ص242.
[2]- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها
[3]- المصدر نفسه،ص244
[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وليس العكس فلا وجه للمقارنة بين المسيحية والإسلام فإذا وقع الخطأ من الشخص المسلم فلا داعي أن ننسبه إلى الفكرة وهي الإسلام. إضافة إلى ذلك قراءتنا لما كتب عن تاريخنا بأقلام غربية،فمثلا أرجعوا اضطهاد ابن رشد إلى الفقهاء في حين ابن رشد كان فقيها وقاضيا وإنما اضطهاده هو اضطهاد سياسي من طرف خصومه الحاسدين له ،الذين جمعوا بعض مواقفه التي كان لا يحترم فيها الخليفة ويخاطبه مخاطبة الند، وبلغوها للخليفة الذي قام بإحراق كتبه، لكن وبحياة الخليفة أعيدت لابن رشد مكانته.[1]

و دفاع الشيخ حماني عن الإسلام وفقهائه،له ما يبرره:لأن الفقهاء هم حملة الشريعة وبتعبيرنا الحالي هم أهل القانون والعارفون به فإذا أسند الحكم إليهم فقد اسند إلى أربابه والمدركين لخباياه ولنا في تاريخنا الإسلامي الأمثلة على ذلك خاصة بالنسبة لمنطقة المغرب العربي التي يراد تغييب إسهاماتها في الدفاع عن الإسلام والمسلمين .فبهذه المنطقة قامت دولة المرابطين التي أساسها العلم الشرعي والفقه الإسلامي ومؤسسها عبد الله بن ياسين كان أحد الفقهاء الكبار، فاكتست الدولة احتراما وتقديرا وتبجيلا للفقهاء ومن محاسن رعايتهم لهذه الدولة أنه لم يرق فيها قطرة دم في غير الحرب ومن ذلك حثهم ليوسف بن تاشفين الذهاب الى الأندلس وإنقاذها من الضياع التي كانت ستتعرض إليه في منتصف القرن الرابع الهجري، لكن البعض من المستشرقيين وعلى رأسهم دوزي الهولندي ساءه أن تعود الأندلس إلى حظيرة المسلمين لتعيش مرة أخرى زهاء الأربعة قرون فراح ينتقد تدخل المرابطين لإنقاذها وزعم بأن مظاهر الحضارة ذهبت بقدومهم إلى الأندلس.[2] قد قيض الله للأمة الإسلامية من نهضوا بعبء الكشف عن مخاطر الإستشراق وخفايا الحملات الإستعمارية ووقفوا ضد تنفيد ادعاءاتها والتنبيه إلى اخطارها بأسلوب علمي هادئ رزين، بعيدا عن الصخب والمهاترات فقد اضطلع جمال الدين بالرد على دعاوى رنان وتصدى محمد عبده لأقاويل هانوتو وانبرى قاسم امين للرد على مزاعم داركو وناقش مصطفى عبد الرزاق مقالات تينمان ولامانس وتصدى مصطفى الخالدي وعمر فروخ للكشف عن الصلة بين التيشير والإستعمار[3].

---

[1] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] - المصدر نفسه ،ص246.

[3] - عثمان أمين:فلسفة اللغة العربية،مجلةالأصالة ،السنة7،عدد57 ،ماي1978،ص103.

المبحث الثاني:أحمد حماني والقضايا الدينية:

في الحقيقة، لما نقول القضايا الدينية فهذا لا يعني إنفصال تلك القضايا عن القضايا الدنيوية بل المقصود من ذلك اجتهادات الشيخ حماني في القضايا الإسلامية وإسهاماته في حل مشاكل الناس والمجتمع عن طريق الدين ولم يكن ليفصل بين الدين والدنيا،إذ دأب على إلقاء المحاضرات، الدروس والخطب الدينية ، وبعضها كان ينقل عبر وسائل الإعلام الحديثة تعميما للفائدة مثل خطب الجمعة التي كان يلقيها وتنقل مباشرة على أمواج الأثير فيستفيد منها لا جمهور المصلين فقط بل جميع من يستمع إلى المذياع داخل البلاد وخارجها[1] وكانت مجلة الأصالة تكتب خطبه لعل في من يقرأها إرشادا له لإصلاح حاله بدينه. وقد كان حماني يدعو إلى تدبّر القرآن مثلما كان يفعل أسلافنا الذين فهموه واستنبطوا منه المواعظ والأحكام وأقاموا الدين والدنيا بشريعة القرآن فصلح لهم دينهم واستقامت لهم دنياهم[2] . كما كان يرى أن الأمة الإسلامية- إذا كانت مؤمنة حقا مستقيمة على الطريقة صدقا كما كانت في عهدها الأول-خير أمة أخرجت للناس دينا وخلقا وعدلا وإحسانا ونظاما وحكما وقوة وأهلية للحياة المثلى[3] هذه الحياة المثلى للمجتمع يستنبطها حماني من قوله تعالى في سورة الشورى:"فما أوتيتم من شيئ فمتاع الحياة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون*والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون*والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون*والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون[(*)]"فهذه الآيات اشتملت على أكمل صفات أعضاء المجتمع المثالي الفاضل:ايمان بالله تطمئن به القلوب وتزكى به النفوس، ودين قويم واتكال على الله والسعي والجد وبعد عن الإغراق في المادية والتهالك على متاع الحياة الدنيا، واجتناب للكبائر وحلم عند الغضب يعصم من الندم، واستجابة لله والرسول إذا دعاهم لما يحييهم بطاعة مثالية في العسر واليسر والمنشط والمكره مما يضمن النظام، وتشاور بينهم في أمورهم مما يضمن لهم حسن التدبير في السياسة والحكم.إذن هذه الصفات جعلت من الأمة الإسلامية أمة وسطا،خير الأمم وأبرها، وأمة الهداية والإصلاح المادي والروحي فلا يمكن إصلاح أحوالها من دون الرجوع الى الدين[4].

والدين الإسلامي مكانه الأول المسجد أين يجتمع المسلمون لإقامة الصلاة جماعة و الإستماع للتوجيهات الربانية، والتحصن بالثقافة والحضارة الإسلامية وعن دور المسجد في أداء هذه الوظيفة قال حماني في

---

[1] - احمد حماني:خير الحديث كتاب الله، مجلة الاصالة، العدد56 ،السنة7 ، أفريل1978،دار البعث، ص79

[2] - المصدر نفسه،ص80.

[3] - احمد حماني:الإمامة وأهميتها وشروط من ينتخب لها،المصدر السابق، ص76.

[(*)] – سورة الشورى،الآية 36 الى الآية39.

[4] -المصدر نفسه ،ص77

رده على كلمة السيد عبد القادر بن يسعد التي كان عنوانها "متى نجعل من مساجدنا جامعات" معيبا على كون المساجد أصبحت للصلاة فقط ،رد عليه حماني قائلا أنه " يوافقه على أن الحضارة المادية التي تسود العالم اليوم، جعلت الإنسانية تعاني من حيرة فكرية وتذبذب عقائدي وفراغ روحي تسبب في تفكك الأسر وانحلال المجتمعات وانتشار القلق خاصة لدى الشباب ،وانتقل المرض إلى المجتمعات الإسلامية ووقع شبابنا ضحايا ،لافتقارهم إلى الحصانة الفكرية والعقائدية وتسرعهم لقبول الأفكار والاتجاهات الغربية عن أصالتهم ومقوماتهم"[1].وبين حماني كون المساجد هي الحصن المنيع لعدم تفكك المجتمعات الإسلامية وانسلاخها من مقوماتها ومنذ القديم خرجت المساجد علماء أجلاء مثل عبد الرحمان الثعالبي،الشريف التلمساني،المقري،ابن مرزوق الجد والحفيد...وعلى بعضهم تخرج ابن خلدون والشاطبي. وفي عهد الاحتلال بقي المسجد القلعة الصامدة في وجهه ، وتخرج منه ابن باديس والبشير الإبراهيمي والعربي التبسي[2]. ويواصل حماني بتأكيده استعادة المسجد لرسالته الحقيقية كمؤسسة روحية وتربوية وأن لا يبقى مقصورا على الصلوات الخمس ،وفتحت أبوابه لتحفيظ القرآن، لكن تأسف على تعود الأولياء إرسال أبنائهم خلال العطل فقط وربما بهدف واحد وهو الاستراحة منهم وإبعادهم عن المنزل بالرغم من الدعوات الملحة التي ما انفكت يوجهها السادة أئمة المساجد إلى سكان أحيائهم [3].

فالمسجد منذ عصر الإسلام الأول كان مؤسسة سياسية،عسكرية،اقتصادية وتعليمية، وبحكم التطور الذي حصل وجدت أماكن لأداء تلك الوظائف لكن يبقى رواد المساجد والفقهاء ملزمين بإبداء أرائهم في القضايا التي تهم المجتمع الإسلامي وأن لا يعزل الدين عن السياسة ،ولما كانت العلاقة قائمة بين الدين والسياسة لم يتورع الشيخ حماني في ذكر صفات الرئاسة أو الإمامة ذاكرا شروطها حسب فقهاء الإسلام وهي ستة:"الذكورة،البلوغ،الحرية،العدالة،،الإجتهاد وأن يكون ذا رأي مصيب ونجدة في تجهيز الجيوش وسد الثغور وإقامة الحدود وضرب الرقاب بالحق،وإنصاف المظلوم من الظالم[4]،ووضح حماني هذه الشروط بقوله:"واشترطت الذكورة لهذا المنصب الجليل لأنه يتطلب صفات تتخلف في الأنثى ولا يقتضي هذا الشرط استنقاصها، فالخليفة هو الذي يؤم المسلمين في صلاتهم يوم الجمعة والجماعة

---

[1] -أحمد حماني: دور المسجد في بث الوعي والثقافة والحضارة الإسلامية، مجلة الأصالة ، العدد58-59-جوان جويلية،1978،ص87.

[2] - المصدر نفسه ،ص88.

[3] - المصدر نفسه ،ص89.

[4] - أحمد حماني :الإمامة وأهميتها وشروط من ينتخب لها ،المصدر السابق،،ص86.

والأعياد، والمرأة لا تكون مستعدة لذلك كل حين..إضافة إلى طبيعة المرأة الرقيقة التي لا تساعدها على بعض المواقف القاسية...وأما البلوغ فإن الصبي ضعيف، ولم يتوجه إليه خطاب الشرع بالتكليف[1]

فالحاكم لا بد أن يكون محصنا بالشريعة الإسلامية محاطا بعلماء وفقهاء يرشدونه ويوجهونه فيما يطرح عليه من إشكال، وهذا الرأي يشبه إلى حد بعيد رأي زعيم الثورة الإيرانية الإمام الخميني الذي تكلم عن دور الرئيس ودور الفقيه قائلا:" شرطان أساسيان -قبل كل شيء- ينبغي أن يتوفرا في رئيس الدولة:1-أن يكون عارفا بالشريعة الإسلامية

2-وقادرا على ضمان العدل.

وسلطة الفقهاء فوق سلطة الملوك،والفقيه يفقد طهارته الدينية بمجرد تواطئه مع السلطان أو أتباعه.وعن تبرير علية سلطة الفقهاء كقضاة على رئيس الدولة، يقول:إن الإسلام يحرم أن يكون السلطان ظالما، ومن هنا فمن واجبات الفقهاء أن يكشفوا مثل أولئك الحكام، ويشحذوا وعي الجماهير حتى لا تهضم حقوقها"[2] لكن تجدر الإشارة إلى وجود علماء السلطان الذين يفتون بما تقتضيه مصلحة الحاكم وليس مصلحة الدين والمجتمع ،والبعض من الناس وضع الشيخ أحمد حماني ضمن هذا الصنف وعلى هذا الاتهام يرد الشيخ عارضا الحجج والبراهين من كتاب الله وسنة نبيه ومستشهدا بالتاريخ الإسلامي الحافل بالعلماء الذين عوتبوا على اتصالهم بأمراء المسلمين،ومنهم الإمام مالك الذي قال بأنه إذا لم نتصل بهم فكيف نبلغهم حكم شرعهم وكيف، تبلغ لهم النصيحة التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة "ثم بين لمن تكون فقال" لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم" والأئمة هم الحكام فمن جفاهم فكيف ينصحهم، كما يسوق الشيخ أحمد آيات من القرآن الكريم التي يجب توفرها في العلماء الدعاة ومنها الدعوة بالحسنى واللين.قال تعالى:"أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"(*) فاللين والعفو واجب في كل حال وليس من الحكمة أن يعامل أحد بالجفاء والغلظة سلطانا كان أو ضعيفا، حجة هذا قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام:" اذهبا إلى فرعون أنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى"(**) وبمثل هذا الأسلوب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل أمته تطبيقا لأوامر ربه الذي يقول له:" ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر"(***) فإذا كانت معاملة الكفرة كفرعون وأبي جهل وأبي لهب تكون باللين والعفو فكيف تكون معاملة الحكام المسلمين وهل يجوز إثارتهم

---

[1] - المصدر نفسه ،ص87.

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالة أم انفصالية،ج2 ،المصدر سابق، ص358، نقلا عن حوار أجرته المجلة الألمانية دير شبيغل مع الخميني في 1979/1/22.

(*) - سورة النحل،الآية125.

(**)– سورة طه،الآيتيين43، 44.

(***)– آل عمران،159 ،160.

ودفعهم لارتكاب الحماقات[1] ويوضح الشيخ حماني عدم نفيه لوجود علماء للسلطان الذين باعوا دينهم بدنياهم واتبعوا أهوائهم وأرضوا حكامهم وسخروا علمهم ودينهم لخدمة مصالحهم الشخصية ولو بجبنهم وقعودهم عن القيام بالحق أو بكتمانه وإغفالهم أن أكرم الشهداء هو القائل لكلمة حق لدى سلطان جائر ،ولكن تعميم هذا الحكم على كل عالم ممن يتصل بالحكام أمر خاطئ، يراد به نزع الثقة من كل العلماء والفصل بينهم وبين الحكام وأمتهم فتبقى الرعية فريسة لكل الذئاب إضافة إلى أن ديننا يأمرنا بالمجاملة والمداراة وينهانا عن المداهنة فالمجاملة أن تذكر الشخص بمحاسنه وأنت تداري شخصا ما وقد يكون حاكما فمسايرة له واتقاء لشروره، أما المداهنة من اجل بيع الدنيا بالدين فهذا أمر مرفوض[2]. يقول حماني" ندعو اخواننا إلى النظر في كلامنا فما وافق أحكام الشرع فهو الحق وما كان من الباطل ردوه في وجه صاحبه.فالسلطان عندنا هو الواحد الأحد الفرد الصمد ،هو ولينا ولا ولي غيره. والشهادة لله أن من عملنا معهم من وزراء كانوا يقولون لنا إذا احتاجوا إلى فتوى:" أننا لا نريد فتوى إدارية وإنما فتوى شرعية"[3]. كما يذكر أحد الذين ذهبنا لزيارتهم أثناء هذا البحث وعمل مع الشيخ أحمد حماني [(*)] في وزارة الشؤون الدينية أن الشيخ أفتى بعدم جواز إقامة تمثال للأمير عبد القادر في ساحة بالجزائر العاصمة، لكن السلطة لم تأخذ بفتواه[4]، ضف إلى ذلك إجاباته وفق الشريعة الإسلامية وعلى مرأى وسمع الجميع في التلفزة الوطنية بحرمة لعبة اللوطو بالرغم من تذرع البعض بأن ايقفها يضر بالإقتصاد الوطني،وتبين لنا من إضلاعنا على فتاويه،بأنها كانت جريئة ضد السلطة،جهر فيها الشيخ حماني بكلمة الحق ولم يكن يخاف في الله لومة لائم ومنها هجومه-رحمه الله- على وزارة الصناعة والطاقة لتصنيعها وتسويقها أحد أنواع الجعة المعروف بمشروب مالطا والذي يحتوي على نسبة مئوية من الكحول لا تتعدى0.50درجة فيقول : أننا نبهنا الوزارة المعنية الى عدم جواز إنتاج هذا المشروب باعتباره خمر لاحتوائه على الكحول المسكر ولو بنسبة ضئيلة والغريب في الأمر أن أوساطا روجت على أن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية وافقت على إنتاج المشروب لكن حماني نفى ذلك ونشر في فتاويه نص الرسالة التي بعثها إلى وزارة الصناعة تحرم إنتاجه وبيعه[5]

---

[1] - أحمد حماني :الفتاوى ،ج1 ،مصدر سابق،ص20.

[2] - المصدر نفسه ،ص21.

[3] - المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[(*)]– هو صلاح الدين بن مالك ،الموظف بمديرية الثقافة الإسلامية بوزارة الشؤون الدينية.

[4] - مقابلة شخصية مع صلاح الدين بن مالك أحد الذين كانوا يكتبون فتاوى الشيخ حماني بمكتبه بوزارة الشؤون الدينية يوم 2006/09/05. ويقول حماني في هذا المجال :"أما التماثيل المجسمة للإنسان والحيوان مما يوجد في الدور والقصور أو ينصب في الميادين ويكلف الأموال الطائلة،عامة أو خاصة فإنها لا تخرج عن غرض الهوى أو التعظيم والتبرك... والمسلم لا يكبر في نفسه إلا الله ولا يعظم عنده إلا بديع السموات والأرض.والإسلام لا يقر السفه بإنفاق أموال طائلة دون منفعة راجحة وإذا كان يمنع رفع قبر الميت ويأمر بتسويته إن رفع ،فأحرى وأولى أن يمنع من نصب تمثال له، المصدر:الفتاوى ج2 ص ص506-507.

[5] - أحمد حماني،الفتاوى،ج2 ص ص387 390.

وفي مسألة الإذن بتعليق أو تعطيل صلاة الجمعة بسبب توقيف السلطة للإمام قال الشيخ حماني:"لا حق لا للسلطة المدنية ولا للعسكرية أن توقف صلاة الجمعة وتعطلها،فإن هذه جريمة كبرى،فلتفكر السلط في حل تحافظ به على إقامة الصلاة، وتحافظ على سلامة المواطنين واطمئنانهم"[1] إذن الشيخ أحمد حماني جريء ويعي ما يقول مطبقا مقولة "لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق".

والمتتبع لفتاويه(*) يلاحظ إرتكازها على القرآن والسنة واجتهادات علماء وفقهاء المذهب المالكي الذي هو مذهب سكان المغرب العربي لكن اللامذهبيون أعابوا عليه ذلك فرد على منتقديه باتهامه بالتعصب لهذا المذهب قائلا:" أنها كلها قد نص فيها على رأي المالكية وليس المراد من هذا هو التعصب المذهبي فالمذاهب الإسلامية محترمة عندنا كل الاحترام وسواء عندنا أبو حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد بن حنبل أو جابر بن زيد أو الإمام زيد أو داود كلهم أئمة هدى بمثلهم يقتدي ولا يمنعنا مذهبنا المالكي من أننا ننقل ما نعرفه من أقوال غير المالكية مع التنصيص عليه وعلى مصدره، ثم أن السائل أنما يسأل عن المذهب المالكي والأغلبية الساحقة من شعبنا يقلدون مذهب الإمام مالك، وأنما يعاب التعصب المذهبي إذا حرف عن حده ،ونص فيه على أنه حق وغيره باطل، كما يحاول بعضهم فيتسبب في نفور الناس منه ،ومن المعلوم أن تتبع الرخص ممنوع وصاحبه على شفا حفرة يكاد يهوي في مكان سحيق"[2]. ويؤكد هذا الطرح رفيق دربه الشيخ عبد الرحمان شيبان بقوله:"نحن لا نقبل أن نغزى في توجهاتنا الدينية والسياسية، ومذهبنا الأساسي هو المالكي"[3].

فالشيخ حماني يحافظ على وحدة أمته ولا يترك المجال لتفتيت وحدة بلاده اللغوية أو المذهبية ومن الفرص التي أتيحت له للرد على الأفكار المذهبية الغريبة عن المجتمع الجزائري والتي كان يقارعها بالدليل والحجة ،ما كان يطرح في ملتقيات الفكر الإسلامي، والتي يحاضر فيها فقهاء ومفكرون من شتى المذاهب ومنها المذهب الشيعي ،ففي الملتقى11 المنعقد بورجلان ألقت الدكتورة وداد القاضي(**) محاضرة بعنوان إبن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية. وذكرت بأنه كان سنيا وهذا ما أزعج بعض المدعوين الشيعة ومنهم السيد الهادي خسرو شاهي-مدير مجلة الهادي قم بإيران –والذي عقب على محاضرة الدكتورة وبالذات كلمة أن ابن الصغير سني.قال خسرو:يوجد تناقض بين كلام الدكتورة وداد القاضي، بأنه سني في حين تذكر بأنها لم تعثر على ترجمة له في طبقات المالكية.ومن هنا يمكن أن نؤيد قول المستشرق البولندي الذي قال بأن بن الصغير كان متشيعا علوي الهوى. موالي للإمام علي

---

[1] -أحمد حماني،الفتاوى،ج1، ص ص78،76.

(*)- هي فتاوى صدرت عن الشيخ حماني في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي تم جمعها وإصدارها في جزأين والجزء الثالث منها صدر بعد وفاة صاحبها.

[2] -أحمد حماني: الفتاوى ،ج1 ،ص11.

[3] - جريد الخبر ،حوار مع الشيخ عبد الرحمان شيبان، العدد الصادر يوم16 أفريل2007،ص ص4-5.

(**)– كانت تشغل منصب استاذة بالجامعة الأمريكية بيروت وأستاذة زائرة بجامعة هارفارد الأمريكية.

وقد نقل بن الصغير نفسه الحديث:"من كنت مولاه فعلي مولاه"[1] ،فرد عليه الدكتور مصطفى أحمد الزرقاء(*) الذي بدأ تعقيبه بطرح سؤال: من هو الشيعي؟هل الشيعي هو من يحب عليا رضي الله عنه؟إذا كانت هذه هي الشيعة فكلنا شيعيون.أما الشيعة كمذهب معروف عقائدي أصولي، أبرز فرقه الإثني عشرية فذلك شيء آخر وأما مجرد أن يكون الإنسان محبا لعلي وآله فهذا هو مذهب أهل السنة، الذين يرون بأن الخلاف الذي قام حول الخلافة ، أن الحق كان مع علي، ولكنهم لا يكرهون معاوية، ولا يسبونه وان لم يكن الحق معه، فهو مجتهد، مجتهد أخطأ.والقاعدة عند أهل السنة أن المجتهد الذي أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران.وما قالته وداد القاضي على أن بن الصغير مالكيا، يرى الزرقاء أن استنتاجها سليم حسب ما عرضته من نصوص، فموقفها كان موقف العالم المتثبت الذي لا يخطو خطوة إلا بدليل.[2]

غير أن تعقيب الزرقاء يبدو أنه أثار حمية الأخوة الشيعة فعقب عليه الدكتور صلاح الصاوي (**)،ما مفاده أن القضية في موالاة علي هي موالاة بالقلب، بيعة روحية، فداء، يعني إعطاء كلي لقلبك وروحك...لأن عليا هو الأفضل والأفضل خير من المفضول.[3]

بعده تدخل الشيخ حماني مؤيدا ماجاء في تعقيب الزرقاء ومفندا قول الهادي خسرو بأن ابن الصغير لم يكن مالكيا بحجة أن الباحثة وداد القاضي لم تعثر على ترجمة له في طبقات المالكية .يقول حماني "ان مذهب بن الصغير لا أراه مشكلا بحيث يحار الباحث في معرفته مادام قد وجد في نسخة من كتاب أنه مالكي وخصوصا إذا وجدنا مؤرخا علامة من المؤلفين مثل الباروني يذكر أنه مالكي ولا يسوغ الشك في مالكيته عدم وجود اسمه في كتب طبقات المالكية لأن هذه الكتب لم تستوعب جميع من انتسب إلى الإمام مالك. ولو اعتمدنا على هذه الكتب وحدها في إثبات ما لنا من مشاركة في إثراء هذا المذهب برجال فحول لوجدنا أن حظ المغرب الأوسط قليل جدا لا يتجاوز عددهم-في نحو ثلاثة عشر قرنا-العشرات مع أنهم في الواقع يبلغون الآلاف ولم تخل الجزائر في أي عصر من عصورها أو قرن من قرونها من فحول يذكرون،قد أهملتهم كتب الطبقات، فإهمال كتب الطبقات لإسم ابن الصغير لا يدل على أنه غير مالكي.كما لا يكفي في الدلالة على أنه شيعي أنه يتولى الله ورسوله ويتولى علي بن أبي طالب، فالحديث"من كنت مولاه فعلي مولاه" ثابث معروف رواه أحمد بن حنبل، ابن ماجه، الترميذي، النسائي ومعناه من كنت وليه فعلي وليه، والولي هنا الناصر، والولاية ولاية الإسلام قال تعالى:" ذلك

---

[1] - محاضرات ومناقشات الملتقى11 للفكر الإسلامي،المجلد 1،مصدر سابق،ص307 .

(*)-اشتغل أستاذا بكلية الشريعة الجامعة الأردنية وتقد منصب وزير في الحكومة الأردنية.

[2] - المصدر نفسه،ص337.

(**)– اشتغل منصب أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طهران.

[3] - المصدر نفسه،ص339.

بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم"[1] ويبن الشيخ حماني بأن الرسول صلى الله عليه وسلم خص عليا في الحديث السابق لان بعض الصحابة خاصم عليا واشتكاه لرسول الله أو لأن أسامة بن زيد قال لعلي لست مولاي وإنما مولاي رسول الله.فنبه عليه الصلاة والسلام أصحابه بهذا الحديث الى أن من كان الرسول مولاه فعلي مولاه.لأن عليا سيد من سادات المؤمنين، يتولى الله ورسوله والذين آمنوا ،فمن تولاه فقد تولاهم ومن آذاه وبرئ منه تعرض لجزاء من يؤذي رسول الله، ولو أن شخصا تعرض لأبي بكر أو عمر أو عثمان أو طلحة أو الزبير بمثل ما تعرض لعلي لقال فيه مثل ما قاله في علي تكرمة لأصحابه وحماية وتأديبا للمؤمنين وتعليما لهم أسس المعاملة فيما بينهم وأنهم جميعا"بعضهم أولياء بعض" والله هو وليهم ورسوله عليه الصلاة والسلام وليهم ومولاهم.فليس الرسول بولي لعلي وحده وإنما هو مولى وولي جميع المؤمنين، يقول الله في كتابه:"إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون"[(*)2].

أما في معرض تعقيبه على صلاح الصاوي فاستهلّها بالرد على دعاوى الصاوي وقال بأن كلمته حماسية لا تكتسي أي شيئ من الثوب العلمي وأن منزلة علي عند المسلمين مكينة يحبونه ويقدمونه ويعرفون له مقامه العلمي، وفيهم منذ عهد الصحابة من يقدمه على جميع الصحابة في الفضل فمنزلته في قلوب المؤمنين.لكنهم لا يتجاوزون به إلى ما ليس له فلا يعظمونه تعظيم النصارى للمسيح وأمه ولا يجعلونه وصيا أو وريثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يوصي بالخلافة لأحد، وحكمة هذا من الله تعالى جعل أمر المسلمين شورى بينهم.[3]

وقد واصل الشيخ احمد حماني بعد الاستقلال مقاومته للبدع والخرافات التي ألقصت بالدين الإسلامي، مقتديا بأستاذه عبد الحميد بن باديس الذي جعله يحمل فكرة الإصلاح التي استهدفت إحياء الأمة الإسلامية وبعثها من جديد والالتحاق بالدول المؤثرة الفعالة، ولا يتسنى لها ذلك إلا بشعور الأمة بأهمية ما تملك من أفكار خلاقة تجعلها قادرة على إزالة الشوائب التي كدرت نقاوتها الصافية،وهذا الفكر للحركة الإصلاحية اثر في الشيخ احمد حماني،وجعله معجبا بالنشاط الدؤوب لرجال الإصلاح من اجل خدمة الإسلام والذوذ عن المسلمين في عصر انتشرت فيه البدع وفي هذا الشأن يقول:"وجاء العصر الحديث بعد ان طال الأمد على المسلمين وقست قلوب كثير منهم وفسقوا عن أمر ربهم وعمت الجهالة وكلت الهمم وتنكر الكثير للسنة وأهلها وباضت البدعة وفرخت وازدهرت وتبخترت وذهبت الصولة

---

[1] - المصدر نفسه، ص ص340،341.

[(*)] – سورة المائدة، الآية55.

[2] - المصدر نفسه ،ص 342.

[3] - المصدر نفسه ،ص 348.

وضعفت الدولة، وأصبحت أوطان المسلمين نهبا للمعتدين ينقصونها من أطرافها ويعيثون فيها- وفي أهلها- فسادا[1].

وبالإضافة إلى ما كان فيهم من البدع القديمة التي أصبحت عند الكثير منهم من صميم الدين، نشأت نحل جديدة بعضها على أسس جديدة، وبعضها أسسه قديمة ومن هذه النحل فرقة البابية والبهائية[*] و القدياتية في الهند[*] وكلها تعمل لتقويض أركان الإسلام والإتيان على بنيانه متعاونة مع أعداء الإسلام من أهل البدع ومن المستعمرين وهكذا اصطبغت مقاومة البدع والجهر بالإصلاح والدعوة إلى السنة بلون جديد، ودخل في هذه المقاومة للبدعة-حفاظا لكيان الاسلام- مقاومة الاطماع الاجنبية ودسائس الدول الاستعمارية واحباط مكائدها ضد المسلمين واوطانهم، وكان هذا أهم مظاهر النهضة التي قادها جمال الدين الافغاني[***]ومدرسته التي قادها معه في حياته وخلفه بعد مماته الشيخ محمد عبده[****] ومحمد رشيد رضا[*****]، ومن هذه المدرسة تفرعت الحركة الإصلاحية في الجزائر، وان كان ما يميزها لاختلاف الظروف لكن أصلها واحد ينبع من العودة إلى مصادر التشريع النقية القرآن والسنة وإحياء الاجتهاد، قاد هذه الحركة في الجزائر الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس والذي ربط الدين بالسياسة ومطاردة البدعة مرتبطة بمطاردة نفوذ الاستعمار وتوهين أركان بنيانهم والقضاء على عملائهم[2].

فكان لهذه الحركة الاصلاحية الشأن الكبير في فكر بن باديس الذي بدرها بدوره في أذهان تلاميذه ومنهم الشيخ احمد حماني الذي يقول في هدا الصدد:"إن حركتنا الإصلاحية التي قامت في بلادنا وبدأت أعمالها ببدأ اعمال بن باديس وانتصابه عام1332ه1914م كفرع لهذه الحركة المتصلة بجمال الدين

---

[1]- أحمد حماني :الصراع بين السنة والبدعة،ج1،مصدر سابق، ص 49.

[*]- وهي فرقة تنتسب الى الباب وهولقب لقب به نفسه رجل فارسي اسمه الاصلي-علي بن محمد-ويدعي انه من أهل البيت، ولد بشيراز بجنوب بلاد فارس سنة1235هـ1819م.وقد أعلن لأتباعه انه هو الباب وهو اسمه الاول، فاصبح لايشير لنفسه الا بلقب الباب وعرفت فرقته بالبابية نسبة اليه .صدر الإعدام في حقه من علماء الشيعة وعلماء السنة على حد سواء.والبهائية فرقة من البابية تنتمي الى بهاء الله وهو اسم اطلقه على نفسه احد أتباع الباب ادعى انه أوحي اليه وان الباب أشار عليهم به وهو المدعو ميرزا حسين بن علي نوري، أعلن ديانته بعد أن التحق به أكثر البابية سنة 1863في بلاد فارس والشرق الأوسط .للمزيد من المعلومات أنظر :أحمد حماني:رسالة الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية،دار الشهاب ،باتنة.إبتداء من الصفحة27.

** طائفة ظهرت في الهند وباكستان مظهرها ديني وجوهرها سياسي، اشتهرت بخدمة سياسة الانجليز الاستعمارية وتحقيق مصالحهم البغيضة.

[***]- هوالسيد جمال الدين الافغاني بن السيد صفتر من بيت ذو شأن في بلاد الأفغان، ولد في قرية اسعد اباد سنة1839 توفي1897بالأستانة من مؤلفاته"الرد على الدهريين"ورسالة في القضاء والقدر.

[****]- هو محمد عبده بن حسن خير الله من رواد النهضة في الشرق ولد سنة 1266هـ توفي سنة1323 بمصر، أهم كتبه تفسير المنار ورسالة في التوحيد.

[*****]- بن علي بن محمد شمس الدين بن بهاء الدين البغدادي،1282 في القلمون بطرابلس، ثم رحل الى مصر. توفي سنة1354 من مؤلفاته تاريخ محمد عبده.

[2]- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة،ج1،ص50.

الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا"[1] لكن ما لاحظه حماني أيام حياته واستشرى بعد مماته هو عودة البدع التي حاربتها جمعية العلماء والتي تنم عن الشرك بالله، وفي هذا الصدد يقول :"وفي الجزائر ينادي كل قوم برجلهم: أهل الغرب بسيدي بومدين وسيدي الهواري وفي الوسط سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد وسيدي منصور، وأهل الشرق سيدي الخير وسيدي راشد، وسيدي عبد القادر للجميع للجميع ،وقد كانت الدعوة الإصلاحية قضت على معظم هذه البدع ورجعت بالناس إلى ذكر الله وحده ولكننا عدنا إلى سماع هذا حتى في إذاعتنا ووسائل إعلامنا، وما كان يجوز هذا في أمة موحدة وإنما يذكر عندنا اسم الله وحده ،فإننا أمة وحدها الإسلام"[2] ومما سمعه الشيخ أحمد حماني من الإذاعة الوطنية قول المذيع:"عادة موروثة كانت منتشرة فينا ورثناها عن الأجداد وهي إقامة حفلات الزردة،يتهيأ لها الناس...ويجتمعون بمكان ولي فينحرون البقر ويذبحون الشياه...وتقام الإحتفالات بالحضرة والآلات والتهوال ويضرع للأولياء والصالحين فيمدونهم بالبركات والخيرات ،إختفت هذه العادة أيام الثورة لكنها عادت بعد1962 وكان الناس فيها قسمان مؤيد ومعارض"واكتفى المذيع بالحياد والحكاية"[3]. ويرد حماني على ما سمع بالتساؤل :هل هذا الكلام لمستشرق أم يقدمه مسلم ناصح لأمته ودينه، ويذكر حماني بأن آخر زردة كانت في قسنطينة سنة1937 لأن إقامتها ليست من الإسلام في شيئ لما فيها من مظاهر الشرك ودعاء للأولياء والذبح لغير الله ،زيادة على أنها من مظاهر التخلف وورائها الإستعمار وقد إختفت هذه البدع بعد الإستقلال حتى عادت للظهور من جديد في الثمانينيات ويوجه حماني لومه للمذيع والإذاعة الوطنية أنه لو احترم نفسه كصحافي صادق لقدم لأمته الحقائق لتتمسك بها بما يفيدها وتهجر القبيح الذي يضرها ،أما النصيحة التي قدمها للإذاعة فهي ضرورة إعادة النظر في برامجها وتساءل عن سبب إختفاء الحديث الديني في برنامج الصباح"[4].

ويرجع الشيخ أسباب هذه الإنحرافات إلى تغييب جمعية العلماء على الساحة بعد الإستقلال[(*)] ولو بقيت لسدت الفراغ العقائدي وواصلت محاربتها للبدع كما كانت تفعل أيام الإحتلال الفرنسي،لكن منع نشاطها

---

[1]- المصدر نفسه ،ص52.

[2]- أحمد حماني: حياة وآثار ،شهادات ومواقف،مصدر سابق، ص123.

[3]- أحمد حماني: الفتاوى ،الجزء 3،، ط1، قصر الكتاب ،البليدة ،2001،ص312.

[4]- المصدر نفسه،ص ص313-314.كتب الشيخ هذا الكلام في 27 فيفري1993.

[(*)]– الذي اوقف نشاط الجمعية كهيأة هو الرئيس أحمد بن بلة الذي حاول جلب الشيخ البشير الإبراهيمي إلى جانبه في خلافه مع الحكومة المؤقتة، لكن الإبراهيمي رد عليه قائلا لست في خدمة الأشخاص وإنما أنا للجميع.المصدر أرشيف خاص بعائلة حماني.كما ذكر حماني في كلمته بمناسبة إعادة بعث الجمعية يوم 9 ماي1991: بعد عودة الإبراهيمي من القاهرة سنة1962 دعا الشيخ عبد اللطيف سلطاني إلى إجتماع حضره ستة هم:الإبراهيمي ،سلطاني ،أحمد حماني،حمزة بوكوشة،علي المغربي، باعزيز بن عمر، وتم بحث عودة نشاط الجمعية لكن تبين أن دوائر عليا تعترض عودة الجمعية ومواجهته تؤدي إلى فساد، الجزائر في غنى عنه ، ويقول حماني بما أن أجهزة الدولة التي أقامها مليون ونصف مليون من الشهداء مفتوحة أمامنا فإننا سنواصل عملنا ولنا من الشجاعة الكافية ما يمكننا من الجهر بآرائنا والصدع بالحق في

بعد الإستقلال من طرف الرئيس بن بلة الذي وصل إلى ما لم تصل إليه فرنسا هو الذي جعل شبابنا يرتمي في أحضان كل دعوة للتطرف ويعتنق أفكارا غريبة عن المجتمع الجزائري ،تنكر اجتهاد الإمام مالك بن أنسن وتفرق بين المسلمين حتى في المساجد والدعوة لعدم الصلاة وراء أئمة معينين مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصلاة خلف كل بر وفاجر حفاظا على وحدتنا إلاّ أن يأتي الإمام بالكفر البواح[1].

مواضعه.نص كلمة حماني منشور في كتاب صادر عن دار الأمة سنة2001 بعنوان أحمد حماني حياة وآثار شهادات ومواقف،ص79 وما بعدها.

[1]- أرشيف عائلة حمّاني.

المبحث الثالث:أحمد حمّاني ودفاعه عن مقومات الأمة:

مما لا لبس فيه أن مقوّمات الأمة الجزائرية قد حددت من خلال نضال كل من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب اللذان لهما عمق شعبي كما أسلفنا في الفصل الأول، وتندرج تحت الثلاثية التي أطلقها عبد الحميد بن باديس:"الإسلام ديننا ، الجزائر وطننا والعربية لغتنا" لكن بعد الإستقلال وجدت الجزائر نفسها أمام من يحمل مخلفات الاستعمار التي لا يتلائم طرحها مع المبادئ الثلاث السالفة الذكر،وهذا ما جعل الشيخ أحمد حماني يواصل نشاطه ،مدركا أن المعركة الكبرى هي تلك التي يعيشها بعد الإستقلال خاصة وأن الإستعمار ترك إذنابه وأفكاره التي يروج لها البعض ولو عن حسن نية. لذلك لم يذخر جهدا في استكمال النضال الذي كان قد بدأه رفقة إخوانه، من أجل ترسيخ الهوية الوطنية ومقومات شخصيتها، لذلك سهر على إنشاء وتعزيز المؤسسات التي تحقق للجزائر إستقلال شخصيتها ، فعند استدعائه إلى الجزائر العاصمة ليباشر مهنة ورسالة أستاذ للدراسات العربية بالجامعة، كانت جهوده جبارة في فتح كلية الأدب واللغة العربية بجامعة الجزائر، كما كان على اتصال بوزارة الشؤون الدينية ،التي اقترحته عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى(*) .ومن هذه القلعة شرع حماني وهو عضو بالمجلس ، في ترسيخ مقومات الأمة الجزائرية بتنظيم الوعظ والإرشاد واصدار الفتاوى للشعب والإدارة، خاصة أثناء رئاسة الشيخ عباس بن الشيخ الحسين للمجلس[1]. لكن هذه المؤسسة تعثرت مابين 1969-1972 ،إلى أن أسندت الوزارة إلى الأستاذ المرحوم مولود قاسم الذي أخرجها من جمودها، واستدعى الشيخ حماني من الجامعة لرئاسته فوافق بشرط بقائه تابعا ماديا إلى وزارة التعليم العالي وأن يتطوع لرئاسة المجلس. ويشيد حماني بما بذله الرئيس هواري بومدين في الحفاظ على الشخصية الإسلامية العربية للجزائر، يعضده في ذلك الأستاذ مولود قاسم "فلما كانت الأمة تحت وطأة الاستعمار لم تتخل عن دينها الإسلامي فما بالك لما أصبحت مستقلة فخصصت الدولة وزارة بكاملها لا هم لها إلا الشؤون الدينية التي كانت عند حسن الظن بها فغرست المساجد في المدن والأرياف ونشرت المعارف الدينية وفي وزرائها من سماها وزارة التعليم الأصلي إهتماما بهذا التعليم والحرص على أن تكون شهاداته هي نفس شهادات التعليم العام تؤهل حاملها إلى كل المعارف الإنسانية الدينية والدنيوية، والفضل في هذا الإتجاه للرجلين العظيمين هواري بومدين ومولود قاسم، وسار الأمر في الإتجاه الحسن بريح طيبة إلى ما قبل وفاة الرئيس بثلاث سنوات، فقضي على هذا التعليم، وأدمج في التعليم العام ومن هذه الخطوة يبدأ الفشل إذ: افلت الزمام من التحكم في الإتجاه الديني الصحيح إلى حالة اهمال وتفكك

(*)– أنظر تعريف هذا المجلس ،ص52.

[1]- أحمد حماني:الفتاوى، ج1،المصدر السابق، ،ص8.

وتسرب من حالة التعليم إلى المساجد وأدركنا زمن بلغ فيه العبث إلى المنبر والمحراب وأفلت الأمر أو كاد من الوزارة المختصة[1].البرامج المتفق عليها بين هواري ومولود تجعل من التعليم الأصلي هو المرجع لوجود الجامعات التي كان في عزمهما إنشاؤها وهي:جامعة أصول الدين بالجزائر العاصمة، وجامعة الفقه بقسنطينة، وجامعة اللغة العربية بوهران ومثل هذا البرنامج يضمن للجزائر شخصيتها التاريخية[2]. لكن الأمر لم يتم كما كان مبرمجا ،وبدسائس تسبب فيها الجهل والحقد على الطابع الإسلامي قامت بعض الاضطرابات في الجامعات واتهم بإثارة ألفتنة طائفة المعربين الإسلاميين، فتغلب على هذا الرأي الرأي المعارض بدعوى أن اختلاف مناهج التعليم مما يضر بمجتمع الدولة ، وهكذا بدعوى توحيد برامج التعليم تم إدماج التعليم الأصلي في التعليم العام وهو مشروع تقدم به مصطفي لشرف الذي كان على رأس وزارة التربية الوطنية والهدف منه القضاء على تجربة التعليم الأصلي الذي يعتبر امتدادا للصحوة الباديسة[3] . وأصبحت الدولة الجزائرية هي المشرف الوحيد على التعليم بجميع أنواعه وكافة مراحله كما هو موضح في أمرية 16 افريل1976[4]. ويبدي حماني معارضته الشديدة لهذا الإجراء والأكثر من ذلك تقليص حصة التربية الإسلامية الى حصة واحدة أو حصتين في الأسبوع وهي غير كافية للتعريف بالإسلام لأبناء الجزائر وفي هذا المجال يقول:"...ما كان يجول بخاطر أحد –أثناء مناقشة الميثاق الوطني- أن نتيجة توحيد التعليم هي إختفاء التعليم الإسلامي بكل سرعة،في حين كانت إرادة الجماهير أن تعمم برامج التعليم الأصلي في التعليم الديني بجميع مدارس التعليم العام،إن تصرفا غير حكيم في كيفية تطبيق توحيد التعليم والقضاء على معاهد التعليم الأصلي بسرعة قد هدد القرآن بالاختفاء وأصاب طائفة من أبنائنا بظلم فادح "[5] .كما قدم الشيخ حماني بصفته رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى إقتراحات للدولة ورئيسها الذي أقسم وفق المادة110من الدستور بالله العظيم على أن يحترم الإسلام ويمجده ولا يكون هذا التمجيد إلاّ ب:

1- إدخال التعليم الإسلامي بعقائده وعباداته ومعاملاته وسلوكه ومبادئه السامية في جميع مراحل التعليم من رياض الأطفال حتى النهائي في الجامعات والمعاهد وبهذا وحده يكون أبناؤنا على معرفة كافية بدينهم، ويقتنعون أنه دين العلم والسمو والرقي والحياة.

2- تعيين أقسام تخصص في الثانويات وشعب في الجامعات للتعليم الإسلامي أسوة بأقسام التخصص الأخرى وإعطائها كل المزايا .

---

[1] - المصدر نفسه،ص10.

[2] - أحمد حماني،الفتاوى ،ج1،ص 10.

[3] - شهادة بشير خلدون حول الشيخ حماني ،في كتاب دار الأمة حول الشيخ حماني، مصدر سابق،ص204.

[4] - عائشة بوتريد :رسالة ماجستير غير منشورة،مرجع سابق، ،ص216.

[5] - من كلمة الشيخ حماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى أمام المؤتمر الرابع لجبهة التحرير الوطني ،من كتاب أحمد حماني شهادات ومواقف،دار الأمة،ص ص 74،75.

3- المبادرة بفتح الجامعة الإسلامية، وتعيين أساتذة أكفاء مختصين. [1]

وفعلا لقيت إقتراحات المجلس آذانا صاغية ،وتم تخصيص شعبة بالتعليم الثانوي هي شعبة العلوم الشرعية(*).

وتجدر الإشارة إلى الصراع الذي خاضه الشيخ أحمد حماني مع بعض رفاقه بكل حزم وعزم ضد تغريب الدولة الجزائرية، التي لابد لها من استقلال منهجها ورؤيتها، لذلك كان فعالا في بناء مؤسسات الشؤون الدينية سواء داخل الوزارة أو خارجها، ونظرا لنزاهة ومثابرته،كان من بين القلائل الذين يحظون بمكانة واحترام المسؤولين خاصة الرئيس بومدين الذي يستشيره في أمور تخص الإنتماء الحضاري للأمة وكانت لكلمة أحمد حماني فعالية ويظهر ذلك في المقدمة التي صيغت في الميثاق الوطني فيما يتعلق بمسيرة الأمة الجزائرية ،والتركيز على الإسلام كدين تحرر وقيم وعدالة، فالذي كان ورائها هو المرحوم أحمد حماني إلى جانب إخوانه الذين كانوا ولو على قلّتهم كتلة واحدة في مواجهة التيارات الدخيلة على المجتمع الجزائري.

كما كانت له مواقف جريئة في الملفات والمحطات الكبرى التي ساد حولها نقاش في الدوائر السياسية للبلاد وكل فريق يحاول تمرير مشروعه،ورأى الشيخ ومجموعة من رفاقه أنه لابد من وضع منظومة تربوية ومدرسة جزائرية في منأى عن الصراعات ولهذا كان اقرار التعليم الأساسي الذي سيفصل بين مرحلتين: مرحلة نظام التدريس السابق الذي كانت فيه اللغة العربية غير مسيطرة على المواد الأساسية ومرحلة النظام الجديد المتمثل في المدرسة الأساسية والذي يجعل من اللغة العربية السائدة في جميع المواد ولكل المراحل التعليمية (ابتدائي ،متوسط، ثأنوي)[2] وسياسة تعريب المدرسة هي امتداد للنضال التي مارسته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدارسها خلال العهد الإستعماري فكيف لا يمارسه أتباعها والوطن حر طليق.

الملف الآخر الذي كان للشيخ مواقف ثابتة فيه فهو ملف قانون إلاسرة المستمد من الشريعة الإسلامية وقبل الخوض في الجهود الجبارة التي قام بها حماني حتى المصادقة عليه سنة1984 وبعد إستعراضي لبعض مقومات الشخصية الوطنية وكيفية دفاع الشيخ عنها ، وجب معرفة من يقف وراء التشكيك في تلك الدعائم الأساسية للهوية الوطنية ، ولا يتسنى لنا ذلك إلا بالعودة إلى العهد الإستعماري ،فترسبات ما يزيد عن قرن وثلاثين سنة ليس من السهل إزالتها،فالاستعمار كون جيلا يرتبط به حتى بعد خروجه، إذ حرص على دفع بعض عناصر النخبة الجزائرية المفرنسة إلى تبنّي فكرة النزعة البربرية التي تمثل

---

[1]- المصدر نفسه ص ص76-77.

(*)– تم إلغاء شعبة العلوم الشرعية في مجلس وزاري سنة2005 بحجة عدم حاجة سوق العمل لهذا التخصص.المصدر:جريدة الشروق اليومي الصادرة يوم 2007/7/11 في مقال بعنوان:أكثر من 60شخصية تطالب الرئيس بردّ الإعتبار لتخصص الشريعة الإسلامية.

[2]- شهادة بشير خلدون ،المرجع السابق،،ص204.

حجر الزاوية في محاولة تفكيك الروابط بين الجزائر والوطن العربي الإسلامي ليسهل ربطها نهائيا وحقيقيا بفرنسا،[1] ولم تكن هذه النزعة خاصة بالجزائر بل شملت المغرب العربي، كما أن مواجهتها بعد إستقلاله، شملت علماء من المنطقة كلها كالأستاذ المغربي محمد بن عبد الله مدير مجلة دعوة الحق ،الذي شارك في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي بالجزائر وأبدى إعجابه ببعض علماء الجزائر ومنهم أحمد حمّاني الذي دافع في الملتقى المذكور على الإتجاه العربي الإسلامي للجزائر ضد المتبربرين الذين يستعملون الدين لضرب القومية العربية[2].

وكمثال على تشجيع الإحتلال للكتاب الذين تميزوا بالجهوية[(*)] المدعو"إيبعزيزن" الذي ألف كتابا سنة1930 بعنوان" تطور الشبيبة القبائلية" ومما جاء فيه:" إن رغبة الشبيبة القبائلية هو التفرنس الكامل، وأن القبائلي ليس عنصرا ساميا كالعربي بل هو ينحدر من جنس البحر المتوسط،..والتاريخ الفرنسي يجعل من القبائلي بطلا فرنسيا ،ليس هذا فحسب بل أن تنصير الشبيبة القبائلية، هو الفلسفة الوحيدة التي يجب أن تستبغ بها الشخصية القبائلية"[3] ومما تجدر الإشارة إليه أن النزعة البربرية كانت خلال العهد الإستعماري محدودة حتى في الوسط القبائلي نفسه ،الذي كان حصنا منيعا للإسلام ،على خلاف اليوم، فمشروع التنصير،أصبح ساري المفعول في منطقة القبائل. وما لاقته الجزائر المستقلة من تشكيك في هويتها وضرب لمقوماتها، منبته النزعة البربرية المدعمة من طرف فرنسا،فالاستعمار سهر على إستقلال الجنسية الجزائرية تحت ضربات الثورة لكنه يعارض بشدة ومازال إستقلال الشخصية لان ذلك سيؤدي حتما إلى فقدان الثقافة واللسان الفرنسي في هذه البلاد لذلك حرص على تكوين الأكاديمية البربرية الفرنسية في باريس1967 ونشر ثقافة العرب غزاة لشمال إفريقيا ، وانتماء البربر متوسطي،وليس عربي، في حين التاريخ يكذب ذلك بشهادة الغزاة الأوائل ومنهم المترجم العسكري الفونس مايير الذي نقل معلومات من أفواه شيوخ منطقة القبائل وقدمائها عن أصل السكان هناك ،وقدم هذه المعلومات إلى المجلة الإفريقية التي نشرتها سنة1859 تحت عنوان "أصل سكان بلاد القبائل حسب العرف المحلي" وخلاصة المقالة أن شيوخ القبائل يعتقدون أن أصلهم من العرب ماعدا قبائل:فراوسن، إيجر،غوبري.التي قالوا أنها فارسية[4].

---

[1] - الجمعي خمري،حركة الشبان الجزائريين والتونسيين،ج2،المرجع السابق، ص411.

[2] - أبو القاسم سعد الله :رحلتي الى المغرب،مجلة الثقافة،الصادرة عن وزارة الإعلام والثقافة،السنة3 عدد18 ديسمبر جانفي،1973،ص114.

[(*)] - ومازال حتى اليوم،فالغرب يشجع ويمنح الجوائز والألقاب التي توصف بالعالمية لأشخاص لم يكونوا شيئا يذكر في بلدانهم الأصلية، فاتخذوا من الكتابة ضد مقوماتهم، ليلقوا الترحيب عند مستعمر الأمس، بدعوى حرية التعبير ، لكن تمنع حرية التعبير وتتحول إلى تعصب وإرهاب إذا تعلق الأمر بالمحرقة اليهودية المبالغ فيها.

[3] - الجمعي خمري، المرجع السابق ،ص ص411-412.

[4] - أحمد بن نعمان :فرنسا والأطروحة البربرية ،دار الأمة ،ط2، 1997، ص19.

وتعود جذور النزعة البربرية وانكشافها إلى محاولة مندسين في حزب الشعب الجزائري ضرب وحدته بتأسيس حزب الشعب القبائلي، وأول من دق ناقوس الخطر هو أحمد بودة عضو اللجنة المركزية أثناء اجتماع في ديسمبر1948،مبلغا عن النزعة البربرية التي تعدت الأفكار إلى الأعمال محاولة التموقع داخل هياكل الحزب[1]، واستطاع المتنفدون في فيديرالية فرنسا التابعة لحزب الشعب السيطرة على أغلبية قسماتها وبدأت في سنة1949 أصوات تتعالى للمطالبة بلائحة للتصويت تدين عبارة "الجزائر العربية الإسلامية" ولم تتمكن حركة الإنتصار(حزب الشعب) من إعادة هيكلة فيديرالية فرنسا إلا بعد عمل متواصل دام ثمانية عشر شهرا وعوقب دعاة التجزئة والمعادين لإسلام وعروبة الجزائر[2]، وهذا الإتجاه البربري الذي له عداوة مع ثوابث الأمة هو الذي كان محل انتقاد ومواجهة من طرف الشيخ أحمد حماني وليس الذين يتكلمون بالأمازيغية،فحتى أثناء الثورة كان المجاهدون يستعملون القبائلية في خطبهم ويتكلمون بها أثناء شؤونهم اليومية غير أن الروح الأخوية، كانت هي السائدة،وكان القبول بالثقافة والكلام بالبربرية مسموحا به بشرط عدم إعادة النظر في المبدأ العربي الإسلامي، ففي الذكرى الستون لتأسيس جمعية العلماء والإعلان عن إستئناف نشاطها نبه الشيخ حماني إلى أن سر نجاح الشعب الجزائري هي المبادئ الثلاث :الإسلام،العربية،الوطن الجزائري وأن الشعب الجزائري يتكلم العربية ومسلم و بذلك فهو عربي ولا عبرة بالدم والعرق بل العبرة باللسان والقلب[3] وهذه إحدى الردود التي كان يرد بها على الأقلية البربرية التي واصلت ما كانت قد شرعت فيه فرنسا من بث للجهوية والإعلان عن رفض المقومات السابقة الذكر عبر كتابة الروايات والمسرحيات ، وإبداء وجهات النظر في الصحافة الفرنسية ومنهم الكاتب "كاتب ياسين"الذي طالب بشن حرب ضد الإسلام لاعتباره السبب الرئيسي في تعريب البربر بعد الفتح الإسلامي، وفي هذا الإطار ألف مسرحية في مطلع الستينات بعنوان" يا محمد خذ حقيبتك" وكما هو واضح من العنوان فمحمد هنا يرمز إلى الإسلام والعروبة،كما صرح نفس الشخص لإذاعة فرنسية سنة1986 بأن العدو الأول للبربرية في الجزائر هو الإسلام ويجب القضاء عليه وقال لئن كان أجدادنا البربر انهزموا أمام الفتوحات الإسلامية في القرن السابع ميلادي فمن واجبنا اليوم وبإمكاننا ذلك أن نثأر لهم ونحن أقوى وأفضل منهم قبل أربعة عشر قرنا[4]. وكان حماني يذكر بان البربر الذين ترأسوا دولا إسلامية في التاريخ الوسيط لم يتخذوا لغتهم البربرية لغة الحكم بل جعلوا لغة القرآن الكريم هي لغة الدولة والقضاء والحكم والثقافة، فازدهرت

---

[1] - المرجع نفسه، ص30 ،نقلا عن جذور أول نوفمبر ليوسف بن خذة ،منشورات دحلب1989 من ص169الى181،النسخة الفرنسية.

[2] - المرجع نفسه ، ص31.

[3] - أحمد حماني : الذكرى الستون لتأسيس جمعية العلماء،وهوخطاب ألقاه يوم الخميس24 شوال1411 الموافق لـــ9 ماي1991، في قاعة ابن خلدون بالجزائر العاصمة، المصدر أحمد حماني شهادات ومواقف، دار الأمة،ص79.

[4] - أحمد بن نعمان :المرجع السابق، ص95.

الثقافة ونمت العلوم، ورغم الضعف والاضطرابات كانت الثقافة في ازدهار وخير شاهد على ذلك تلمسان وبجاية[1].

لذلك ،في جزائر الاستقلال استعمل البعد الأمازيغي بشقيه اللغوي والثقافي لغرض آخر لا يتوقف عند ضرب اللغة العربية فحسب بل يتعداه إلى الدين الإسلامي ، وهذه المنهجية هي التي إتبعها الإستعمار نفسه إذ كان يمهد الطريق عن طريق التبشير ،ليكون أداة طيعة في يديه ثم يجعل همه الأول تحطيم اللغة العربية ، وهدمها يعني تقويض لمفاهيم الإسلام، لأن العربية لغة القرآن والقرآن لا سبيل إلى فهمه الفهم الصحيح دون العربية ويستحيل ترجمته ترجمة صحيحة الى أي لغة أجنبية[2].

وكانت اللغة العربية مستهدفة منذ اللحظات الأولى للإستقلال،في هذا المجال يقول حماني:" بأن طوال الصيف الذي تلى الاستقلال واصلنا أعمالنا في ابتهاج شعبي لا نظير له وعقد المعلمون القدامى اجتماعات يتساءلون ما المصير وأخذت الدولة تتشكل والتنظيمات تدبر، واحتاجت العربية إلى موقف الدفاع من جديد"[3].

وفي حقيقة الأمر كان الدفاع والتصدي للاستقلال اللغوي معركة شاقة بدأها حماني ورفاقه، ولم يواصل البقاء في الميدان إلا القليل من تلامذتهم ، وأصبح وضع اللغة العربية يتطلب الإنقاذ "من المصير الذي يتهددها،إذا ضلت في مهب الريح على نحو ما نراه اليوم ،فإن المستمع لأحاديث الإذاعة وخطب المحافل،وإن القارئ لما تنشره الصحف والمطابع، ليهوله ما انحدرت إليه اللغة العربية في هذا العصر"[4].

والسبب في إنحدار اللغة العربية و أصحابها يرده حماني إلى أنصار الفرنسية الذين عرقلوا نشر المعربين لإنتاجهم ومن هذا الإنتاج كتبا جليلة في مجال التعليم لمدير ثانوية ومفتش عام في آن واحد هو الصادق حماني خريج الزيتونة.كتبه لم تر النور بسبب احد المسؤولين الذي لم يوافق على استعمالها وهذا المسؤول كان من رجال التعليم في العهد الاستعماري وخريج مدارسه وهو الذي كان يحكم-وأمثاله- على فشل التعليم العربي وعلى ان اللغة العربية هي لغة الخطب وتأبين الأموات، وليست لغة العلم والفلسفة والحياة.مع أنها كانت الوحيدة في تلك الميادين مدة قرون طويلة[5].

---

[1] - محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي،المجلد1،المصدر السابق، ص213.

[2] - عثمان أمين:المصدر السابق،ص 103.

[3] - أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة ج2، مصدر سابق،ص304.

[4] - عثمان أمين:المرجع السابق،104.

[5] - أحمد حماني:شهداء علماء معهد بن باديس ،المصدر السابق ،ص90.

فمعلمو التعليم العربي الحر[*] هُمِّشوا بعد الإستقلال بسبب بلاغ الحكومة الحديثة العهد بالاستقلال القاضي بضرورة إخضاع أساتذة التعليم الحر إلى تدريبات خاصة يتلقونها والى معلومات وافرة يحصلونها وامتحانات تجيزهم للتعليم في مدارس الحكومة، بينما حملة الشهادات الممضية من طرف الاستعمار الفرنسي فشهاداتهم معترف بها وليسوا بحاجة إلى امتحانات وتصور الرأي العام أن هذه الحكومة هي حكومة الأمس وإدارة أجنبية مفروضة ففرنسا لما خرجت تركت جيلا أمينا على مستقبلها في الجزائر المستقلة ،ومن بداية تنفيذ ما جاء في البلاغ من تدريب وتعليم وامتحان حتى نظم حملة شهادات الزيتونة،الأزهر والقرويين أنفسهم ومنهم حماني وأسسوا اللجنة الوطنية لإدراج الأساتذة والمعلمين الأحرار وقبل البشير الإبراهيمي برئاستها سنة1964 رغم كبر سنه ومرضه وظروفه الصعبة تحت الإقامة الجبرية [1] وفي هذا المجال يقول حمّاني:" وتواصلت المعركة للاعتراف بالأقدمية لكل معلم حر واستمرت حتى 1965 اثر الإطاحة بنظام احمد بن بلة ومجيء نظام جديد كان من بين أعضائه وزيرا للتربية الوطنية هو شريف بقاسم ،الذي أنصف المعلمين الأحرار واعترف بفضلهم، وقد عدلت الوزارة شهادات الزيتونة فجعلت الأهلية في مقام البروفي والتحصيل في مقام الباكالوريا والعالمية في مقام الليسانس، ولكنها نصت على ان هذا التعديل معمول به في التعليم فقط، وذلك إمعانا في الظلم والإنكار وإلاّ فان الأهلية تقابل الليسانس لو كانوا يعلمونّ[2].

أما فيما يخص قانون الأسرة الذي إحتدم حوله الصراع وعُطِّل لسنوات كثيرة، فقد كانت للشيخ حماني جهودا جبارة في تعديله أولا لأنه كان نسخة طبق الأصل للقانون الفرنسي وكان ذلك في الملتقى الذي نظمته وزارة العدل حول إثراء قانون الأسرة المنعقد بقصر زيغود يوسف يومي27 و28 مارس1973 حيث انتقد بشدة النصوص المعروضة في الملتقى والتي في غالبيتها منقولة عن القانون المدني الفرنسي أو من قانون11جويلية1957 الخاص بالولاية أو الوصاية،أو من قانون الآنسة سيد قارة الصادر في4أفريل1959 ومرسوم التطبيق الصادر في17سبتمبر1959 الخاص بالزواج والطلاق أو ما سمي بانحلال الزواج وحتى بعض ما في مواد هذا القانون من حسن قد مسخ واستبدل مثل اشتراط القانون الفرنسي في عمل الزوجة أن لزوجها حق الإعتراض وأن رضاه مشروع بينما يقول مشروع اللجنة المكلفة بإعداد القانون عكس ذلك ويعطيها حق العمل دون رضا زوجها فمثل هذا نشوز وخروج عن الطاعة [3] ويستدل حماني ،بعدما فصل في القوانين التي تركها الإستعمار، بأقوال رئيس

---

[*]– كان الشيخ أحمد حماني أحد أعمدة التعليم العربي الحر.

[1] - الإبراهيمي أحمد طالب،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج2(1940 - 1952)ط1، دار الغرب الإسلامي،ص11.

[2] - أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،المصدر السابق، ص ص86،85.

[3] - بشيركاشة الفرحي،المرجع السابق، ص59

مجلس الثورة هواري بومدين حيث قال يوم13مارس1971:"إن التشريعات التي فرضها النظام الإستعماري على بلادنا مدة قرن وربع والتي سلبنا بها مكتسباتنا، قد بقي معظمها جاريا به العمل بمقتضى قانون31ديسمبر1962 وهي الغريبة عن ديارنا، والآن وقد انفكت الأغلال وملكنا زمام أمرنا فعلينا أن نتخلص نهائيا من القوانين الدخيلة علينا"[1] وبناء على ما سبق إقترح حمّاني ما يلي:

1- إعادة النظر جذريا في المشروع المعروض على الملتقى.
2- أن يوضع الأصل باللغة العربية ليعبر تعبيرا جيدا عن نصوص الشريعة الإسلامية ومصطلحات الفقه دون تحريف يقع من الترجمة.
3- تُشكل لذلك لجنة من المختصين المتضلعين في الفقه الإسلامي والقانون من وزارتي العدل والتعليم الأصلي والشؤون الدينية،مهمتها تحقيق ما سبق ووضع القانون في صيغته النهائية.

وفعلا أخذت تلك الإقتراحات بجدية وبعد اليوميين الدراسيين جمعت الملاحظات والإقتراحات التي ساهم بها المشاركون في الملتقى المذكور وأعيد صياغة القانون على ضوئها وأصبح جاهزا لمصادقة الحكومة عليه سنة1975،وهي السنة التي تمّ خلالها المصادقة على العديد من القوانين ما عدا قانون الأسرة الذي أجل بسبب معارضين له في دوائر الحكم الذين أزعجتهم أحكامه المستمدة من الشريعة الإسلامية[2] والنقاط التي لم تهضمها الأقلية هي: تعدد الزوجات المنصوص عليه شرعا،حضور الولي الذي يعد ركنا من أركان الزواج الإسلامي،الشريعة تمنع التبني، وتمنح الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين، وشهادة الرجل تقابلها شهادة امرأتين، ولا تسافر المرأة إلا بمحرم وهذا ما جعل تلك الفئة ترفض الأحكام الإلهية وتعطل قانون الأسرة الذي لم يصدر كقانون واجب التطبيق إلا في 9 رمضان1404هـ الموافق لـ9جوان1984 ولم يكن ليمر دون ضجة مما أجبر الرئيس الشاذلي بن جديد إعادته إلى البرلمان لقراءة ثانية، ثم التوقيع النهائي عليه[3]،وخلال سنوات تعطيل القانون كان الشيخ أحمد حماني يقوم بجهود مضنية رفقة الأوفياء للجزائر العربية المسلمة لشرح أهمية الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان ولكل القوانين ومنها قانون الأسرة، كما رأى أنه من واجبه التصدي لمن يحاول تغيير مسار الدولة الجزائرية أو تغييب الإسلام عن القضايا الهامة مثل قضايا الأسرة ،فقدم ملاحظته في الموضوع بصفته رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى، أنتقد فيها بعض القوانين التي تتصادم مع نصوص الشريعة الإسلامية واقترح حلولا وبدائل لتلك القوانين ، ووجه ملاحظاته الكتابية واقتراحاته في مراسلتين إلى السيد محمد الشريف

[1]- المرجع نفسه، ص60.
[2]- المرجع نفسه،ص51.
[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مساعدية عضو اللجنة المركزية وأمين اللجنة الدائمة لحزب جبهة التحرير الوطني: الأولى بتاريخ 27 افريل1983 والثانية في2 جوان من نفس السنة[1].

وتصب الملاحظات والإقتراحات التي قدمها الشيخ حماني على مسودة مشروع قانون الاسرة قبل المصادقة عليه في ضرورة الرجوع الى الفقه الإسلامي وعدم إستنساخ قوانين غريبة عن مجتمعنا وفي هذا الصدد يقول:"-أولا في آخر الصفحة الأولى وأول الثانية جاء ما نصه:إن القوانين التي تتجاهل الواقع في كل جزئياته تصبح قوانين نظرية في انعزال عن الحياة ولا يختلف الفقه الإسلامي في هذه القاعدة عن المنظومة القانونية الأخرى.

الإقتراح:حذف هذه الفقرة تماما واستبدالها بما نصه:وليس كذلك الفقه الإسلامي،لمرونته ويسره وصلاحه لكل زمان ومكان.لماذا؟ -لأنه من غير اللائق أن يوضع الفقه الإسلامي-كما في الفقرة- مثل هذا الوضع المهين مساويا للقوانين الوضعية متهما معها بمناقضة الواقع المعاش وبالانعزالية، والصواب أن الفقه الإسلامي مصدره نصوص قرآنية أو سنة نبوية، أو هو مستخرج من قواعد صحيحة سليمة مستمد منها مسند عليها"[2].

ومعارضو قانون الأسرة يركزون دائما على ثلاث عناصر يريدون من خلالها اثارة ضجة ومن ثمة التراجع عن فقه الشريعة الإسلامية، هذه القضايا الثلاث هي:التبني، الطلاق، تعدد الزوجات وهذه القضايا الخطيرة إذا ما خرجت عن فقه الشريعة الإسلامية فمعناه تكسير روابط الأسرة الجزائرية، لذلك تصدى أحمد حماني بكل عنف وفعل ثوري لكل محاولات تغييريه من اجل الحفاظ على سلامة النص الذي صيغ كنص سياسي أولا ثم رافقه مع أبنائه إلى المجلس الشعبي الوطني من أجل الحفاظ على قانون الأسرة المبني على أساس الشريعة الإسلامية[3].

وحتى بعد إقرار قانون الأسرة سنة1984 بقت الفئة المعارضة تعمل في الخفاء محاولة إلغاؤه،وأصبحت تجاهر بعدائها لكل ما هو مستمد من الشريعة الإسلامية بعد أحداث أكتوبر1988 وانتظمت في حزب جهوي قبائلي ما انفك يطالب بإلغاء قانون الأسرة بكل الوسائل وأوجد لهذا الغرض أكثر من عشر جمعيات نسوية وهمية للمطالبة بتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة كما صرّح رئيس ذلك الحزب للصحافة[4] بأنه ضد القوانين المجحفة في حق المرأة والتي تجسدت في قانون الأسرة ،

---

[1]- أحمد حماني، الفتاوى،ج2، ص.ص559-560.
[2]- المصدر نفسه ،ص563.
[3]- شهادة بشير خلدون، المرجع السابق،ص205.
[4]- أجرت جريدة الشعب حوارا معه صدر في عدد يوم 19مارس1989.

وهذا ما أدّى بالشعب الجزائري إلى تنظيم مسيرة احتجاج في العاصمة ضمت أكثر من مليون شخص حسب تقدير وكالة الانباء الألمانية أما الصحافة الفرنسية فقلصت العدد إذ قدرته جريدة لوموند الفرنسية الصادرة يوم1989/12/13 بنصف مليون فقط.[1] والذي قاد تلك المسيرة الشيخ أحمد سحنون رفيق حماني في جمعية العلماء المسلمين الذي قال :"قانون الأسرة لا ينسخه إلاّ كفر بالله".

والقلعة الأخرى التي ساهمت بشكل كبير وفعال في تعزيز مقومات المجتمع الجزائري العربي المسلم هي وزارة الشؤون الدينية التي ما لبثت أن أصبحت محل إنتقاد وكان الشيخ احمد حماني من اشد المدافعين عن ما كانت تقوم به، وقد تعرض برنامج الحديث الديني المقدم يوميا خلال شهر رمضان،والذي تشرف عليه الوزارة المذكورة إلى انتقاد حاد نشر في صحيفتان وطنيتان،أسبوعية ويومية الأول تحت عنوان"الكلام لفظ مفيد" والثاني بعنوان" التوجيه الديني والتفتح على الواقع" ومضمون المقالين متشابه مفاده أن الأحاديث الدينية أو بعضها كلام لا معنى له ،غثة المعاني و الألفاظ مكررة، معادة مجترة قيلت آلاف المرات،ورد الشيخ حماني عليهما بقوله:" نحن لا نتهرب من النقد النزيه البناء المبني على قواعد علمية،وأن النقد الذاتي-حيث يعترف المخطئ بخطئه على رؤوس الملأ- عنوان قوة الأمة ومناعة الأخلاق فيها،...ونحن في الوزارة لا ننكر أن ينتقد أعمالنا أحد ويبين لنا نقصنا في أداء وظيفتنا لنتجنب ذلك ونصححه، ....ولكن إذا أراد شخص أن يحطم ويهدم ويسد بابا من أبواب الخير في وجوه عباد الله فإننا من حقنا أن لا نقبل الهدم وواجب علينا أن نبين له(أن بني عمك فيهم رماح)"[2].

ثم يشرع الشيخ حماني في الرد على الاتهامات الموجهة للحصص الدينية فعن تكرار المواضيع بتكرار المناسبات يرى الشيخ بأن ذلك ليس عيبا وان المناسبة نفسها هي موضوع الحديث، ولكل مقام مقال، فأي موضوع أولى باهتمام الحديث الديني في رمضان من الحديث عن القرآن وهدايته لأنه أنزل في رمضان، وعن التهجد والقيام وحث المسلمين على التوبة والتسابق إلى الخيرات[3] كما رد الشيخ حماني بالدليل والحجة على من زعم أن الأحاديث الدينية لا معنى ولا جدوى منها لعدم الإهتداء بها وتطبيق ما جاء فيها،متسائلا:"متى كانت الدعوة-وحتى على ألسنة الأنبياء والمرسلين-عاصمة للناس أجمعين، رادعة لكل المفسدين؟ فعلى الدعاة أن يقوموا بواجبهم الديني، وليس عليهم حمل الناس على اتِّباع أقوالهم فالهداية من الله "قل إن الهدى هدى الله"[4]وعن إتهام ما جاء في تلك الأحاديث بالمبالغات والخرافات يتأسف حماني لإنزلاق المتهمين عن الجوهر والأخلاقيات الحقيقية في التربية الدينية ولئن قصدوا ما فعله الرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عندما رمى المشركين يوم بدر بقبضة من

---

[1] - أحمد بن نعمان،المرجع السابق،ص98.

[2] - احمد حماني:كلامنا لفظ مفيد كاستقم،مجلة الأصالة،السنة7،العدد53 ،جانفي1978،ص66.

[3] - المصدر نفسه ص68.

[4] - المصدر نفسه، ص70.

التراب أصابت أعينهم،فالقرآن نص على ذلك بقوله تعالى:"فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" فإذا كان في القرآن مبالغات وخرافات في رأي المنتقدين فإننا نقول فيهم:"آمنا به كل من عند ربنا"، كما أن ما كانت تقوم به وزارة الشؤون الدينية من برمجة الأحاديث الدينية نالت رضا الجماهير التي طالبت بأن تذاع في التلفزة يوميا في غير رمضان ، ولكن الوزارة لا ذنب في حرمان عموم الشعب من ذلك ولو أفسح لها المجال لاستجابت بسرعة وكفاءة [1]

ومن خلال هذا الرد الأخير نتبين أن صراعا كان قائما بين المدافعين عن مقومات الأمة وعلى رأسها الإسلام الذي يبلغ عن طريق وسائل الإعلام ومعارضين لذلك التبليغ ووصل هذا الصراع إلى حد المقايضة أحيانا ونلمس ذلك من خلال ما بينه مولود قاسم نايت بلقاسم بقوله:" لقد أوقفنا سنة 1390ه 1970م استعمال مكبر الصوت في آذان الفجر، وقلنا إننا نود مقابل ذلك أن يوقف بقاء الحانات مفتوحة طوال الليل، وأن توقف مزامير الأعراس، مع أنه لا مجال هناك لأية مقارنة، ولكن لما لم يستجب أحد لذلك، رغم طلبنا المتكرر، وعلى جميع المستويات، أرجعنا استعمال مكبر الصوت في آذان الفجر، وأعلنا ذلك في الصحف، وذكرنا حتى المقارنة العرجاء العوجاء التي لا محل لها من الإعراب والإعجام"[2].

إضافة إلى ذلك فوسائل الإعلام والتلفزة خصوصا كانت هي الأخرى تجرح مشاعر عموم الجزائريين ،فمثلا خلال شهر رمضان كانت تعرض بين القرآن وأذان المغرب وقبل الحديث الديني أغاني فيها من الكلام ما هو كاف لتفريق الأسرة الجزائرية المحافظة[3] وكم من مرة نبهت وزارة الشؤون الدينية وعلى جميع المستويات والمسؤوليات، وعلنيا وفي الجرائد المجلات،المحاضرات والملتقيات من أجل الحفاظ على مقومات الأمة وعدم إستفزاز مشاعر المسلمين كإلصاق الإعلانات الإشهارية وعليها الصور الخليعة أمام مرأى الجميع[4] وقد أدرك حماني ورفاقه مقاصد تلك المؤامرات الداعية لإلغاء الدين ونشر الإباحية بحجة التفتح والثقافة ،ووقفوا في وجهها بالبرهان والحجة.

كما نبّه الشيخ حماني إلى خطر مثقفينا الذين أرسلوا إلى بلدان غربية من أجل تعلم العلم التجريبي ويعودوا بتقنيات مفيدة للوطن، فإذا بهم رجعوا إلينا بلسان أعجمي وفكر ملتو وخلق منحرف ودين زائغ

---

[1] - االمصدر نفسه،ص ص 71، 72.

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم:أصالة أم انفصالية ،ج2،مصدر سابق،ص16.

[3] - المرجع نفسه،ص101.

[4] - المرجع نفسه، ص17.

وبفتاة تحتل من حياته مكان المسلمة الطاهرة العفيفة، سيبقى هؤلاء المتشبعين بالثقافة الأجنبية غرباء منعزلون في مجتمع أمتهم لأنهم لا يحسون بإحساسها ولا يتجاوبون معها، ولا يعربون عن ثقافة أصيلة ذات جذور راسخة وعروق ممتدة في ماضيها[1].

ولم يكن حماني مدافعا عن مقومات الأمة الجزائرية فحسب بل كان يدافع عن الأمة الإسلامية ويرد الشبهات التي يحاول بعض الغربيين والمستشرقين إلصاقها بالإسلام، مزيلا اللبس عن أفكارهم لعدم معرفتهم بالواقع الإسلامي أو لعدم تفريقهم بين الإسلام والمسلمين وأتيحت له فرصة الاستماع لهؤلاء والرد عليهم في ملتقيات الفكر الإسلامي ، وعلى سبيل المثال المحاضرة التي ألقاه الدكتور وليام مونتغمري الأستاذ بقسم الدراسات العربية الإسلامية بإحدى جامعات بريطانيا بعنوان "مشاكل تواجه الإسلام في إفريقيا اليوم"،ومما جاء فيها بأن العقبة الحقيقية التي تقف أمام إنتشار الإسلام في أفريقيا :إنتشار التكنولوجيا، وهو انتشار لا يقاوم وقد عجز عن مقاومتها المهاتما غاندي الذي دعا الناس إلى العودة إلى المغزل التقليدي والاستغناء عن الألبسة المصنوعة في مصانع بريطانيا ورغم شعبيته يقول وليام لم يستطع إقناع شعبه بالعودة إلى المغزل التقليدي لأن الناس يبحثون عن أشياء حديثة تسهل لهم حياتهم[2].وكلام هذا البريطاني لم يكن ليمر على الشيخ حماني دون التعقيب عليه بقوله:" هل يظن الدكتور أن أشد المسلمين رجعية –في نظره -يريد السلبية والتقوقع أمام تقدم العالم؟هل يريد أن يفهمنا أن دعوة غاندي وكل من سلك سبيله كان يريد بها من شعبه أن يترك إنتاج مصانع لانكشاير من النسيج ليعود إلى عهد آدم وحواء ليخصفوا عليهم من ورق الشجر؟كلا ثم كلا وانما كان يقصد غاندي إضعاف الاستعمار الانكليزي إقتصاديا وان لا يقتصر الهنود على استهلاك ما يصنعه المستعمر في بلاده فيستعمر جيوبهم كما إستعمر أجسامهم وأوطانهم وعقول بعضهم.ولقد دعا غاندي فيما دعا اليه مقاطعة ملح الشركات الانكليزية وقد نجح في أسلوبه وقهر الاستعمار وأجبره على الانسحاب من الهند التي صار سكانها لا يلبسون ما ينتجه المغزل البدائي الذي استعمله غاندي ولا ما تنتج مصانع لانكشير وإنما تلبس ما تنتجه مصانعها الحديثة أو القديمة.أما الاسلام فلا يصطدم أبدا مع التقدم العلمي والتطور الصناعي والمسلمون أكثر الناس إستعدادا لهذا التطور إذ هو يأمر أهله بالعلم وأخذه عن أهله[3].

ويبين حماني العائق الحقيقي أمام الإسلام بقوله:" وإنما يقف أمامه المستعمرون الكائدون، الطامعون في خيرات البلاد الإسلامية، فهم أيام إستعمارهم كانوا يمنعون كل تقدم ونهضة وهم اليوم يحاولون بكل

[1] - محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي،المصدر السابق، ص401.

[2] - محاضرات ومناقشات الملتقى 11 للفكر الإسلامي،المجلد1،مصدر سابق،ص373.

[3] -المصدر نفسه، المجلد2، ص342

ما يملكون من قوة سياسية ومالية وعلمية أن يحولوا بين المسلمين -وكل الدول المستضعفة- وبين النهضة الحقيقية الصناعية والمالية والاقتصادية والسياسية والعسكرية حتى يضمنوا تفوقهم"[1].

وقد نعى وليام على العلماء تصلبهم وتشددهم وأن ذلك هو السبب الآخر في تأخر المسلمين وتقهقرهم، وأن من خير المسلمين وفائدتهم أن يتحرروا ويتخلصوا من تصلب العلماء.

يرد حماني عليه بالفرق بين علماء الإسلام الذين ليس لهم سلطة روحية وزمنية على المسلمين بينما هذه الصفة محفوظة لرجال الكهنوت والكنيسة.فعلماء الإسلام ما هم إلا أمناء على نصوص الشريعة يبينون أحكامها ويفسرونها ويذكرون المسلمين بها وليس لهم من قوة لتبديل النصوص وتحريفها كما فعل ويفعل علماء اليهود في التلمود وعلماء النصارى بواسطة المجامع الكنسية، أو حبرهم الأعظم بالفاتيكان.وقد كلن تصلب علماء المسلمين هو الذي أنقذ المسيحية في شرق أوربا من المحو، فقد حاول أحد السلاطين العثمانيين إجبار كل المسيحيين في الأقطار المفتوحة:إما على إعتناق الإسلام أو الجلاء عن أوطانهم، فوقف في وجهه العلماء -الذين وصفهم وليام بالتشدد- وقالوا له إنك مخطأ فلله عز وجل قال في كتابه الكريم: لا إكراه في الدين. والقرآن ينص على قبول الجزية من أهل الكتاب إذا سكنوا أرضنا في مقابل حمايتهم وضمان دينهم فهل فعل علماء النصارى مثلما فعل علماء الإسلام.كلا إن الكاردينال خمينيس أقر إستباحة أعراض وأموال المسلمين بالأندلس[2] .

ويواصل حماني الرد على الشبهة التي أراد إلصاقها بالإسلام مبينا أنه ربما إستند إلى التاريخ الإسلامي الذي لا يمكن تجاهل وجود علماء تميزوا بالسلبية ولم يمثلوا الإسلام أحسن تمثيل ،ويقول في هذا الصدد:"إن المسلمين يتمسكون بالنصوص ويجتهدون لكن بالرغم من ذلك لا ننكر أن فيهم من ينتسب إلى العلم وليس منه في شيئ، ودفعه إلى موقفه أغراض دنيوية وتنافس وغيرة مثل شيخ الإسلام الذي عارض جمال الدين الأفغاني أثناء زيارته الأولى لعاصمة الخلافة القسطنطينية، فألقى محاضرة في الدعوة إلى تصنيع دعوة الخلافة والنهوض بها، وذلك بدون شك لا يرضي الغربيين وسياستهم فقد كانوا ينتظرون موت الرجل المريض لتوزيع تركته.قامت قيامة شيخ الإسلام ضد جمال الدين ورماه بالبهتان وألَّب عليه تابيعه من العلماء ، فهاج الرأي العام وأجبر جمال الدين على الخروج من العاصمة ولم تستفد الدولة من لآرائه التي تعبر حقا عن رأي الإسلام. أما العلماء الجامدين فالراجح ان مواقفهم طعمها أعداء الإسلام وعملاء الاستعمار.أما العلماء الحقيقيون فيتمسكون بالنصوص ويجتهدون فيما يسعدهم ويسعد البشرية وقد قال الفيلسوف برنارد شو:" لو قام محمد من قبره لأستطاع حل مشاكل

[1] - المصدر نفسه،ص343.

[2] - المصدر نفسه،ص344.

العالم المعاصر.ونحن نقول لا حاجة لقيامه من قبره لأنه ترك للعالم القرآن والسنة قائلا عليه الصلاة والسلام :"لو تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا"[1].

[1]- المصدر نفسه،ص345.

خاتمة الفصل:

من خلال دراستنا في هذا الفصل للقضايا الكبرى التي شغلت الشيخ أحمد حماني والتي في نظرنا تمثل العمود الفقري للجزائر المستقلة ،نستنتج مايلي:

أولا :لإن إنتزعنا إستقلالنا إنتزاعا ،فإن الإستعمار القديم الجديد يسهر على بقاءه إستقلالا ناقصا ،وهذا ما أدركه حماني ورفاقه الذين حرصوا على إستقلال الشخصية الجزائرية الممتدة في التاريخ والتي غيبها الإحتلال منذ 1830، وواصل الجيل الذي أعده لمرحلة ما بعد الإستقلال تأدية نفس الأدوار والمهمات ولكن بوسائل أخرى، في المقابل واصل الجيل الجزائري الذي تربى وفق التراكمات منذ المقاومات الشعبية ووصولا إلى الثورة التحريرية، واصل نضاله من أجل تحرير العقول وتحقيق الإستقلال الشامل.

ثانيا: عاش الشيخ حماني مرحلة الإستقلال ونذر نفسه للدفاع عن مقومات الشعب الجزائري بالرغم من مختلف التحولات التي شهدتها البلاد، مستعملا العقل والحكمة،وتمكن بعد الاستقلال مباشرة من التغلغل هو ومجموعة من رجال جمعية العلماء المسلمين في هياكل الدولة الجزائرية لمواصلة تأدية رسالتهم، التي تجسدت في وزارة الشؤون الدينية وإشرافها على ملتقيات الفكر الإسلامي التي أصبحت تعقد سنويا ويحضرها علماء من شتى الملل والنحل وتناقش قضايا لها علاقة بالشخصية الوطنية.

ثالثا: استمرار الصراع- بعد إسترجاعنا للإستقلال الوطني- بين السنة والبدعة ،فانتشرت بعض المفاهيم الغريبة عن المجتمع الجزائري وكانت سببا في نومنا خلال الفترة الإستعمارية ، وتريد أن تكون سببا في تخلفنا بعد خروج الإحتلال،وانتشرت الطرقية وبدعم رسمي أحيانا ، خاصة في بداية التسعينيات من القرن الماضي وهذا ما جعل حماني يدق ناقوس الخطر مذكرا بالصراع الذي خاضته جمعية العلماء في التصدي لها ملقيا اللوم في آن واحد على تغييب الجمعية بعد الإستقلال وإلغاء التعليم الأصلي لاحقا وهو ما أدّى بالجزائر للدخول في الأزمة التي عاشتها في التسعينيات من القرن الماضي.

خاتمة البحث:

من خلال ما تمّ عرضه ومناقشته في هذه الدراسة المتواضعة التي تندرج في إطار التراجم والسير،يمكن استخلاص النتائج التالية:

أولا:أن الشيخ أحمد حماني ،فتح عينيه ،وبلاده رازخة تحت الإستعمار الفرنسي الذي أراد أن يجعل من الجزائر قطعة فرنسية،تابعة له، فمنذ أن وطأت قدماه على أرضها، أخذ يضع البرامج والقوانين للحفاظ على هذا المكسب، بانتهاجه سياسة الاستيطان والإستيلاب، وتجريد الأهالي من ممتلكاتهم،وتسخيرهم وثرواتهم لخدمة فرنسا ، محاولا فصلهم عن انتمائهم العربي الإسلامي ،فكان بحق استعمارا متميزا بشموليته وبقدر ما كان كذلك ،كانت مجموعة من الجزائريين تعمل على نقل لغة المقاومة جيلا بعد جيل وتحرص على إبقاء شعلة الغضب والثورة متقدة في النفوس حتى قامت الثورة التحريرية التي أخرجته، ومن هؤلاء الذين قدّموا تضحيات في سبيل ذلك الشيخ أحمد حماني،الذي لم يطمئن لتلك الحالة المادية والمعنوية المتدهورة التي إنتهى إليها أمر بلاده، فثار عليها إلى جانب ثلة من إخوانه مستلهما ثورته من مبادئ الإسلام وأسسه كما فهمها السلف الصالح، لا كما شوهتها عصور التدهور والانحطاط، مؤمنا بأن تطهير العقيدة من الجمود والانحراف، وتنوير العقول بهدى الشريعة وعلوم الحياة وإنقاذ الأرواح من الهوّة السحيقة التي انحدرت إليها ،هي المنطلقات الصحيحة لإخراج الإستعمار من النفوس أولا ومن الأرض ثانيا.ولم يكن هذا الإيمان حبيس نفس الشيخ حماني بل تجسّد في نضاله المستميت ونكرانه للذات حتى بعد خروج الاحتلال من الجزائر، لأن طرده من الأرض لم يكن كافيا ،فالغاية المنشودة لا تتحقق إلاّ بتطهير العقول والأرواح من رواسبه .

ثانيا: لعبت البيئة الريفية التي تربّى فيها حماني مدة15 سنة دورا في الحفاظ على تمايزه وصفاء سريرته، بتحصينه بتعليم ديني أولي، وسيجد في مدرسة جمعية العلماء-لاحقا- الإطار الذي ينّمي قدراته ويحافظ على شخصيته الأصيلة.كما أن الريف الذي نشأ فيه،قوّى فيه العزيمة والصبر على أنواع الابتلاءات والمحن التي ذاق مرها منذ نعومة أظافره وصدق من قال:"من لم تكن له بداية محرقة لم تحصل له نهاية مشرقة" وقد كان الشيخ يدرك أن الإبتلاء هو سنة الله في خلقه، ولا يكون التمكين للمرفهين الذين لم يذوقوا محنة ولا خوفا ويظنون أن التمكين يأتيهم دون أن ينقص من دنياهم وراحتهم وأمنهم شيء، وينسون أن التمكين إنما يكون من بعد الخوف والمحن ،قال تعالى:"وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا"، فالشخصيات العظيمة –التي مكّن الله لها- كانت في بداية حياتها محرومة ، مضطهدة وهذا سبيل المكافحين ومنهم الشيخ أحمد حماني.

ثالثا:إن مدارس التعليم العربي الحر التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتتلمذ فيها أبناء الشعب الجزائري ، ومنهم الشيخ أحمد حماني، كانت اللبنة الأولى لتكريس الإنتماء الحقيقي للأمة الجزائرية و ترسيخ المبادئ الدينية والوطنية التي كادت أن تندثر بفعل الوجود الإستعماري، فالعمل الذي قامت به الجمعية والمتمثل في إحياء الثقافة العربية الإسلامية، وإتاحة الفرصة للشباب الجزائري للإطلاع عليها والتزود منها للمحافظة على عناصر شخصيته، أنقد الجزائر من الضياع الشامل،وهذا ما جعل أحد الكتاب الفرنسيين وهو مارسيل إيمريت يرجّح الجهد الذي قامت به الجمعية طوال تسع سنوات(1931-1940) على ما قامت به فرنسا منذ1830.والجهد المضاعف الذي بدلته جمعية العلماء بعد1945 بقيادتها الجديدة، كان مقبولا للإتيان بثماره لاحقا خاصة بعد تأسيس معهد عبد الحميد بن باديس وإلحاقه بالزيتونة وهو إقتراح تقدم به الشيخ أحمد حماني للبشير الإبراهيمي الذي إستحسنه وسعى لتنفيذه ، وأصبح التعليم الحر أكثر تنظيما ببرامج تبين للطلبة كيف يعتمدون على أنفسهم والتمسك بتقاليدهم وأعرافهم ومؤسساتهم ودينهم وقرآنهم، ويتخذوا من كل ذلك قوة ومقاومة ودفاعا،ومن ثمة الرجوع بالجزائر إلى هويّتها الشخصية، وأصالتها الطبيعية، التي حاول الإستعمار تشويهها ومسخها،وهذه الجهود التي قامت بها الجمعية زرعها عبد الحميد بن باديس ورعاها البشير الإبراهيمي يعضده في ذالك نخبة من الأساتذة ، ومنهم الشيخ أحمد حماني الذي أفنى شبابه في الدعوة الإصلاحية كمراسل صحفي ثم كأستاذ في معهد بن باديس وبالموازاة عضوا نشطا في هياكل الجمعية ومنها :عضويته في المجلس الإداري،وفي لجنة التعليم العليا.

رابعا:لا يمكن إنكار الدور الذي لعبته جمعية العلماء في إشعال لهيب الثورة في نوفمبر 1954،فقد كان من بين الذين أشعلوها من تتلمذ في مدارسها،ولدينا من الأدلة ما يكفي للرد على الذين يتهمونها ورجالها بالتقصير اتجاه الثورة، أو أن الشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه لم يكن يدعو لها ، لكن المتصفح لتراثه ولشهادات الذين عاصروه ومنهم الشيخ أحمد حماني الذي كشف بأن عبد الحميد بن باديس،صرّح بعزمه على الثورة المسلحة،لكن كان يخشى أن يدفع الأمة إليها قبل اكتمال الاستعداد، كما كان يسأل تلامذته :هل أدّيتم الخدمة العسكرية؟ ومن أجاب بنعم ميزهم عن الآخرين،قائلا لهم سنكون في حاجة لكم يوما ما. أما التلميح والرمز فذلك ما برع فيه ابن باديس،فكثيرا ما أنشد لطلبته :ولقد لحّنت لكم لكيما تفهموا، واللحن يفهمه ذوو الألباب، فإذا رمز ولحّن فهمه تلامذته وعمى غرضه عن الجواسيس المبثوثين.أما بعد وفاته فواصل الإبراهيمي ومن معه أداء رسالة الجمعية حتى إذا ما إندلعت الثورة التحريرية أصدر بيانات مساندة من القاهرة وبادر تلاميذ الجمعية للإنخراط في الثورة منذ أيامها الأولى،و أصبح الإبراهيمي ضمن البعثة الدبلوماسية للثورة التحريرية بالقاهرة، وبرسالة خطية منه،أو

وصاية شفوية سهّل عملية إنتقال وفود جبهة التحرير الوطني إلى مختلف الأقطار العربية والإسلامية للحصول على الدعم للقضية الوطنية.

خامسا:إن الإستعمار الذي خرج بالقوة حاول العودة بطرق مختلفة، بل لا أكون مبالغا إذا قلت بأنه حضّر لما بعد الإستقلال ،بتكوينه لجيل يتدرّج في مناصب القرار ويؤدّي الدور الذي أراده الإستعمار الجديد ، وأول هذا الدور تهميش أساتذة التعليم العربي الحر ومنهم أحمد حماني، ولولا الضمير الحي للأمة لنجح الطرح الإستعماري الذي ظل ومازال حتى اليوم يحاول الإبقاء على إستقلالنا إستقلالا للأرض دون العقل والفكر، ومثّل هذا الضمير –حسب إعتقادي-مجموعة من تلاميذ المدرسة الإصلاحية والوطنية الذين واصلوا على نفس الدرب مستعملين رصيدهم العلمي و النضالي للحفاظ على هوية الأمة الجزائرية ، وإن كنت لا أنكر بعض الاسترخاء الذي لوحظ على بعضهم مما أفسح المجال لأفكار دخيلة غزت عقول شبابنا في الآونة الأخيرة.

سادسا: تميزت حياة الشيخ أحمد حماني بالجهاد و العلم و التضحية والنصيحة، وقد حاولت رسم خطوطها الكبرى في هذا البحث المتواضع ، وأشرت من خلال السرد التاريخي إلى عدد من عبرها وإلهاماتها، مع إدراك مني لقصوري وقلة حيلتي في الإحاطة بكل نشاطاته ومواقفه في مسيرته الشخصية الطويلة التي وصلت إلى 83 سنة من العطاء. إلاّ أنه تجدر الإشارة إلى استلهام العبر منها والتي نوجزها فيما يلي:

-أ- بذل الشيخ حماني جهودا مضنية في العمل التربوي بصمت وهدوء، واستمر فيه عقودا من الزمن وفي كلّ حين كانت ثماره تنضج، وهذا درس لكل الأجيال:علماء ودعاة وطلبة علم و شباب وعامة للمثابرة على التبليغ والتربية ورصّ الصفوف بهدوء وروية و الابتعاد عن التشنج والرياء.

-ب- لم يخضع ولم يستجب لما يمليه الآخرون، وهذا حرّي بنا أن نقتفي آثاره في الصبر و التحمل و طول النفس على الشدائد والمحن، فالأمة قد تستكين في جولة، ولكنها تعود إلى ما كانت عليه في جولات أخرى، وهي سنة كونية حكيمة .إذ كان جريئا في توضيح موقف الشرع الإسلامي من قضايا مختلفة،ويصدر فتاوى شرعية وليست إدارية،وكان من العلماء الأوفياء لدينهم القائمين بأمر ربهم، مخلصين له الدين،لا يرهب أحدا ولا يخاف في الله لومة لائم،فلم يُحل حراما لأحد ولم يحرم حلالا على أحد مقتفيا آثار العلماء السابقين الذين قرأ تراجمهم وكانوا يتحدَّون بفتاويهم أشد الملوك قوة، وأعظمهم بأسا،إذا رأوا في تصرفهم انحرافا.

-ج- العلماء ورثة الأنبياء ونبض هذه الأمة، وما داموا على العهد تبقى الأمة حية ونبضات قلبها لا تنقطع، فالخير كل الخير يأتي منهم، أحياء كانوا أو أمواتا، وبهم تستعيد أمتنا الشروط التي تأهلها للنصرة، ومازال تراث الشيخ أحمد حماني يستفاد منه، بل و هو المرجع، بالخصوص في الفقه المالكي، وشهد على ذلك العلماء الذين عاصروه ومنهم الشيخ محمد الغزالي ،الذي كان يوجِّه الطلبة الذين يستفسرونه عن ذلك المذهب إلى مترجمنا.

-د- عاش الشيخ حماني للعلم الذي استقاه من مدرسته الأولى وهي جمعية العلماء ثم أخذ ينشره ،كما عاش للإسلام ينصره وللعربية يحميها من كيد الكائدين وتنكر المتنكرين فما وهن له عزم ولا ضعفت له إرادة ولا فت في عضده طغيان الأجنبي الدخيل ولا تثبيط المتخاذل الذليل، وهذا شأن أصحاب المبادئ الذين آمنوا بالحق فحالفوه وكفروا بالباطل فقاوموه.

وفي نهاية هذا البحث الأكاديمي لابد من الإقرار بأن الشيخ أحمد حماني كان يعمل كرجل فكر ، وكان يفكر كرجل عمل.وأن رسالة بهذا الحجم المتواضع قاصرة عن الإحاطة به وبأعماله.كما لابد من التصريح بالعقبة الكبرى التي واجهتني خلال إنجاز هذا البحث والتي ذكرها مثقفون خاضوا غمار البحث التاريخي ومنهم "أبو القاسم سعد الله" ألا وهي"العاطفة أثناء الكتابة" هذه العاطفة التي تلعب دورا في تقييمي للأشياء والحكم على الأحداث، وقد تكون خطرا على الموضوعية والبحث المجرد ولكن أشعر- وأنا طالب في العلوم الإجتماعية- بمسؤولية نحو بلادي وأعلامها ولا يمكن بحال من الأحوال التجرّد الكلي والإنفصال عن زماني ومكاني وعن مشاعري وميولي الثقافية، لا سيَّما وأن تلك المشاعر قد ولدت نتيجة هزات ثقافية وسياسية ومنها عودة الطرق الصوفية السلبية التي كان الشيخ أحمد حماني ورفاقه يحاربونها قولا وفعلا.